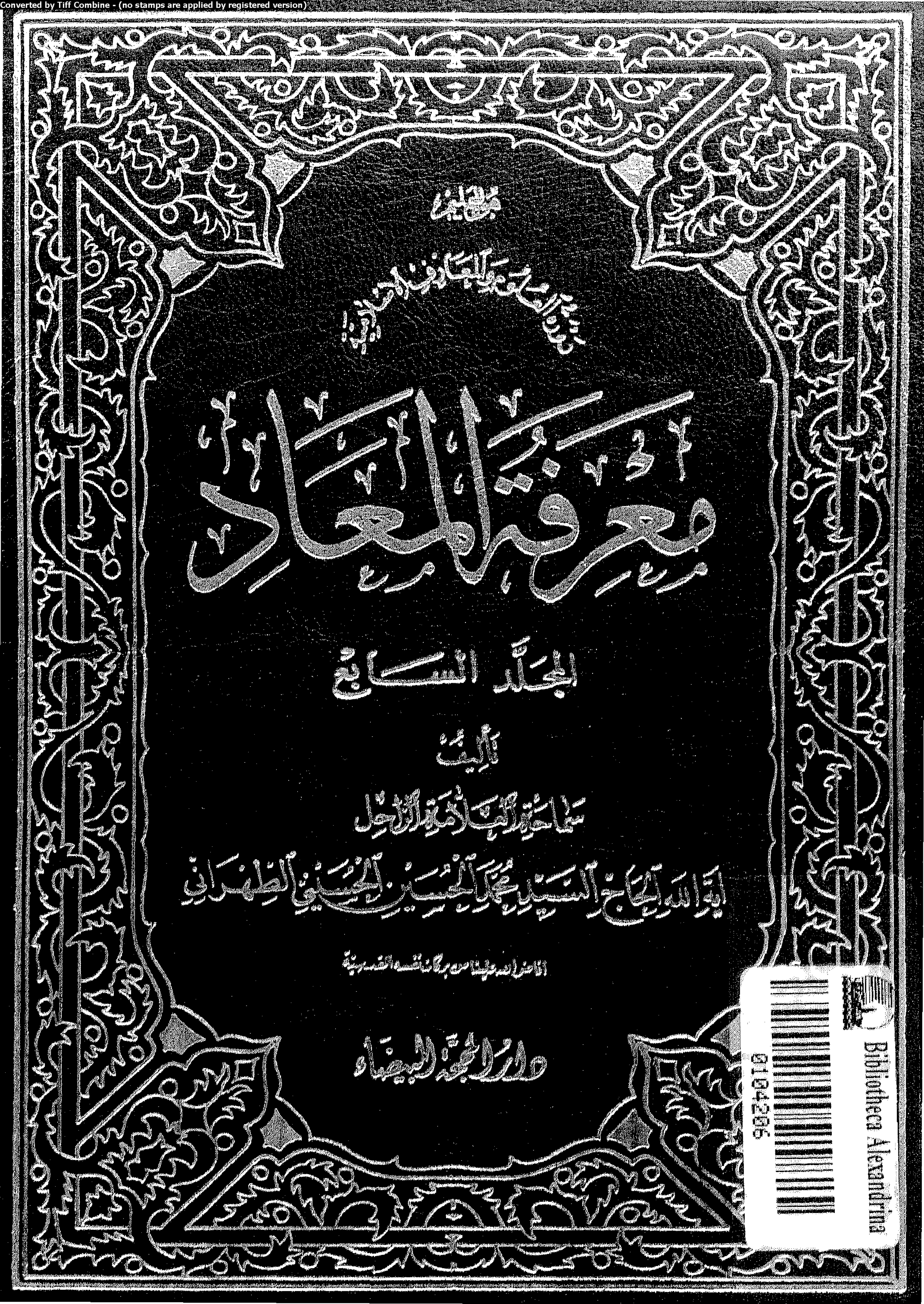

معرفة المعاد
المجلد السابع
تأليف
سماحة العلامة الراحل
آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
دار المحجة البيضاء
Bibliotheca Alexandrina
0104206







بسم الله الرحمن الرحيم



هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٣

معرفة المعاد

الجزء السابع

تأليف

سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

الحسينيّ الطهرانيّ . السيّد محمّد الحسين . ١٣٤٥ ـ ١٤١٦ هـ ق.
معرفة المعاد / لمؤلّفه السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ . ـ بيروت:
دار المحجّة البيضاء ، ١٤١٥ ـ هـ . ق.
١٠ ج . ٢٤١ ص . ـ (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة : ٣)
الطبعة الأُولى ١٤١٩ ـ هـ . ق.

العنوان

٢٩٧/٤٤ BP٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسّسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلّامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة (٣)

معرفة المعاد

الجزء السابع

المؤلف : سماحة العلّامة الرّاحل آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة

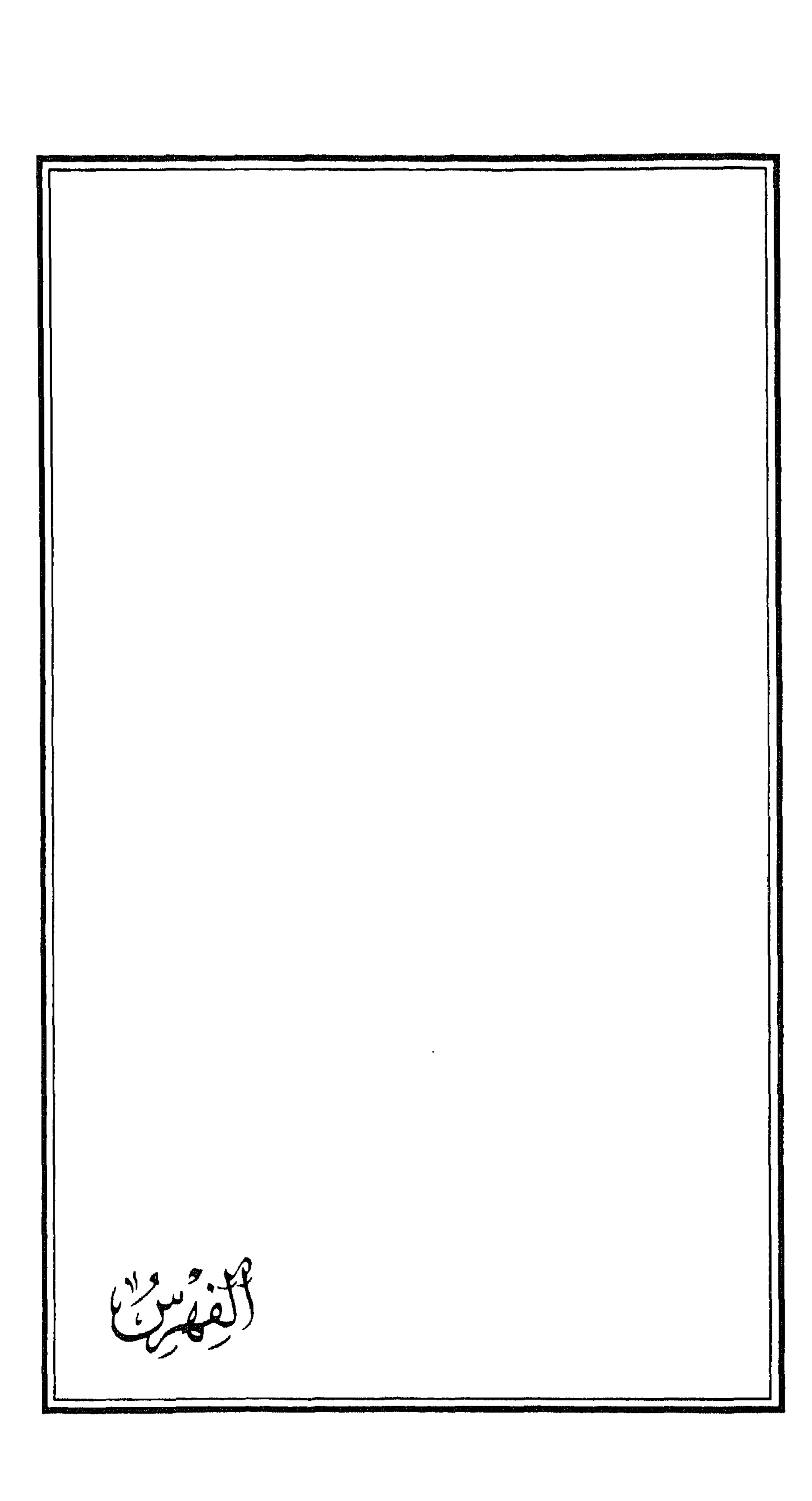
تعريب : عبد الرحيم مبارك

الطبعة الأُولى : ١٤١٩ هجريّة قمريّة

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دار المحجّة البيضاء

تمت ترجمة وطبع هذا الكتاب بإشراف «مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة» من تأليفات العلّامة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ
 مشهد المقدّسة ـ إيران ص . ب ٩١٣٧٥/٦١٤٩


الفهرس



فهرس مطالب وموضوعات
معرفة المعاد
الجزء السابع

المطالب	الصفحات

المجلس الثاني والأربعون :
صحيفة الأعمال ، ومعنى وصولها من جهة اليمين أو من جهة الشمال

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٢٢

يشمل المطالب التالية :

المطالب | الصفحات

الدرس الثالث والأربعون :

الإمام المبين ، وكتاب التكوين ، ونسخة صحيفة الأعمال

الصفحة ٢٥ إلى الصفحة ٦٠

يشمل المطالب التالية :

الدرس الرابع والأربعون :

الشهادة على الأعمال ؛ ومواصفات الشهود

الصفحة ٦٣ إلى الصفحة ٨٦

يشمل المطالب التالية :

فهرس المطالب والموضوعات

المطالب	الصفحات

الدرس الثامن والأربعون :

شهادة الزمان والمكان يوم القيامة

الصفحة ١٦٩ إلى الصفحة ١٩١

يشمل المطالب التالية :

الدرس التاسع والأربعون :

شهادة القرآن والأعمال يوم القيامة

الصفحة ١٩٥ إلى الصفحة ٢١٣

يشمل المطالب التالية :

المجلس الثاني والأربعون

صحيفة الأعمال، ومعنى وصولها من جهة اليمين أو من جهة الشمال



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ. [1]

تقول الآية الكريمة : بالإضافة إلى أنّا سنُحيي الموتى ونبعثهم يوم القيامة ، ندوّن ما قدّموا من أعمال وآثار ، ونُحصي في إمام مبين كلّ ما يمكن تسميته شيئاً ، فهو أيضاً محسوب ومحفوظ عندنا بخصائصه العدديّة والكمّيّة والكيفيّة .

ولدينا في القرآن الكريم آيات ذات دلالة على أنّ فرقة من الناس تُعطى كتابها بيمينها ، وأُخرى تعطى كتابها بشمالها .

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَـٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ

---

١ ـ الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ.[١]

لقد خُيّل لكم أيّها المتمرّدون والمنكرون أنّه يمكن الركون والإخلاد إلى هذه الدنيا التي مرّت وانقضت أيّامها ؛ فإذا هي جوفاء خالية منكم ومن كلّ شيء كان فيها . إذ لم تكن إلّا وعاء لتربيتكم وتكاملكم ، وها هي قد تركتكم وأوصلتكم إلى هذا المقام والموقف . أمّا أنتم ـ أيّها الواعون ـ فهنيئاً لكم إذ لم تركنوا إليها ، ولم تخلدوا إلى ذلك الوعاء ، بل تجهّزتم وأعددتم زاد السفر إلى هذا المنزل الركين الأمين .

وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ.[٢]

وأمّا الأشقياء الذين يؤتون صحيفة أعمالهم بشمالهم ، فيتمنّون أن لم يكونوا يؤتون كتابهم ولا يدرون ما حسابهم ، فيقولون : يا ليت الموتة الأُولى كانت القاضية علينا ولم يبق أيّ أثر منّا لنقف هذا الموقف ونشاهد ما نشاهد ، ويتحسّرون لخيبة سعيهم في الدنيا ، حيث بذلوا كلّ جهدهم لتحصيل المال والسلطان ، فلا المال الذي جمعوه ولا السلطان يدفعان عنهم العذاب الآن . لقد شاهدوا عدم نفع المال وبطلان السلطان .

فيأتي أمره سبحانه لملائكة العوالم العلويّة والأرواح القدسيّة بالنسبة إلى أُولئك الأشقياء العصاة ، الذين اتّخذوا المال والسلطان وسيلة للفساد والبغي والظلم ، وتجاوز صراط العدالة السويّ بالتعدّي على حقوق الضعفاء والفقراء ... فيخاطبون ملائكة العذاب قائلين :

١ـ الآيات ١٨ إلى ٢٤ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة .

٢ـ الآيات ٢٥ إلى ٢٩ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة .

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ.[1]

إنّهم الذين أهدروا ثرواتهم الوجوديّة في الحياة ، بانشغالهم بالذنوب والمعاصي واستنادهم على الغرور والاستكبار ، ولمّا كانوا لا يؤمنون بالله العظيم ولا يخضعون لأوامره وأحكامه إذ يعتدون على الضعفاء والمحتاجين وينهبون حقوقهم ، ولمّا كانوا لا يحرضون على طعام المساكين ولا يشركونهم في مآدبهم ولا يهتمّون برعايتهم وتفقّد أحوالهم المادّيّة والمعنويّة ، فليس لهم اليوم ها هنا طعام إلّا الغسلين من القيح والدم ، وهو طعام الخاطئين المتلبّسين بالشهوة والغضب .

إنّ الذين لا يؤمنون ويرتكبون المفاسد يبتلون بأمرين : باطنيّ يتمثّل في فساد قلبهم ، وظاهريّ يتجسّد في فقدان العدالة بين المستضعفين والفقراء .

وهذا الغصب لحقوق المحرومين والاعتداء على الفقراء والمساكين ، والتمتّع ـ أمام أنظارهم ـ بالعيش المرفّه سيظهر بعينه في الآخرة بمثابة الغِسْلين والأكل من الصديد والدم .

وصفوة القول إنّ هذه الآيات المباركة قد قسّمت الناس إلى طائفتين ، طائفة يُعطون كتابهم بيمينهم ، وطائفة يُعطون كتابهم بشمالهم . وعلينا أن نرى ما معنى اليمين والشمال ؟

يُطلق تعبير اليمين والشمال في اللغة على طرفَي الإنسان القويّ

---

١ ـ الآيات ٣٠ إلى ٣٧ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة .

منهما والضعيف ؛ أو على اليدين بلحاظ القوّة والضعف ؛ أو على جهة الخير والسعادة وجهة الشقاء والتعاسة ، إلّا أنّ من المسلّم في هذه الآيات أنّ المراد باليمين والشمال جهة السعادة والخير وجهة الشقاء والخسران والحرمان على الترتيب .

وباعتبار أنّ اليمين تعني في العربيّة التفاؤل بأُمور الخير والسعادة والعافية والرحمة والبركة ، وأنّ الشمال تعني التشاؤم بالمصائب والذلّ والهوان ، فقد كُنّي عن اليمين والشمال بجهتَي السعادة والشقاء ، فصارت كتبهم تصلهم من جهة السعادة والرحمة والعافية والسلامة ، أو من جهة الشقاء والذلّ والنكبة .

وقد اعتبرت طائفة كبيرة من المحدّثين والمفسّرين اليمين والشمال في هذه الآيات بمعنى اليد اليمنى واليد اليسرى ، وقالوا بأنّ المراد هو أنّ أهل الجنّة يُعطون كتبهم في أيمانهم ، وأهل النار يعطون كتبهم في شمائلهم ؛ وهو تفسير غير صحيح لعدّة أسباب :

أوّلاً : وكما اتّضح خلال الأبحاث والفصول السابقة ، فالكتاب ليس بصحيفة ورقيّة ليُعطى في يد الإنسان ، وليس صحيفة مكتوبة مطويّة ليمكن للإنسان تسلّمها بيده ، بل إنّه يمثّل حقائق الأعمال التي قام بها الإنسان في دنياه ، كما أنّ استلام الكتاب بمثابة سيطرة الإنسان الروحيّة التي تحصل له خلال مرحلة البقاء بالله بعد تخطّيه مرحلة الفناء في الله تعالى ، إذ يجد المرء في مرحلة البقاء سيطرة وإحاطة بعالم الكثرة تجعله يُهيمن على جميع وجوده في الدنيا بتمام أخلاقه وملكاته وسيرته الظاهريّة والباطنيّة ، فتصبح بأجمعها محسوسة لديه وملموسة ومشهودة ، بل إنّه يجد نفسه ويدركها بالوجدان في حال انشغالها بفعل تلك الأعمال .

وعلى هذا الأساس فليس هناك ثمّة كتاب يُعطى للمرء في يده ،

يُضاف إلى ذلك أنّ الآيات القرآنيّة تعبّر عن إعطاء الكتاب بتوفية الأعمال: **لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ**؛ وهو توفية كلّ نفس أعمالها التي فعلتها في الدنيا بجميع جهاتها الواقعيّة، فتردّ إليها نفس تلك الأعمال بفعليّتها.

فلا علاقة ـ إذاً ـ للأمر باليد. كما أنّ هناك أعمالاً فعلها الإنسان بعينه، وعمل العين لا يُعطى باليد، وعمل الأُذن واللسان لا يُعطى باليد؛ وكذلك الأمر في عمل الرِّجْل.

ثانياً: أنّ الآية تقول: **فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِ**؛ والباء في الآية باء السببيّة. أي من يُعطى كتابه بجهة اليمين، ولو كان تعبير الآية القرآنيّة: **وأمَّا مَن أُوتِىَ كِتَابَهُ لِيَمينه** لكان معناه أنّه سيُعطى كتابه بيده اليمنى.

وباء السببيّة تستخدم للتوسّط والجهة، أي الذين يُؤتون كتابهم من جهة اليمين وبسبب اليمين، كنايةً عن السعادة؛ والذين يؤتون كتابهم من جهة اليسار، إشارة إلى جهة الشقاء التي تلحقهم، ولا علاقة للأمر باليد اليمنى أو اليسرى.

ثالثاً: ما جاء في الآيات القرآنيّة:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا.[1]

التي تشبه مفاداً ومضموناً الآيات التي أوردناها من سورة الحاقّة؛ كلّ ما في الأمر أنّ جملة **وأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِ** قد جاءت هنا بدلاً من جملة **وأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِ**.

ونظراً لمقابلة لفظ **بِشِمَالِهِ** للفظ **بِيَمِينِهِ** في الآية السابقة، ولمجيء

١ـ الآيات ٧ إلى ١٤، من السورة ٨٤: الانشقاق.

لفظ وَرَآءَ ظَهْرِهِ مقابل لفظ بِيَمِينِهِ في الآية اللاحقة؛ فإنّ معنى بِشِمَالِهِ سيكون وَرَآءَ ظَهْرِهِ. أي أنّه سيُعطى كتابه وراء ظهره وليس بيده اليسرى، وإعطاء الكتاب من الخلف كناية عن الشقاء والتعاسة، وهو بعينه معنى إعطاء الكتاب بشماله.

ولدينا ـ من جهة أُخرى ـ أنّ الأفراد يحشرون يوم القيامة مع إمامهم الذي اتّبعوه في الدنيا وجعلوه قدوةً لهم، سواءً كان من أئمّة العدل أو من أئمّة الظلم. وسيحشر أُولئك الأئمّة إلى الجنّة أو النار، فيُحشر معهم أتباعهم ورعاياهم ويلحقون بهم إلى الجنّة أو إلى النار.

وسنبحث في هذا الأمر إن شاء الله تعالى مفصّلاً في بحث الشفاعة، استناداً على الآيات القرآنيّة، ونبيّن كيفيّة اللحوق بالأئمّة والقادة يوم القيامة ودخول الجنّة أو النار، علماً بأنّ الروايات الواردة في هذا المجال روايات شيّقة ومتضمّنة للكثير من المعارف. أمّا في هذا المجال فسنتطرّق لذكر بعض المطالب في بيان كيفيّة الكتاب؛ فقد ورد في القرآن الكريم:

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا.[1]

أي أنّ من لم يفتحوا أعين بصائرهم في الدنيا، فقضوها عُمْياً لا يبصرون شيئاً من الأُمور المعنويّة، أسرى شهواتهم وهواجسهم النفسانيّة، سيكونون في الآخرة عُمْياً، لا يهتدون سبيلاً.

وقد وردت في هذه الآيات عبارة وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا بدلاً من عبارة مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِ، أي أنّ

١ـ الآيتان ٧١ و ٧٢، من السورة ١٧: الإسراء.

الشمال المقابل لليمين ليس إلّا الشقاء وعمى الباطن الضلال. تقول الآيات: إنّا ندعو كلّ جماعة بواسطة إمامهم، وإنّ كتاب من يُعطون كتابهم من جهة أيمانهم كذا وكذا ... فالإمام - إذاً - غير اليمين وجهة السعادة، وغير الكتاب وصحيفة الأعمال. وسيُدعى السعداء بواسطة إمامهم، فيصلهم كتابهم من جهة سعادتهم؛ ومثل الإمام مثل المغناطيس الذي يجذب - ضمن مجاله المغناطيسيّ - جميع الأشياء المماثلة لطبيعته، وكما يجتذب المغناطيس ذرّات الحديد ولا يجتذب ذرّات النحاس والنيكل والخارصين، فإنّ أئمّة الحقّ والعدل يجتذبون أتباع الحقّ والعدل، أمّا أئمّة الباطل فيجتذبون المنحرفين المعتدين أتباع الباطل.

ذرّه ذرّه كاندرين ارض و سماست
جنس خود را همچو كاه و كهرباست
معده نان را مى‌كشد تا مستقرّ
مى‌كشد مر آب را تفّ جگر
چشم جذّاب بتان زين كويهاست
مغز جويان از گلستان بويهاست
ز انكه حسّ چشم آمد رنگ كش
مغز و بينى مى‌كشد بوهاى خش[1]

---

١ - «مثنوى» ج ٦، ص ٦٠١، السطر ١١ إلى ١٥، طبعة ميرخاني.
يقول: «كلّ ذرّة في الأرض والسماء تجذب نظائرها كما تجتذب الكهرباء القشّ.
المعدة تجذب الخبز إلى داخلها، وحرارة الكبد تجتذب الماء إليها.
والعين تبحث عن الحسان المعبودين، أمّا العقل فيفتّش عن روضة العطور.
ذلك لأنّ حسّ البصر يجتذب الألوان إليه، بينما الأنف والعقل يجتذبان العطور الفوّاحة».

زيــن كشش‌هــا اى خـداى راز دان

تو به جذب لطف خودمان ده امـان[1]

وبينما يختلط الجميع في عالم الكثرة والاعتبار في الهيئة الظاهريّة ، فـإنّهم يـفترقون ـ بـلحاظ النـزعات البـاطنيّة ـ إلى طـوائـف وفـرق ومـلل متفاوتة ، فتتبع كلّ طائفة إماماً معيّناً . وسيدعو الله تعالى يوم القيامة ـ الذي تبرز فيه الحقائق وتتجلّى ـ كلّ طائفة بإمامهم ، فيصل كتاب السعداء إليهم من جهة السعادة ، ويُدعَون بواسـطة إمـام الحـقّ والسـعادة . أمّـا الأشـقياء فيصلهم كتابهم من جهة الشقاء ، ويدعون بواسطة إمام الباطل والشقاء .

ومن هنا فإنّ إمام الحقّ السعيد له صفة السعادة وهي اليمين ، وهـذا اليمين (أي السعادة) هو نعت الإمام وصفته . لذا فإن تـفريع **فَـمَنْ أُوتِـيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِ** هو تفسير لـ **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ**.

تقول الآية : إنّ الإمام باعتباره يمثل مركز اجتذاب مَـن يشـاكـلونه ويماثلونه في السنخيّة ، فإنّ مَن لهم سنخيّة مشهودة في الرحـمة والعـافية سيدعون بواسطة إمام الحقّ . أمّا إمام الباطل الجائر الشـقيّ ، فـإنّه سـيدعو بصفة الشقاء من يشاكله ويجانسه فيجمعهم حوله .

تقول الآية : **بِإِمَـٰمِهِمْ** ولا تـقول **إلى إمـامهم** . كـما تـقول فـي شأن الكتاب : **كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا**[2] فلا تستخدم تعبير **بكتابها** . فهي ـ إذاً ـ قد استعملت **باء السببيّة** بالنسبة إلى الإمام ، بينما استعملت لفظ **إلى** بالنسبة إلى الكتاب . فتكون الدعوة بالإمام غير الدعوة إلى الكتاب .

١ـ يقول : «فيا إلهي ! يا عالِم السرّ والخفيّات ! آمِنّا بجذبة لطفك من هذه الجـذبات والنزعات» .

٢ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

ويستفاد من ورود جملة وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ في الآية الواردة في سورة الإسراء بدلاً من جملة وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِ أنّ أصحاب الشمال لا نور لهم في الآخرة ، وأنّهم وإمامهم عُمْي لا يبصرون ، التابع والمتبوع من أهل الشقاء عُمْيٌ بأجمعهم . التابع والمتبوع كلّهم يذهبون إلى جهنّم . العالم هناك بالنسبة إلى الأشقياء عالم العمى وفقدان البصيرة والضلال وانعدام النور ، وعالم الحرمان من التطلّع إلى آيات الله وجماله . وقد تكرّر في القرآن الكريم تعبير «ضلّ» بالنسبة إلى أهل الشقاء ؛ أي أنّهم سيضيعون ويفنون ويعجزون عن المقاومة في عالم الأنوار .

وقد جعل العُمْيَ في هذه الآية مقابل أصحاب اليمين ليُفهم أنّ أصحاب اليمين هم أصحاب النور والبصيرة في عالم المعنى والتجرّد ، إذ إنّهم امتلكوا البصيرة في الدنيا ، وستتجلّى هذه البصيرة فيهم يوم القيامة في هيئة إبصار ملكوتيّ . وحين تشرع في التفصيل فتذكر أنّ السعداء يُساقون إلى السعادة بواسطة إمامهم ، وتجعل ـ في المقابل ـ على الأشقياء يوم القيامة إمام الباطل وكتاب عماهم ، كتاب الشقاء ، فيتّضح بجلاء أنّ أئمّة الباطل لا نور لهم .

السعداء ذوو نور ، والأشقياء والضالّون ذوو عَمًى وظُلمة ، سواءً في ذلك إمامهم ومأمومهم .

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ،[1] إلى أن يصل إلى الآية الشريفة :

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ونُورُهُمْ.[١]

والمراد بالنور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين ويصلهم من جهة أيمانهم (أي من جهة السعادة): أئمّتهم الذين يحصلون بواسطتهم على النور الذي يهتدون به في طريقهم، ويقومون ـ على ضوء هُداه ـ بجميع أعمالهم الصالحة في الدنيا.

فأئمّة اليمين ـ إذاً ـ هم أئمّة الرحمة والكرامة والفضل والسعادة والنور؛ أمّا أئمّة الشمال فأهل الظُّلمة والنكبة والذلّ والعمى والمحنة.

والناس طائفتان، طائفة تتّجه نحو السعادة فتصبح أصحاب اليمين، وأُخرى تتّجه نحو الشقاء فتصبح أصحاب الشمال العميَ الذين يُعطَون كتابهم من وراء ظهورهم، فتتصاعد صرخاتهم بالويل والثبور، ثمّ يقدمون إلى جهنّم فيصْلَوْنها داخرين.

في تلك الجهة أُناس تسعى بين أيديهم أشِعّة النور فتضيء طريقهم إلى الجنّة؛ وفي هذه الجهة ظُلُمَـٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ،[٢] وأُناس غارقون في الظلمات المتراكمة الثقيلة؛ وكلٌّ يقتفي أثر إمامه ويلحق به.

وقد ورد التعبير في سورة الواقعة (٥٦) بـ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مقابل أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ السعداء:

وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ... وأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ، كما ورد التعبير عنهم أحياناً بأصحاب المشأمة والنكبة:

وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ.

وأحياناً أُخرى بأهل الكذب والضّلال:

١ـ الآية ١٩، من السورة ٥٧: الحديد.

٢ـ الآيات ٩٠ إلى ٩٤، من السورة ٥٦: الواقعة.

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.[1]

فالمكذّب هو الذي يعقل ويكذّب ، أمّا الضالّ فهو غير المهتدي ؛ الذي لا حظّ له من عالم الحقائق ، ولا سبيل له إلى نشأة الأنوار .

المكذّبون الضالّون وأصحاب الشمال وأصحاب المشأمة هم ـ إذاً ـ طائفة واحدة ، وهم الذين عجزوا عن السير قدماً في عالم الحقائق ، والذين انغمروا في عالم الآراء والأفكار الشيطانيّة ، وانصرفوا إلى مِتَعهم منساقين بالهوس النفسانيّ والغفلة . وسيضيع أمثال هؤلاء في غمرتهم ويموتون ويدفنون هناك . ألم نقرأ عنهم في سورة الحاقّة :

مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَهْ ؟

فهؤلاء هم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة الذين اعتمدوا في الدنيا على ثرواتهم وقومهم وعشيرتهم ، واتّكلوا على المقام والسلطة والرعيّة والجيش والدرهم والدينار ، خُيّل لهم أنّ عالم الاعتبار موصول بذلك العالم ، وأنّ ما يعتمدون عليه هنا سينفعهم هناك ، وأنّى لذلك أن يتحقّق ، لأنّ هذا العالم عالم الاعتبار ، أما ذلك العالم فعالم الحقيقة ؛ وهما عالمان متعاكسان متضادّان .

هذا العالم عالم المجاز ، أمّا ذاك فعالم الواقعيّة ؛ ومن هنا فإنّ الموقع الذي كسبه الإنسان هنا سيضيع ، والدرجة التي اتّخذها لنفسه ستضلّ ، لأنّها لا تمتلك سبيلاً إلى تلك النشأة الأُخرى . كما أنّ الملايين التي حصل عليها هنا سوف لن يحمل منها ـ ولن يقدر أن يحمل منها ـ ذرّة واحدة ، كما أنّه

١ـ الآيات ٩٠ إلى ٩٤ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

لن يستطيع أن يصطحب معه ناصراً واحداً عند مجيء عزرائيل ، أو أن يستعين به على أقلّ تقدير ، ولو نَاصَرَه في هذه النشأة جميع أهل العالم .

وستراهم يعترفون آنذاك : **مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ** .

ثمّ إنّ هذه الطوائف ستلحق بأئمّتها مع جميع خصوصيّاتها ، فيلحق المؤمنون بأئمّتهم الذين يسيرون في عالم النور بأعين قريرة ، متّجهين إلى عالم الحقيقة .

فالمؤمن حين يتحرّك في الدنيا ، فإنّما يتحرك وباطنه متّجه إلى الله تعالى ، وحين يقوم بعمل ما ، فإنّه يفعله وقلبه متّجه إلى الله سبحانه . فهو يصوم ويتاجر ويجاهد متّجهاً إليه تعالى ، حتّى أنّه يذهب إلى بيت الخلاء وباطنه متّجه إليه سبحانه .

ألم ترد أدعية خاصّة يقرأها الإنسان عند دخوله بيت الخلاء وعند مكثه فيه وعند خروجه منه ، وأنّ عليه ذكر الله سبحانه في ذلك الموضع أيضاً ؟

أي أنّ على الإنسان أن لا يغفل عن الله لحظةولا آناً واحداً،حتّى في ذلك الموضع . المؤمن يتّجه إلى ربّه باستمرار سائراً نحو الأمام ، ملتفتاً إلى المسير الذي يطويه لحظةً بعد أُخرى . فالمؤمنون يُلحقون بأئمّتهم الذين يتقدّمونهم في مسيرتهم إلى الأمام .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ .

فهناك عالم النور ، حيث النور يسطع من وجود الإمام وكيانه . فهو نور ، ونفسه القدسيّة نور محض ، والمؤمنون يتحرّكون خلفه فَيَصِلون ويُلحقون .

ويمكن الآن فهم الروايات والأخبار الواردة بأنّ مَن عمل العمل

الفلانيّ كان معنا، ومَن عمل العمل الفلانيّ كان في جوار رسول الله والأئمّة وبرفقتهم، ساكناً في جنان الخُلد؛ لأنّ في عالم اللحوق معيّة صرفة.

أمّا الذين يتبعون القادة الظالمين الجائرين وفراعنة العصر الداعين الناس إلى عبادتهم وطاعتهم، فيجعلونهم أصناماً يعكفون على عبادتها، فإنّهم سيجدون المعيّة مع أئمّة الجور يوم القيامة ويلحقون بهم، فيُحشرون جميعاً إلى جهنّم وبئس المصير:

لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ.[1]

فكيف - يا ترى - ستتحرّك يوم القيامة هذه الطائفة المسيئة ذات السيرة الرديئة؟ لقد ذكرنا بأنّهم سيُدعون بواسطة إمامهم: **نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ.**

أمّا كيفيّة سيرهم والتحاقهم بأئمّة الجور، فقد جاء في القرآن الكريم: **يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ.**[2]

يسير الإمام الجائر في المقدّمة فيتبعه قومه، وبواسطته يصل إلى أتباعه كتابُهم، فماذا يعني قولنا بأنّهم يُعطون كتابهم من وراء ظهورهم؟ وأيّ جهة هي «وراء ظهورهم»؟

جاء في سورة النساء:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَا.[3]

١ـ الآية ٣٧، من السورة ٨: الأنفال.

٢ـ الآية ٩٨، من السورة ١١: هود.

٣ـ الآية ٤٧، من السورة ٤: النساء.

والمطموس يعني الممحي والمندرس ؛ أي أنّنا سنمسح وجوه أصحاب النار ، الأئمّة منهم والأتباع ، بحيث تختلط أعينهم وأُنوفهم وشفاههم وتمّحي ، فتستحيل وجوههم صفحات ممحيّة مندرسة ، ثمّ نقلب وجوههم إلى أقفيتهم ، فتمسي أبدانهم إلى الأمام ووجوههم إلى الخلف . ولأنّ الأئمّة من أصحاب جهنّم ، فإنّ أتباعهم سيتوجّهون نحو أئمّتهم بوجوه مقلوبة إلى القفا ، ومن ثمّ فإنّ كتابهم الذي يُعطى لهم من قبل أئمّتهم ، سيُعطى لهم من ورائهم . ومن الجليّ أنّه لو شاء أحد أن يعطي كتاباً لشخص ذي وجه مقلوب إلى قفاه ، فإنّه سيُعطيه إيّاه من وراء ظهره .

إنّ عالم الحقائق والأنوار متّجه إلى الإمام نحو عالم التجرّد والإطلاق ، ونحو عالم النعمة والرحمة ، وعالم القُرب والمنزلة ، والعوالم اللامتناهية وغير المقيّدة .

أمّا عالم الشهوة والغضب والوهم الذي هو من لوازم عالم المادّة والطبع **أظلم العوالم** ، فيقع ـ بطبيعة الحال ـ في المؤخّرة باعتبار كثافته وثقله . فأهل الدنيا مشغوفون بها ، فيتحرّكون إلى الأمام في مسيرهم إلّا أنّ قلوبهم متّجهة نحو المادّة وآثارها ، فتكون النتيجة انقلاب وجوههم إلى الخلف .

يخلد أهل الدنيا إليها ، ويتعاملون مع الأموال تعاملاً مجازيّاً ، ويولعون باللهو واللعب ، إلّا أنّ السير باتّجاه الله والموت وعوالم التجرّد التي تعقب هذا العالم ، هو سير حتميّ وليس اختياريّاً ، فانقضاء الزمن ومجيء الأجل يحرّك المرء كلّ لحظة نحو الله سبحانه ، شاء المرء أم أبى ، بَيدَ أنّ باطنه سيبقى ملتفتاً إلى الدنيا . تتحرّك النفس باتّجاه الله سبحانه ، أمّا وجه الإنسان فمتوجّه نحو الدنيا . وحين يحين يوم الجزاء **يوم تُبلى السرائر** ،وتتجلّى حقيقة الحوادث الواقعة في هذا العالم ، فإنّ هذه الصورة

تمثّل ظهور الإمام والمأموم المشغوفينِ بالدنيا والمغمورينِ في الغفلة . ومع أنّ المسير تجاه الله تعالى ، إلّا أنّ الباطن متوجّه نحو الأرض : **وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ**،[1] متوجّه إلى الأرض وشهواتها .

فالتوجّه القلبيّ والحقيقيّ هو إلى الأرض ، أمّا السير الجبريّ الحتميّ فإلى الله تعالى . وهو سير اضطراريّ عامّ لجميع الأفراد . فالوجهة اللااختياريّة للإنسان تريد الاتّجاه إلى الله واللحوق بالمؤمنين والسير قُدماً إلى عالم النور والوصول إلى الجنّة بالرغم من أنّ الالتفات إلى الدنيا ، وأمثال هؤلاء يُعطَون كتابهم من وراء ظهورهم .

وبما تقدّم يتبيّن أنّ المكذّبين والضالّين يلحقون بأئمّتهم ويذهبون معهم إلى جهنّم ، ويُعطَوْن كتابهم من جانب الشمال ، جانب الشقاء ، فيدركون بوضوح وبالوجدان ذلّ ونكبة أعمالهم وفقدان بصيرتهم .

بينما يلحق المؤمنون ذوو العمل الصالح بأئمّتهم في عالم النور ويُعطَون كتابهم من جانب اليمين بسبب الإمام الحقّ ، حيث يُستنسخ لهم نسخة من عالم الوجود وكتاب التكوين تدلّ على حقيقة العمل وجلوته الملكوتيّة ، فيحيطون بكلّ أعمالهم ، ويُوفّى كلّ امرئ ما عمل من أعماله الموجودة بأجمعها في الكتاب المبين والإمام المبين ، سواءً في ذلك أعمال الصالحين أم أعمال الطالحين .

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ.[2]

ولإيضاح هذا المطلب نقول : إنّ لدينا جسداً وروحاً ، وهذا الجسد وهذه الروح ليسا في معزل عن بعضهما ، بل هما أمران مرتبطان يُقال

١ـ مقطع من الآية ١٧٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ النصف الثاني من الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

لمجموعهما «أنا».

وحين نقول: «هيّئ فراشاً للنوم لأنّ السيّد حسن يريد النوم!» فإنّ هذا الفراش إنّما يبسط لجسده، وهو ـ من ثمّ ـ فراشه المبسوط لأجل استراحة جسده وسلامته.

ثمّ نقول: «اقرأ القرآن ليستفيد السيّد حسن منه» ونقصد بطبيعة الحال روحه التي ترتاح لذلك. فنحن ندعوها «السيّد حسن» بلحاظ العلاقة بين الروح والجسد. أي أنّ لفظ «الإنسان» يُطلق على كلّ واحد من مراتب النفس ودرجاتها النازلة من الجسد والقوى.

إنّ الكتاب المبين يمثل نقلاً من عالم الوجود، ونسخة حقيقيّة وواقعيّة منه، لكن هذه النسخة تشير إلى حقيقة عالم الوجود. أي أنّ هذه الموجودات الخارجيّة تمثّل قالب هذا الكتاب، أمّا روحه فهي الإمام المبين (أي مقام الولاية) الذي يجسّد روح وحقيقة جميع الموجودات على نحو التجرّد والانبساط.

ولو مثّلنا لذلك، فإنّ لنا روحاً ولهذا العالم روح، فحقيقتنا هي روح بدننا، أمّا حقيقة جميع العوالم التي أوجدها الله تعالى فليست إلّا الإمام، وهو معنى **الأسماء الحسنى الكلّيّة الإلهيّة**.

فعالم الوجود ـ إذاً ـ له روح ونفس هي الولاية والإمام، وهي معنى **وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ**.

أي أنّ الإمام المبين هو روح جميع الموجودات. ومهما عملتم من عمل فإنّ الأرض ستستلمه وتسجّله، لأنّ روحها تحت سيطرة الإمام المبين والكتاب المبين.

وبصورة عامّة فإنّ الإنسان لم يُستثنَ من سلسلة الموجودات الكائنة التي تشكّل هذا الكتاب، فهو وأفعاله جزء من هذا الكتاب. وعليه أن

لا يـرتكب حتّى الذنب الصغير، إذ سيأتي يوم ويرى هذه الذنوب والمعاصي الصغيرة التي لم يأبه لها ولم يعبأ بها، وقد تراكمت في ذلك الكتاب المبين فصارت أشبه بالتلّ: **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**.[1]

روى الكلينيّ في «الكافي» بسنده عن ثعلبة، عن زياد قال:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَهِ (الصَّادِقُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ بِأَرْضٍ قَرْعَاءَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: إئتُوا بِحَطَبٍ! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَهِ نَحْنُ بِأَرْضٍ قَرْعَاءَ مَا بِهَا مِنْ حَطَبٍ! فَقَالَ: فَلْيَأْتِ كُلُّ إنْسَانٍ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ. فَجَاءُوا بِهِ حَتَّى رَمُوْا بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَكَذَا تَجْتَمِعُ الذُّنُوبُ. ثُمَّ قَالَ: وإيَّاكُمْ وَالمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإنَّ لِكُلِّ شَيءٍ طَالِباً، أَلَا وإنَّ طَالِبَهَا يَكْتُبُ «مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ».[2]

هذا بشأن تسجيل الأعمال وتدوينها؛ أمّا في مقام الولاية (الإمام المبين وروح العالم) فقد نقل البحرانيّ في «تفسير البرهان» عن الشيخ في كتاب «مصابيح الأنوار» رواية جديرة بالتأمّل:

رَوَاهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ سَائِرَاً فِي أَغْرَاضِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذْ مَرَرْنَا بِوَادٍ، ونَمْلُهُ كَالسَّيْلِ سَارٍ. فَذَهَلْتُ مِمَّا رَأَيْتُ، فَقُلْتُ: اللَهُ أَكْبَرُ جَلَّ مُحْصِيهِ! فَقَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ ولَكِنْ قُلْ جَلَّ بَارِيهِ! فَوَالَّذِي صَوَّرَكَ إنِّي أُحْصِي عَدَدَهُمْ وأَعْلَمُ الذَّكَرَ مِنْهُمْ وَالأُنْثَى بِإِذْنِ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ.[3]

١ـ النصف الثاني من الآية ٢٩، من السورة ٤٥: الجاثية.

٢ـ «تفسير البرهان» ج ٢، ص ٨٨٦، الطبعة الحجريّة؛ ج ٤، ص ٦، الطبعة الحروفيّة.

٣ـ «تفسير البرهان» ج ٢، ص ٨٨٦، الطبعة الحجريّة؛ ج ٤، ص ٧، الطبعة الحروفيّة.

كما روى في «تفسير البرهان» عن الشيخ في «مصابيح الأنوار» عن عمّار بن ياسر **قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَمَرَرْنَا بِوَادٍ مَمْلُوٍّ نَمْلاً، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! تَرَى يَكُونُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَعْلَمُ كَمْ عَدَدُ هَذَا النَّمْلِ؟!**

قَالَ: نَعَمْ يَا عَمَّارُ؛ أَنَا أَعْرِفُ رَجُلاً يَعْلَمُ كَمْ عَدَدَهُ وكَمْ فِيهِ ذَكَرٌ وكَمْ فِيهِ أُنْثَى!

فَقُلْتُ: مَنْ ذَلِكَ -يَا مَوْلَايَ- الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: يَا عَمَّارُ! مَا قَرَأْتَ سُورَةَ يَس «وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»؟!

فَقُلْتُ: بَلَى يَا مَوْلَايَ. قَالَ: أَنَا ذَلِكَ الإمَامُ.

وينقل في «تفسير البرهان» في هذا الموضع، في تفسير الآية **وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**. روايات عديدة دالّة على أنّ المراد بالإمام المبين هو أمير المؤمنين عليه السلام، كما ذُكر في حديث المفضّل أنّهم **الخمسة الطيّبة**. وعلى كلّ تقدير فإنّ المراد بذلك هم جميع الأئمّة الطيّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد اتّضح في مباحثنا السابقة في هذا الكتاب «معرفة المعاد»، وفي مباحثاتنا المفصّلة في كتاب «معرفة الإمام» أنّ من يطّلع على مقام الولاية يعلم أنّ الإمام فوق الزمان والمكان، وأنّ له هيمنة على جميع الموجودات الزمنيّة والمكانيّة، وعلماً بكلّ ما وُجد ويوجد، لأنّ نفسه الناطقة فوق الزمان، ولأنّ وجوده عقل محض.

وقد جاء في كثير من الروايات أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام مطّلعون على جميع عوالم الدنيا، السابقة منها والحاليّة والمستقبليّة؛ أي أنّ الولاية (التي هي مقام العبوديّة المحضة) هي من القُرب بحيث لا يفصل بينها وبين حضرة الحقّ تعالى أيّ فاصل، وحين يختصّ أحدٌ بذلك المقام فإنّه يحصل على إحاطة علميّة وحقيقيّة بجميع موجودات العالم.

عسى أن يأتي اليوم الذي نعرف فيه الإمام إن شاء الله تعالى وندرك فيه حقيقة هذه المسألة ، وندرك أنّ العالم جسم يمثل الإمام روحه ، وأنّ هذه الروح شاعرة عالمة مدركة ، بحيث تكون جميع أعمال الإنسان في محضرٍ من الإمام ومشهده ، لأنّه الكتاب المبين والكلمة الإلهيّة التي يُحصي الله تعالى فيها كلّ شيء .

ولقد أنشد ابن الفارض في ذلك إنشاداً لا أبدع منه ولا أروع :

١ ـ فَسِرْتُ إِلَى مَا دُونَهُ وَقَفَ الأُلَى
وَضَلَّتْ عُقُولٌ بِالعَوَائِدِ ضَلَّتِ

٢ ـ فَلَا وَصْفَ لِي وَالوَصْفُ رَسْمٌ كَذَاكَ الا
سْمُ وَسْمٌ فَإِنْ تَكْنِي فَكَنِّ أَوِ انْعَتِ

٣ ـ ومِنْ أَنَا إِيَّاهَا إِلَى حَيْثُ لَا إِلَى
عَرَجْتُ وعَطَّرْتُ الوُجُودَ بِرَجْعَتِي

٤ ـ وعَنْ أَنَا إِيَّايَ لِبَاطِنِ حِكْمَةٍ
وَظَاهِرِ أَحْكَامٍ أُقِيمَتْ لِدَعْوَتِي[1]

---

١ ـ «ديوان ابن الفارض» التائيّة الكبرى ، ص ٧٧ ، البيت ٣٢٤ فما بعد من التائيّة .
وشرح الأبيات بقلم المصنّف كالتالي :

١) فسرتُ في طريق الفناء في الذات ومقام الجمع ، فبلغتُ إلى حيث وقف السابقون من العلماء والحكماء دون الغاية وإلى حيث هلكتْ عقولٌ بضلالها بلحاظ المنافع والعوائد.

٢) وإذ وصلتُ هناك لم يبقَ لي عينٌ ولا أثر ولا وصف ولا صفة ، لأنّ الوصف أثر والاسم علامة،بينما لم يبقَ ما له أثرأوعلامة ؛ فإن شئتَ الإشارة كنايةً دون تصريح ، فكنِّ أو انعت .

٣ و ٤) ثمّ عرجتُ من مقام فناء عين التفرقة وبقاء أثرها إلى مقام فناء العين والأثر ، إلى حيث لا مقام فوقه ، ثمّ عدتُ من عروجي ومقامي ذلك إلى مقام التفرقة والجمع وحقيقة العبوديّة ، فعطّرت عالم الوجود برجعتي من خلال الحِكَم الخفيّة والأحكام الظاهريّة التي أُقيمت بدعوتي .

٥ ـ ومِــــنّي أَوْجُ السَّــــابِقِينَ بِــزَعْمِهِمْ
حَــضِيضُ ثَــرَى آثَــارِ مَــوْضِعِ وَطْأَتِـي

٦ ـ وآخِــرُ مَــا بَــعْدَ الإشَــارَةِ حَــيْثُ لَا
تَــرَقِّي ارْتِــفَاعٍ وَضْــعُ أَوَّلِ خُــطْوَتِي

٧ ـ فَــمَا عَــالِمٌ إلَّا بِــفَضْلِيَ عَــالِمٌ
وَلَا نَــاطِقٌ فِــي الكَــوْنِ إلَّا بِــمِدْحَتِي

٨ ـ ولَا غَرْوَ أَنْ سُدْتُ الأُلَى سَبَقُوا وَقَـد
تَــمَسَّكْتُ مِــنْ طَـهَ بِأَوْثَــقِ عُــرْوَةِ

---

٥) وأنّ غاية سير الذين خُيّل لهم أنّهم سبقوا إلى ذروة الكمال هو حضيض ما وطأتهُ قدمي في رجوعي .

٦) وآخر نقطة بعد الإشارة حيث لا سبيل للرقيّ فوقها ، هي أوّل موضع لقدمي وخُطاي .

٧) فلا عالِمٌ في عالم الوجود إلّا وصار ذا علم بفضلي ، ولا ناطق في العالم إلّا وهو يلهج بمدحي والثناء عَلَيّ .

٨) فلا عجبَ أنّي فقت السابقين وحزت السيادة عليهم ، لأنّي تمسّكتُ من رسول الله طه بأوثق عروة ومُستمسك .

المجلس الثالث والأربعون

الإمام المبين، وكتاب التكوين، ونسخة صحيفة الأعمال



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ.[1]

سبق أن ذكرنا أنّ للعالم الكلّيّ بدناً وجسداً ونفساً كما للإنسان بدن ونفس ، وأنّ بدن الإنسان ونفسه أُنموذج من بدن ذلك العالم الكلّيّ ونفسه . وكما تحصل في بدننا تدابير معيّنة ، وتقوم أعضاؤنا وجوارحنا بأعمال معيّنة تبعاً لحياة نفسنا وتدابيرها وإرادتها واختيارها ؛ فإنّ تغييرات وحوادث تحصل في العالم الكلّيّ وعالم الخلقة بواسطة حياة تلك النفس الكلّيّة الحاكمة على ذلك الجسد . وتُدعى تلك النفس الكلّيّة المسيطرة على العالم بالإمام ، أي الإمام المبين ، كما يُدعى عالم الخلقة وبناؤه الشامخ ـ العلويّ منه والسفليّ ـ بالكتاب المبين .

وقد دُعي بالكتاب باعتباره مجموعة كلمات لكلّ منها دلالة على ما

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

جبله الخالق في ذلك الموجود وما أودعه من أسرار، فجعله مظهراً لذاته وصفاته وكاشفاً عنها، بنفس الطريقة التي يُقرأ فيه الكتاب الخارجيّ المتضمّن لمجموعة كلمات حاكية عن المعاني الموجودة في ذهن كاتبه وكاشفة عنها.

كذلك الأمر بالنسبة إلى الموجودات الخارجيّة التي يحكي كلّ منها بدوره عن تلك الذات المقدّسة الخالدة التي أوجدته. وبهذا اللحاظ فإنّ كلّ واحد من الموجودات هو كلمة الله، ومجموع هذه الموجودات يُشكّل كتاب الله تعالى.

لذا فإنّ الإمام ـ وهو مقام الولاية الكلّيّة الأعلى من الزمان والمكان ـ يمثّل روح كتاب الخلقة والوجود وحقيقتهما. من هذا المنطلق فإنّ للإمام سيطرة على جميع الأفراد بما فيهم أهل الجنّة والنار، لأنّ جميع الموجودات منطوية في تلك الحقيقة الكلّيّة للولاية. فليس الأشقياء والجهنّميّون معزولين عن ذلك الكتاب، ولا سيطرة الإمام وولايته قاصرة عن أن تشملهم وتعمّهم، لكنّ الاختلاف يتجسّد في أنّ أصحاب اليمين والسعداء يصلون إلى أئمّتهم ويلحقون بهم ويرافقونهم إلى الجنّة. إلّا أنّ جميع هذه الأُمور ـ من حيث المجموع ـ تخضع لسيطرة وعلم وحياة وإرادة تلك الولاية الكلّيّة التي ترسل أهل الجنّة إلى الجنّة، وأهل النار إلى جهنّم.

وتتّضح هذه الحقيقة بجلاء من الروايات المستفيضة من العامّة والشيعة: **عَلِيٌّ قَسِيمُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ**.[١] وشرح هذه الجملة ذات المعاني الراقية يحتاج إلى كتب مطوّلة.

١ـ أوردنا في الجزء الأوّل من دورة «معرفة الإمام» بيانات عن سند هذا الحديث ودلالته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّ ذلك الكتاب الأصليّ هو تلك الموجودات ـ من مُلكيّة وملكوتيّة ـ التي تجسّد ظهور حقائق أعمال الإنسان . أمّا خصوص نتائج الأعمال التي يشاهدها الناس يوم القيامة (أي كتابهم وصحيفة أعمالهم) فتُستنسخ من ذلك الكتاب الأساس :

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[1]

وعلى هذا الأساس يجري استنساخ نسخة من الكتاب المبين الواقع تحت سيطرة روح الولاية الكلّيّة فيما يتعلّق بأصحاب اليمين ، فتتشخّص الأعمال المرتبطة بهم في ذلك الكتاب المبين ،كما يجري استنساخ نسخة لأصحاب الشمال والأشقياء ، ويعني ذلك أنّه سيتشخّص القدر المتعلّق بكلٍّ منهما من الكتاب المبين ، فيُدعى الأشقياء إلى كتابهم ، والسعداء أيضاً إلى كتابهم . وهذه الدعوة تحصل بواسطة إمامهم الذي ينبغي أن يلحقوا به ويرافقونه إلى الجنّة أو إلى النار ، سواءً كان إمام الحقّ أم إمام الباطل . وجميع أئمّة الحقّ وأئمّة الباطل الذين كانوا السبب في دعوة أصحاب الجنّة وأصحاب النار مندكّون ومنطوون في ذلك الكتاب المبين وفانون في تلك الولاية الكلّيّة .

وقد تبيّن ـ إذاً ـ بجلاء معنى : **هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ،كما تبيّن معنى الإمامة والولاية الكلّيّة ومقامها . أمّا الأئمّة الجزئيّون فينضوون بأجمعهم تحت مقام الولاية ويحتلّ كلّ منهم مقامه فيه . وسنذكر إن شاء الله تعالى في بحث الأعراف منزلة الأفراد القائمين على الأعراف والمشرفين على جهنّم والجنّة كلتيهما .

ونلحظ أنّ كثيراً من الآيات القرآنيّة قد عدّت الإمامة والولاية واحدة

١ـ النصف الثاني من الآية ٢٩ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

في المصداق ، أي أنّها عدّت الإمام وليّاً ، بَيدَ أنّها لم تعدّ كلّ وليّ إماماً . فقد ورد ـ مثلاً ـ في الآية الشريفة الواردة في ولاية رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام :

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ.[1] التعبير عن إمامتهم بالولاية ، إلّا أنّ الله تعالى لم يعبّر في أيّ موضع من القرآن الكريم عن ولايته بالإمامة ، كما لم يعبّر عن نفسه بالإمام : **هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ.**[2]

وليس لدينا أيّ تعبير ينسب الإمامة إلى الله عزّ وجلّ ، والسرّ في ذلك هو ضرورة وجود سنخيّة بين الإمام والمأموم ، لأنّ مفهوم الإمام هو الأُسوة والقدوة والقائد ، بينما المأموم هو المقتدي والمتأسّي الذي ينبغي له الاقتداء في جميع أفعاله بالإمام . لذا ينبغي في الإمامة والمأموميّة والائتمام وجود سنخيّة ومشابهة بين الإمام والمأموم ، أي أنّ جميع الأفراد الذين يقتدون بالإمام هم من البشر ، فتعيّن أن يكون النبيّ والإمام ـ بدورهما ـ من البشر : **قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ.**[3]

ومن ثمّ فلا إشكال في التعبير عن مقاماتهم بالإمامة ، وبأنّ لهم مقام الولاية إضافة إلى مقام الإمامة . أمّا الذات القدسيّة للحقّ المتعال فلا مسانخة لها مع المخلوق ، لذا فلا ندعو الله إماماً ، كما ليست الإمامة من مقامات الله ولا من صفاته وأسمائه ؛ إلّا أنّه تعالى وليّ ، لأنّ الولاية تعني كشف الحجاب بين شيئين بحيث لا يفصل بينهما ما ليس منهما ومن سنخهما .

١ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢ـ الآية ٤٤ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٣ـ الآية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف .

وقد عُبّر عن القُرب بين شيئينِ بهذه العناية بتعبير الولاية .

ومن هنا فإنّ إزالة الحجاب بين العبد وبين الله تعالى ، بحيث لا يبقى من العبد شيء في البين ، وبحيث يندكّ العبد ويفنى ويصل إلى مقام العبوديّة المطلقة ، سيوجب صدق معنى الولاية بالنسبة إلى ذلك العبد .

وقد عُبّر عن القُرب بين شيئين بالولاية ، كولاية الوليّ والمولّى عليه ، والولاية على الصغير ، والولاية على الأموال والأعراض ، وعُبّر عن ولاية الله على جميع الموجودات بالولاية التكوينيّة ، وعلى عباده المقرّبين بالولاية التشريعيّة .

وسيلحق المؤمنون يوم القيامة بأئمّتهم ويخضعون لولايتهم ؛ كما سيلحق الكفّار بأئمّتهم ويخضعون لولايتهم ، دون أن تعني التبعيّة والخضوع للولاية تصرّف أُولئك الأولياء بأوليائهم كما يحلو لهم ، أو إدخالهم إيّاهم بإرادتهم الجنّة أو النار ؛ بل معناها خضوع الأتباع لولاية أئمّتهم وانقيادهم لأوامرهم ونواهيهم في الدنيا وهي ولاية ستتجلّى يوم القيامة في خضوعهم لولاية أئمّتهم دون أن يمكنهم تجاوزها وتخطّيها .

ولدينا الكثير من الأخبار التي تبيّن هذا المعنى وتُظهر كيفيّة تصرّف الكفّار مع أئمّتهم يوم الجزاء ، حين يتّضح عجز أُولئك الأئمّة عن حلّ مشاكل أوليائهم وعن إيصالهم إيّاهم إلى بعض الدرجات والمقامات ، لأنّ ولايتهم تعني أنّ هؤلاء الأفراد قد سيقوا في الدنيا إلى جهات معيّنة فهم الآن ضمن تلك الجهات والحدود ، وأنّ ذلك السَوْقَ والانسياق سيتجليّان الآن في هيئة أنواع العذاب البرزخيّ والتبعيّة البرزخيّة .

هنالك حيث يتقدّم فرعون قومه فيتبعونه ويدخلون جهنّم فيُركمون فيها ، لقد كان فرعون مقدّم في هذه النشأة ، وهو كذلك مقدّم في تلك . وكما تصدّر قومه في دعوتهم لعبادة الأصنام وللفحشاء والمنكرات ،

فسيتصدّرهم هناك أيضاً ليصلى النار ويذوق صنوف العذاب .

وعليه ، فإنّ بحثنا هذا وقولنا بهيمنة أئمّة الحقّ ذوي مقام الولاية على جميع أئمّة الحقّ وأئمّة الباطل لا يتنافى مع ما ذكرنا سابقاً من أنّ الدعوة إلى الكتاب غير الدعوة للإمام . لأنّنا ذكرنا أنّ كلّ أُمّة تُدعى إلى كتابها إنّما تُدعى بواسطة أئمّة الحقّ أو أئمّة الباطل ، وعلّة عدم المنافاة هي أنّ نسخة من أعمال الأفراد سيجري استنساخها من الإمام المبين الذي يمثّل روح الكتاب المبين :

هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[1]

فأساس ذلك الكتاب الناطق بالحقّ هو اللوح المحفوظ الذي تُستنسخ منه الأعمال ، وهو ذلك الأصل المتبوع والإمام المبين ومقتدى البشر الذي تدور على محوره أُمور العالم ، حيث يتسلّم أهل الجنّة وأهل النار كتبهم بواسطةهذا الإمام وهذا الكتاب . بَيدَ أنّ ذلك الكتاب الذي يُدعون إليه ليس هذا الكتاب المعيّن ، بل نسخة مستنسخة منه تصبح كالطائر الذي يلازم عنق الإنسان ، وتدلّ على ذلك الآية القرآنيّة .

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ .

فالناس ـ إذاً ـ يُدعون إلى كتابهم بواسطة الكتاب الأصل الذي يمثّل الإمام المبين روحَه ، وهي نكتة جديرة بالتأمّل .

وخلاصة الأمر أنّ الناس صنفان : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ؛ ولا تعني تسمية أصحاب اليمين أنّهم يُعطون كتابهم بأيمانهم ، كما لا تعني تسمية أصحاب الشمال أنّهم يعطون كتابهم بشمالهم ؛ بل المراد بذلك أنّ كتب الصنف الأوّل تصلهم من جانب السعادة والرحمة

---

١ ـ الآية ٢٩ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

والعافية ، بينما كتب الصنف الثاني تصلهم من جانب الشقاء والشؤم واللؤم ؛ وأنّ صحيفة العمل هي نفس عمل الإنسان الذي جرى استنساخه ، ليواجه الإنسان بكلّ ما فعله في دار الدنيا .

وقد عبّرت الآيات القرآنيّة الواردة في أرجاء القرآن الكريم ، والتي تحدّثت عن إعطاء الأفراد كتابهم يوم القيامة ، عبّرت عن جهة الخير والرحمة باليمين ، وعن جهة الذلّ والنكبة والشقاء بالشمال ووراء الظهر ، مع أنّنا نعلم أنّ بعض آيات القرآن قسّمت الناس إلى ثلاثة أقسام ، وأنّ هناك فئةً ثالثة غير الفئتين الأُوليين :

وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ❁ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ❁ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ❁ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ❁ أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ.[1]

فالمقرّبون هم الذين سبقوا جميع القوافل وفازوا بقصب السبق عليهم ، وهم المقرّبون إلى حريم حضرة الحقّ تعالى . فأصحاب اليمين يُعطون كتابهم عن يمينهم ، وأصحاب الشمال يُعطون كتابهم عن شمالهم أو من وراء ظهورهم ، أمّا السابقون فليس لديهم كتاب أساساً . ومع أنّهم سبقوا أصحاب اليمين وحظوا بمقامات القرب الرفيعة ، إلّا أنّهم لا يُعطون كتاباً ، وهو ممّا يستدعي العجب ، لأنّ أصحاب اليمين يحصدون نتائج أعمالهم ، ويُوفّون كلّ ما فعلوا في الدنيا ، ويرون أنفسهم في المراحل التي اكتسبوا فيها ملكاتهم وصفاتهم . أمّا بالنسبة إلى المقرّبين فليس هناك شيء ، من هذا القبيل ، فهم لا يُعطون كتاباً وصحيفة عمل ، ولم يرد في القرآن الكريم ما يُشير إلى إعطاء المقرّبين كتاباً .

١ـ الآيات ٧ إلى ١١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

فما هو ـ يا ترى ـ ثواب هؤلاء الشرفاء الذين حظوا بقصب السبق من بين جميع أفراد البشر ؟

لدينا آيات قرآنيّة استثنت المقرّبين (أي المخلَصين ، بفتح اللام) ، وقد ذكرنا بالتفصيل في بعض الأبحاث السابقة أنّهم طائفة مستثناة من كثير من الأُمور ، كما أنّ الحكم العامّ للجزاء والثواب والإحسان الذي يُعطى للمحسنين لا يشملهم . ونتطرّق فيما يلي إلى ذكر ذلك بإجمال .

لدينا الآية القرآنيّة الكريمة : **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**.[1]

والآية القرآنيّة : **وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**.[2]

وباعتبار أنّ الآية المباركة : **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ** ،[3] قد ذكرت أنّ جميع من على الأرض فانٍ وميّت إلّا وجه الله ، فيتّضح أنّ الآمنين من الفزع والهلاك المسبّب عن نفخ الصور هم الأفراد الذين يدعون بـ «وجه الله» .

كما ورد في موضع آخر : **فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ**.[4]

أي أنّ العباد الذين أتمّوا دورة الإخلاص وتخطّوا مقام المخلِصين (بكسر اللام) وتجاوزوا المجاهدات النفسانيّة فصاروا مطهّرين منزّهين ،

١ـ الآية ٨٧ ، من السورة ٢٧ : النمل .

٢ـ الآية ٦٨ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣ـ الآيتان ٢٦ و ٢٧ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

٤ـ الآيتان ٨٢ و ٨٣ ، من السورة ٣٨ : ص .

لا سبيل للشيطان للوصول إليهم. يُضاف إلى ذلك أنّ المخلَصين هم الذين يحمدون الحقّ تعالى كما هو أهله:

سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ. [1]

أي أنّ جميع الأفراد ـ عدا هذه الفئة ـ لا يحمدون الله ولا يثنون عليه كما هو أهل له من الحمد والثناء.

ولدينا أيضاً: **فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ.** [2]

أي أنّ جميع الناس يُحضرون للحساب والعرض في محضر الحقّ تعالى عدا عباد الله المخلَصين.

وأساساً فإنّ أهوال يوم القيامة وزمن الحساب المتطاول لخمسين ألف سنة، وسائر مواقف القيامة لا تشمل المَخلَصين والمقرّبين ولا حضور لهم فيها، وعليه يتّضح أنّه ليس لهم صحيفة أعمال، وحيث لا قيامة لهم، فلا يمين ولا شمال ولا حساب ولا كتاب. لماذا؟ لأنّ صحيفة الأعمال تتعلّق بالأعمال، والحساب يتعلّق كذلك بالأعمال.

وغالباً ما يكون المقصد من أعمال الناس هو الحصول على نتيجة وجزاء ذلك العمل ـ خيراً كان أو شرّاً ـ لذا تعطى لهم صحيفة أعمالهم ليوفّون حقيقتها الملكوتيّة.

أمّا **عباد الله المخلَصين** فلم تكن أعمالهم لتحقيق أيّ قصد وهدف معيّن، بل كانت خالصة لوجه الله الكريم ـ وكلامنا هنا يخصّ المقرّبين والمخلَصين ـ وما فعلوه فلم يفعلوه بأنفسهم، بل كان الله تعالى هو الفاعل لتلك الأعمال. أفللّه كتاب وصحيفة أعمال؟!

١ـ الآيتان ١٥٩ و ١٦٠، من السورة ٣٧: الصافّات.

٢ـ الآيتان ١٢٧ و ١٢٨، من السورة ٣٧: الصافّات.

إنّ مَن تخطّى مرحلة الإخلاص وفني في ذات الله وتمحّض وجوده وسرّه من شوائب الاثنيّنيّة، وانتمى إلى عالم التوحيد المطلق، فقد انتفى تعيّنه ووجوده فليست له بعدُ آثار وجوديّة وصحيفة العمل من جملتها.

المخلَصون وما أدراك ما المخلَصون، أُولئك الذين انتهى قوس صعودهم في معرفة ذات الحقّ وطيّ درجات القُرب، فامّحوا في ذات الحضرة الأحديّة. على أنّ حركتهم لم تكن في حال النزول وطيّ قوس نزول مراتب ما دون الذات، ليعودوا إلى تلك المرتبة ويفنوا فيها، بل كانت بداية حركتهم من الذات، ثمّ إنّهم شرعوا بطيّ قوس الصعود في العالم الأدنى (أي عالم الطبع) ثمّ تخطّوا الأسماء والصفات الإلهيّة وفنوا فيها وصولاً إلى الفناء في ذات الحقّ تعالى. وهؤلاء المخلَصون يسكنون حرم الله، ويحظون بقُربه والأُنس به، وهو وليّهم. فمن أيّ جهة إذاً سيُعطون كتابهم؟ في حرم الله سبحانه لا وجود لزمان ومكان ولا جهة ولا جانب ولا يمين ولا شمال وجنوب ولا أعلى وأسفل، إذاً فكيف ستكون صحيفة الأعمال؟

فإن كانت تفصيلاً للحقيقة الملكوتيّة للأعمال، للزم ظهور حقائق الأعمال في الصقع الربوبي وفي جهة الذات الأحديّة، بَيدَ أنّه ليس في محضر الله وفِنائه صورة وشكل ومادّة ومعنى، ولا من تفصيل وتجزئة. لذا لا وجود هناك لكتاب وصحيفة عمل، وعموماً لا يوجد للمقرّبين كتاب. ونلحظ أنّ القرآن لم يذكر لهم كتاباً ولا صحيفة عمل.

لقد وصل عباد الحقّ المخلَصين خلال طيّهم لطريق السلوك إلى حيث فنوا في ذات الحقّ تعالى، وفنيت أسماؤهم وآثارهم، فلم يبق منهم عينٌ ولا أثر، فلقد فنيت صفاتهم في صفات الحقّ، وفنيت ذواتهم في ذات الحقّ، فهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً من إرادة واختيار وفعل، فقد صار الحقّ في وجودهم المريد والمختار والفاعل. إذ سلّموا كلّ وجودهم

إلى الله تعالى ، فصار سبحانه هو الوجود في وجودهم . ولقد تخطّوا وجودهم في مقابل وجود الحقّ سبحانه ، ووهبوا أنفسهم له ، فأصبح الله تعالى هو جزاؤهم وهو ديتهم .

ولقد جسّدت الأبيات المعدودة التالية في وصف سيّد الشهداء عليه السلام هذه الحقيقة أبدع تجسيد :

شاهان همه به خاک فکندند تاج‌ها
تا زیب نیزه شد سر شاه جهان عشق
بر پای دوست سر نتوان سود جز کسی
کو را بلند گشت سر اندر سنان عشق
از لامکان گذشت به یک لحظه بی‌بُراق
این مصطفی که رفت سوی آسمان عشق
شاه جهان عشق که جانانش از اَلَسْت*
گفت ای جهان حسن فدای تو جان عشق
تو کشتهٔ منی و منم خونبهای تو
بادا فدای تو کون و مکان عشق[1]

---

١ ـ «دمع السجوم» هامش ص ١٩٦ .

يقول : «ألقى الملوك إلى الأرض تيجانهم ، حين زيّن الرمحَ رأسُ ملك عالم العشق .
ولن يمرّغ أحدٌ جبينه على قدمَي الحبيب ، إلّا الذي رُفع رأسه عالياً على رمح العشق .
لقد تخطّى اللا مكان في لحظةٍ بلا بُراق ، هذا المصطفى الذاهب إلى سماء العشق .
ولقد قال مِلك عالم العشق منذ «أَلَست» * يا عالَم الحُسن فداك روح العشق .
أنت قتيلي وأنا ديتُك ، فليكن فداك ـ إذاً ـ عالم العشق» .

* ـ إشارة إلى الآية القرآنيّة ١٧٢ ، من السورة ٧ : الأعراف : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ـ الآية .

وهذه الأُمور ممّا يختصّ بها المقرّبون، فهم -إذاً- لا يمتلكون كتاباً.

وعليه: فما هو مصير كدحهم وأعمالهم في الدنيا وصلاتهم وصيامهم وجهادهم، وما تحمّلوه من مصائب وشدائد ومحن؟

لمن خلق الله الحور العين والجنان والنسائم والأنهار الجارية، والأنهار الأربعة: نهر العسل المصفّى، ونهر الخمر الذي جُعل لذّة للشاربين، ونهر اللبن الذي لا يتغيّر طعمه، ونهر الماء الذي لا يأسن؟

ولمن عين الزنجبيل والماء الممزوج بالكافور؟

ولمن عين السلسبيل وماء الكوثر؟

إنّها لهم، ولكن ليس في حال الفناء، بل في حال البقاء بعد الفناء وفي مقام جمع الجمع. أي أنّهم سيتمتّعون بهذه النعم في عين الفناء والاستغراق في الذات الأحديّة، وسيحظون خلالها بالتمتّع بجمال الله. كما خُلقت هذه النعم لأصحاب اليمين المتلذّذون بها بدون الاستغراق في الذات الأحديّة.

وخلاصة القول أنّ هذه النعم هي في الحقيقة جزاء الحركة والسلوك ولا تشمل مَن في الحَرَم، فالعشق والحماس والحركة تكون في مرحلة السلوك، أمّا في مرحلة العرفان فليس هناك من عشق ولا حماس. لذا فإنّ من يصبح -بعد طيّ مرحلة السلوك- عارفاً بالله تعالى ومن عباد الله المقرّبين المخلَصين، فلا حركة له بعد، إذ ليس في مرحلة العرفان أيّ حزن أو فرح، أو خوف أو أمل، ولا وجود للإحساس بالعلم أو القدرة أو الوجود.

ولقد أجاد ابن الفارض في وصف بعض حالات المخلَصين عند الفناء:

١ ـ أَمَـمْتُ إِمَـامِي فِـي الحَـقِيقَةِ فَـالْوَرى
وَرَائِـي وَكَـانَتْ حَـيْثُ وَجَّـهْتُ وِجْـهَتِي

٢ ـ يَــرَاهـا أَمَـامِي فِـي صَـلَاتِي نَـاظِرِي
وَيَشْــــهَدُ فِـــي قَـلْبِي إِمَـامَ أَئِــمَّتِي

٣ ـ وَلَا غَــرْوَ أَنْ صَــلَّى الإِمَـامُ إِلَـيَّ أَنْ
ثَــوَتْ فِـي فُـؤَادِي وَهْـيَ قِـبْلَةُ قِـبْلَتِي

٤ ـ وَكُلُّ الجهاتِ السِّتِّ نَحْوِي تَـوَجَّهَتْ
بِــــمَا تَـمَّ مِـنْ نُسْكٍ وَحَـجٍّ وَعُــمْرَةِ

٥ ـ لَــــهَا صَـلَواتِــي بِـالمَقَامِ أُقِــيمُهَا
وَأَشْــــهَدُ فِــيها أَنَّــهَا لِــيَ صَــلَّتِ

٦ ـ كِــلانَا مُــصَلٍّ وَاحِــدٌ سَــاجِدٌ إِلَـى
حَــقِيقَتِهِ بِـالجَمْعِ فِـي كُـلِّ سَــجْدَةِ[1]

---

١ ـ «ديوان ابن الفارض» التائيّة الكبرى ، ص ٦٠ فما بعد ؛ البيت الأوّل هو البيت ١٤٨ من التائية .

١) حين استغرق وجودي في الوجود المطلق وفي ذات الحضرة الأحديّة ، فـقد زال رسم الاثنينيّة بيني وبين إلهي ، لذا فقد ائتممت في صلاتي ـ في حقيقة الأمر ـ بإمامي الذي هو ذات الحقّ ، ووجّهت وجهي إليه فأضحت جميع الموجودات ورائـي ، الإمـام مـنهم والمأموم . ولأنّه صار في قلبي ، فأينما وجّهت وجهي كانت تلك وجهتي .

٢) تراه عيني أمامي في صلاتي ، ويشهد قلبي أنّه إمام أئمّتي .

٣) ولا عجب أن صلّى الإمام باتّجاهي ، لأنّ الله تعالى استقرّ في قلبي ، فذاته القدسيّة جلّ وعلا هي قبلةُ قبلتي .

٤) وتوجّهت نحوي الجهات الستّ (اليمين والشمال ، والأمام والخلف ، والأعلى والأسفل) بجميع الآثار والخصائص الموجودة فيها من العبادة والحجّ والعُمرة .

٥ و٦) صلاتي التي أُقيمها في مقام إبراهيم أُقيمها له ، وأشهدُ في ذلك المقام أنّه ⇦

٧ ـ مُـنِحْتُ وَلَاهَا يَـوْمَ لَا يَـوْمَ قَـبْلَ أَنْ
بَـدَتْ عِـنْدَ أَخْـذِ العَـهْدِ فِـي أَوَّلِـيَّتِي

٨ ـ وَهِمْتُ بِهَا فِـي عَـالَمِ الأَمْـرِ حَـيْثُ لَا
ظُـهُورٌ وَكَـانَتْ نَشْـوَتِي قَـبْلَ نَشْأَتِـي

٩ ـ فَأَفْنَى الهَـوَى مَـا لَـمْ يَكُـنْ ثَـمَّ بَـاقِياً
هُـنَا مِـنْ صِـفَاتٍ بَـيْنَنَا فَـاضْمَحَلَّتِ

١٠ ـ فَأَلْـفَيْتُ مَـا أَلْـقَيْتُ عَـنِّيَ صَـادِرَاً
إِلَـيَّ وَمِـنِّي وَارِدَاً بِـمَزِيدَةِ

١١ ـ وَشَاهَدْتُ نَفْسِي بِالصِّفَاتِ الَّتِي بِـهَا
تَـحَجَّبَتْ عَـنِّي فِـي شُـهُودِي وَحَـجْبَتِي

⇦ صلّى لي ، لأنّ الأشباح الظاهرة ظِلال ساجدة للأرواح الباطنة ، ولأنّ المحبّ ـ باعتبار الجمع ـ هو عين المحبوب ، وباعتبار التفرقة غيره ، ولأنّ التفات المحبّ إلى المحبوب فرع التفات المحبوب إلى المحبّ . فيمكن القول ـ إذاً ـ إنّنا كلانا مصلّيان نسجد في كلّ سجدة في مقام حقيقة جمعه .

٧) لقد مُنحت مقام قربه وولايته في أوّل نقطة إيجادي ونشأتي ، حين ظهرت الأشياء بطريق المعلوميّة من ذات الحقّ ، وتشكّل عالم الأمر قبل عالم الخلق ، وقبل أن يخلق الله اليوم بعدُ ، ولم يكن قد أخذ العهد في عالم الميثاق .

٨) ولقد ولهت بمحبّته وتحيّرت في عالم الأمر ، إذ لم يكن لذاتي ولا لصفاتي ظهور في عالم الخلق ، فنشوتي وسُكري به وُجدا قبل نشأتي في هذا العالم .

٩) فأفنى ذلك الهوى الذي وجدتُه في عالم الأمر تجاه ربّي ، تلك الصفات التي حدثت بيننا في عالم الخلق (والتي ليس لها ثبات في عالم الأمر) ، فاضمحلّت تلك الصفات وفنتْ ، فصرت مع تلك الذات القدسيّة كما كنتُ أوّل الأمر .

١٠) وبعد أن اضمحلّت صفاتي في عالم الفناء ، عدتُ إلى عالم البقاء فشاهدت تلك الصفات التي ألقيتها وتخلّيت عنها لزيادتها ، قد صدرت منّي إليّ ووردت عَلَيّ . ⇦

١٢ ـ وَأَنَّــى الَّــتِي أَحْــبَبْتُهَا لَا مَــحَالَةً
وَكَــانَتْ لَــهَا نَــفْسِي عَــلَيَّ مُــحِيلَتِي

١٣ ـ فَهَامَتْ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِ وَهْيَ فِي
شُــهُودِي بِــنَفْسِ الأَمْــرِ غَــيْرُ جَــهُولَةٍ

١٤ ـ جَلَتْ فِي تَـجَلِّيهَا الوُجُـودَ لِـنَاظِرِي
فَــفِي كُــلِّ مَــرْئِيٍّ أَرَاهَــا بِــرُؤْيَةِ

وأنّى للمقرّبين والمخلَصين الغارقين في بحار أنوار الذات الأحديّة ، والمدهوشين بكلّ وجودهم في التجلّيات الذاتيّة ، أن ينشغلوا بالآثار والتجلّيات الصفاتيّة عن ذواتهم ؟ إذ الانشغال بذواتهم ـ بعد بقائهم بالله تعالى ـ هو عين الانشغال بالذات ، إلّا أنّه قبل البقاء موجب للمحجوبيّة عن الذات ، فهو لا يمثّل إلّا سدّاً لطريق الوصول بالنسبة إلى السالك الذي يلتهب عشق الله في كلّ كيانه ووجوده ويذيبه كالشمع ويجعله يصرخ : **وَاجْعَلْ قَلْبِي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً**.[1] وما الذي يفهمه عاشق الله ـ يا ترى ـ من الحوريّة ؟ وما الذي يدركه من جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ؟

⇦ ١١) وشاهدتُ نفسي (حال شهودي) بصفاتها التي احتجبت بها عنّي الذات الأحديّة المقدّسة.

١٢) وشاهدتُ أنّ نفسي ـ يقيناً وضرورةً ـ هي الذات ، وأنّ نفسي في معرفة الذات قد أحالتني على نفسي.

١٣) فتولّهت به نفسي فجأة خلال بحثها عنه ، بينما كان ـ في الحقيقة ـ مشهوداً لي ، ولم يكن هذا الأمر خافياً عن نفسي.

١٤) فكشفت تلك الذات القدسيّة في تجلّيها في الوجود المطلق الستارَ أمام عيني ، فصرتُ أراها عياناً في كلّ مرئيّ ومُشاهَد.

١ـ من فقرات دعاء كميل الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام يكثر قراءته ، ثمّ علّمه لكميل بن زياد النخعيّ.

فهو يركل كلّ نيّة وقصد ـ غير لقاء الله تعالى ـ بنداء :

إلَهِي ! مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ وَلَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ بَلْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ . [1]

ويدرك أنّ المضمار الوحيد للعمل والطاعة والعبادة هي في وجوديّة ذات الحقّ تعالى ، فيحظى ـ في هذا الميدان ـ بقصب السبق على أهل العالم . وحين يُنهي امرؤ ما تحصيلاته الدراسيّة ، فما الذي سيعنيه ـ بعدُ ـ وقوفه في مصافّ أطفال الصفّ الأوّل الابتدائيّ ؟

إنّ عبادة الحقّ وطاعته على أساس من الخوف من النار والطمع في الجنة ليست عبادةً للحقّ ، بل عبادة للنفس وقواها النفسانيّة . وعليه فإذا عَبَدَ أحد ما الله سبحانه بهذه النيّة ، فسيُعطى كتابه من تلك الجهات ، أمّا مَن عَبَدَ الله تعالى لذاته القدسيّة العديمة الجهة والتعيّن ، فمن أين سيُعطى كتابه ؟ إنّ كتابه وصحيفة عمله يجسّدان نفس واقع الأمر وحقيقته ، أي الذات القدسيّة للحقّ تبارك وتعالى . لقد بادل السالك العاشق نفسه بالله تعالى لا بالآثار والنعم ، ولم يعبد إلّا ذاته المقدّسة ، فكانت جنّته هي اندكاكه في الذات القدسيّة والمحو والفناء في الأنوار القدسيّة والتجلّيات الذاتيّة .

ووفقاً للآية الشريفة : **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ**

١ـ «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥١١ ، طبعة الكمبانيّ . من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد نقل المجلسيّ هذا الكلام عن «شرح نهج البلاغة» لابن ميثم البحرانيّ ، ج ٥ ، ص ٣٦١ ، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة ٢٣٧ من باب الحكم : «إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار ، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد ، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار» . ثمّ نقل المجلسيّ رحمه الله عن ابن ميثم قوله : أي لأنّه مستحقّ للعبادة . ثمّ يقول ابن ميثم : وقال عليه السلام في موضع آخر : إلهي ! ما عبدتك خوفاً من نارك ... إلى آخره .

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ،[1] فإنّ الذات القدسيّة للحقّ تعالى ستكون جنّته العليا.

من كه امروزم بهشت نقد حاصل مى‌شود
وعدهٔ فرداى زاهد را چرا باور كنم[2]

ولا تعني مقولة «إنّني بادلتُ نفسي بالله تعالى» اكتسابي شيئاً من صفاته وأسمائه، وادّعائي لنفسي أُلوهيّته، فذاك ادّعاء باطل، بل تعني تصديقي وإذعاني واعترافي بأنّي لا شيء مقابل نور الله، وأنّ أسماءك ـ يا إلهي ـ هي الأسماء العظمى، وصفاتك كذلك. ولقد كان يخيّل لي حتّى الآن أنّي ذو أثر وصفة، وأنّي سرقتُ قدراً من صفاتك وأسمائك فنسبتُها لنفسي. وكان يخيّل لي حقيقة أنّ لي وجوداً وأصالة واسماً وصفةً، لكنّي ـ وقد طويت المسير بحبّك ومن أجل لقائك فقبلتني وأعززتني ـ قد أدركتُ أنّي لا شيء وأنّي لا أملك شيئاً، وأدركتُ أنّ ذلك القدر من الوجود الذي كنت أعدّه لنفسي كان نابعاً من الفرعونيّة، لأنّك أنت إلهي في عالم الوجود لا غيرك.

نيست جز فقر در طَيلسانم نيست جز عجز طيّ لسانم
سفله‌تر از همه ناكسانم راست گويم خسى‌ازخسانم
پرده زين سو بدان سو هوايم[3]

١ـ الآية ١١١، من السورة ٩: التوبة.

٢ـ «ديوان حافظ الشيرازي» ص ١٥٧، طبعة پژمان.

يقول: «حين أحصل اليوم على الجنّة نقداً، فلماذا أصدّق وعد الزاهد حين يُحيلني على الغدّ؟».

٣ـ «ديوان حبيب» للمرحوم آية الله الحاج الميرزا حبيب الله الخراسانيّ، ص ٥٤، فما بعد، وهذه الأشعار مقتطفات من أشعاره. ⇦

من ز خود هست وبودی ندارم من ز خود ربح و سودی ندارم
من ز خود تار و پودی ندارم من كه از خود نمودی ندارم
بیخودانه چسان خود نمایم

بنده را پادشاهی نیاید از عدم کبریائی نیاید
بندگی را خدائی نیاید از گدا جز گدائی نیاید
من گدا من گدا من گدایم

بنده‌ام گر بخویشم بخواند رانده‌ام گر ز پیشم براند
آستانم چو بر در نشاند پاسبانم چو بر ره بماند
هر چه گوید جز او را نشایم[1]

⇐ يقول : «لا شيء إلّا الفقر في طيلساني ، وإلّا العجز طيّ لساني .. ولأقل الحقّ ، فأنا أسفل من كلّ السفلة ، وأتفه مقاماً من التافهين

يتقاذفني هواي من صوبٍ لآخر»

١ـ يقول :«لا أملك لنفسي وجوداً،ولا أملك من نفسي خسارةً ولا ربحاً .. ولا أملك في نفسي سدىً ولحمة* ، ولا أثراً ومظهرا .

فأنا ـ إذاً ـ أظهر نفسي عبثاً

لا يليق رداء المملوكيّة بالعبد ، ولا تليق الكبرياء بالعدم المحض .. ولا تليق الأُلوهيّة بالعبد ، ولا يجدر بالشحّاذ إلّا الاستجداء

أنا شحّاذ أنا شحّاذ أنا شحّاذ

إن دعاني إليه كنتُ عبده ، ولو نهرني كنت طريداً شريدا .. ولو أوقفني حاجباً لصقت ببابه كالإطار ، ولو توقّف في الطريق كنت حارساً وخفيراً

إذ لا يجدر بي إلّا أن أكون ما يدعوني»

* سدىً : تعني خيوط الطول للنسيج ـ لحمة : تعني خيوط العرض منه (المنجد) .

گر بخواند بخويشم فقيرم	ور براند ز پيشم حقيرم
گر بگويد اميرم اميرم	ور بگويد بميرم بميرم
بندهٔ حكم و تسخير رأيم

از عدم حرف هستى نشايد	دعوى كبر و مستى نشايد
خاک را جز كه پستى نشايد	از فنا خودپرستى نشايد
من فنا من فنا من فنايم

بندهام ره به جائى ندارم	عقل و تدبير و رائى ندارم
در سر از خود هوائى ندارم	ره به دولت سرائى ندارم
در گه دوست دولت سرايم

بندهام با دو صد عيب و علّت	عجز و خوارى و زارى و ذلت
با همه شرمسارى و خجلت	اى خداوند اقبال و دولت[1]

١ـ يقول : «لو دعاني باسمي كنت فقيراً ، ولو طردني كنت في ذاتي حقيراً .. لو دعاني أميراً صرتُ حقّاً أميراً ، ولو أمرني بالموت متُّ وفنيت

فأنا لحكمك عبد ولرأيك قِنٌ* مملوك

لا يليق بالعدم حديث الوجود ، ولا يليق به ادّعاء الكبر والسكر .. لا يليق بالتراب إلّا الذلّ والضعة ، ولا يليق بالفناء عبادة النفس

أنا عدم أنا عدم أنا عدم

أنا عبدٌ ليس لي حيلة أو سبيل ، ولا عقل لي ولا رأي ولا تدبير .. لا ادّعاء لي في نفسي ، ولا سبيل لي إلى بلاط السلطان

لأنّ فِناء الحبيب عندي بلاط السلطان

أنا عبدٌ تعُدّ بالمئات عيوبي ، وعجزي وذلّي وهواني .. ولكن ، أيّها الإله المهيمن ⇦

*قِنٌ : عبد مُلِك هو وأبواه (المنجد) .

نـيست جـز بـر درت الـتـجايم

مـن اگـر بـا تـو هـمراه بـاشم از دل خـويش آگـاه بـاشم
در ره بـندگی شـاه بـاشم در صـف كَـانَ لِـلّه بـاشم
تـو مـرائـی اگـر مـن تـرايـم

ای غـمت مـايهٔ شـادمانی يـاد روی تـو روز جـوانـی
وصـل تـو دولت جـاودانـی تـار زلف تـو سـبعُ المـثانی
لعـل دلجـويت آب بـقايم[1]

وهناك طائفة أُخرى ليس لهم صحيفة أعمال ـ عدا المقرّبين والمخلَصين ـ فمن هم ؟

ذكرنا أنّ المقرّبين هم الذين ارتقوا إلى الذروة فتخطّوا المراتب واجتازوا الاسم والأثر ، وارتفعوا إلى ما فوق مستوى العمل ، وفي المقابل ، هناك طائفة أُخرى انحطّت إلى أن أصبح أفرادها أدنى درجة من البهائم ،

⇐ الحاكم ، مع كلّ عاري واستحيائي»

١ ـ يقول : «ليس لي ـ إلاّ إلى بابك ـ التجاء

لو قُدّر لي أن أكون معك ، ولو أدركت ما في نفسي .. لكنتُ في طريق العبوديّة ملكاً ، وكنت في مصاف مَن كَانَ لِلّه

أنت أنا ، لو كنتُ أنا أنت

يا من غمّك مدعاة للسرور ، وذكرى طلعتك أيّام الشباب .. يا من وصلك حكومة دائمة ، وطرّتك السوداء سبعُ المثاني

ياقوتتك المحبوبة لي ماء البقاء والخلود»

حيث أضاعوا من وجودهم جميع صفات الله وأسمائه ، وانغمروا في الشهوات ، مصرّين على غفلتهم وإعراضهم عن الله تعالى ، فتخطّوا بذلك مرتبة العمل وترسّخت القبائح والمنكرات في وجودهم وأصبحت جزءاً من ذواتهم .

لقد أفسد هؤلاء سرائرهم وبواطنهم من خلال إصرارهم على إنكار الله ورسوله وعدائهم للصالحين من عباد الله ، ونصب العداوة لهم ، فتسبّب ذلك في سريان القبائح من ظواهرهم إلى بواطنهم ، وصار وجودهم منبعاً للشرور ومصدراً ترشح عنه المنكرات والجنايات الظاهريّة والباطنيّة .

وأمثال هؤلاء لا كتاب لهم ، لأنّ الكتاب وصحيفة الأعمال لمن قبائحه ضمن حدود الأعمال ، لا في مرتبة ذاته وفي درجة كينونة ماهيّته وحقيقته . وقد عبّرت الآيات القرآنيّة عن هؤلاء الأفراد بالذين حبطت أعمالهم ، أي الذين أُبطلت أعمالهم : **أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ** .

وأصحاب هذه الطائفة جهنّميّون بحيث إنّهم يجسّدون حقيقة جهنّم وصُلبها ، إذ ليست جهنّم إلّا ظهوراً لذواتهم . كما أنّ دركاتهم ومراتبهم أسفل وأكثر عمقاً من دركات جهنّم وأهلها العاديّين ، فإذا بدرت ـ مثلاً ـ خيانة من عقيد في الجيش ، فإنّه لا يُسجن مع الجنود العاديّين الخائنين ، بل يُساق إلى سجنٍ يتناسب مع درجة جرمه وجنايته .

وعليه فليس لهؤلاء كتاب ، ولا يعطون كتابهم من جهة الشقاء .

أمّا أصحاب اليمين فهم من المحسنين ، إلّا أنّ إحسانهم لم يسرِ إلى ذواتهم وبواطنهم ، لأنّهم لم يبيعوا أنفسهم لله بيعاً تامّاً ، وإلّا لكانوا من المقرّبين . لو كان التفاتهم إلى الحقّ قد بلغ درجة كبيرة ، وغفلتهم كانت قليلة يسيرة ، فهم إذاً من السعداء .

وأمّا أصحاب الشمال فهم الذين غالباً ما اتّبعوا سبيل المعاصي

والجرائم في دنياهم ، إلّا أنّهم كانوا يعملون أعمالاً حسنة أحياناً ، وربّما كانوا من أهل الخير ، غير أنّ حبّهم للّه تعالى لم يبلغ درجة كبيرة ، فاستحقّوا العقاب على أعمالهم السيّئة ، وصار عليهم أن يصْلوا النار ـ ولو إلى مدّة ـ جزاءً وفاقاً .

وأمّا من أنكروا الحقّ وجحدوه من الأساس ، فلن يُؤاخَذوا على أعمالهم ، بل على حقيقتهم .

ولدينا في الروايات أنّ الحبط ليس سارياً بشكل دائم ، فما الذي يعنيه ذلك يا ترى ؟ إنّه يعني أنّ كلّ عمل من الأعمال الذميمة لا يمحو الأثر الحسن للأعمال الصالحة . فلو صلّينا اليوم صلاةً ـ مثلاً ـ وحصلنا على ثوابٍ ما ، ثمّ أذنبنا بعد ذلك ذنباً ، فإنّ ذلك الذنب لن يمحو أثر تلك الصلاة ، وستبقى تلك الصلاة محفوظة مع ذلك الأثر في موضعهما ، كما سيبقى الذنب وأثره محفوظين في موضعها .

ومن ثمّ فإنّ الأعمال الحسنة والأعمال السيّئة لا تُحبط بعضها ، وستُحفظ الأعمال الصالحة في مواضعها إلى يوم القيامة ، كما ستُحفظ الأعمال الطالحة في مواضعها ، إذ ينبغي مجازاة الإحسان بالإحسان ، والإساءة بالعقاب .

وسيتعرّض المذنبون لأهوال المحشر وشدائده ، وللوقوف في ساحة العرض ، وللمكث في جهنّم في خاتمة المطاف مقابل الأعمال السيّئة التي اجترحوها ، وصولاً إلى تطهيرهم وتزكيتهم ، ثمّ يدخلون الجنّة بعد ذلك جزاءً على ما فعلوا من الأعمال الحسنة .

فالحقّ ـ إذاً ـ أن لا يُفْسَدَ عمل معيّن يقوم به المرء إثر عمل آخر ، وعلى الإنسان أن لا يقنط أبداً من رحمة الله ، فإن أذنب وهاله ذنبُه ، فلا يقولنّ إنّ جميع أعماله الحسنة التي قام بها قد حبطت وذهبت أدراج

الرياح .

بَيدَ أنّ هنالك بعض الموارد يسري فيها قانون الحبط وهي مستثناة من هذه القاعدة العامّة بحيث إذا ما فعل الإنسان عملاً معيّناً فإنّ جميع أعماله ستضيع وتحبط بلا استثناء .

وأحد هذه الموارد : الشرك بالله تعالى واعتبار غيره مؤثّراً في الذات أو الصفة أو الفعل .

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ.[1]

وعلّة الحبط في هذا المورد أنّ الأعمال الصالحة لها وجود حسن في عالم التوحيد ؛ وحين ينظر امرؤ ما إلى الحقّ المتعال بغير نظرة التوحيد ، حيث يعدّ له شريكاً في عمله وينسب أفعالَ الحقّ وآثاره الأصليّة الأصيلة إلى الغير الذي ليس في حقيقة الأمر سوى ظلاًّ للّه وفقيراً إليه، وليس له وجود حقيقيّ ، بل اعتباريّ فانٍ، فمهما بدا في الظاهر عظيماً وكبيراً إلّا أنّه سيفقد قيمته في عالم الواقع والحقيقة .

مَثَل هذا الشخص مَثَل غلام يسعى بجدّ في خدمة مولاه ، فيكنس البيت ، ويسقي الأشجار والورود ، ويرشّ فناء الدار بالماء ، ويُشعل أعواد البخور في أرجاء البيت ، وينثر العطر وماء الورد هنا وهناك ؛ لكنّه بالرغم من كلّ هذه الخدمات يضمر لمولاه صاحب الدار حقداً وعداوة ، وينتظر الفرصة لقتله واغتياله . فهل تكون لهذه الخدمات قيمة عند مولاه ؟

لقد كان كنس السجّاد وتعطير الغرف من أجل الراحة ؛ أمّا إذا قرّر ذبح صاحب البيت على هذه السجاجيد وضمن هذه الغرف ، فهل سيكون

١ـ الآية ٦٥ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

لعمله هذا من قيمة عند مولاه ؟

والنتيجة الحاصلة فإنّ كلّ عمل خير سيكون محكوماً بالبطلان إذا اقترن بالشرك الذي هو بمثابة إعلان الحرب على المالك الأصليّ للعالم.

الثاني: الكفر ؛ أي أنّ من يكفر بالله ورسوله، وينكر حقّانيّة رسول الله ورسالته، فإنّ أعماله ستحبط، لأنّ إنكار الرسول المُرسَل من قِبَل الله تعالى بمثابة إنكار المُرسِل سبحانه:

وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.[1]

ولهذه الآية نظائر أُخرى في القرآن الكريم تتحدّث عن موارد الكفر.

الثالث: الارتداد ؛ أي العودة عن الإسلام، والكفر بعد الإيمان.

وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[2]

ومن الجدير هنا أن نذكر معنى الارتداد وآثاره بإجمال ؛ فالمرتدّ هو الذي يرجع عن الإسلام، وفيه حالتان، إمّا أن يعود المرتدّ إلى الإسلام من جديد، أو يبقى مصرّاً على ارتداده.

أمّا في الحالة الأُولى، وهي عودته إلى الإسلام من جديد بحقيقة التوبة، فإنّ توبته ستكون مقبولة، ومصيره إلى الجنّة، سواءً أُجري في حقّه حكم الإسلام أم لم يُجْرَ، لأنّ إجراء حكم الارتداد لا علاقة له بقبول التوبة الصادقة. فالتائب فيما بينه وبين الله تعالى ستكون توبته مقبولة بلحاظ الواقع، سواءً في ذلك كان المرتدّ رجلاً أم امرأة، فطريّاً أم ملّيّاً.

١ـ المقطع الأخير من الآية ٥، من السورة ٥: المائدة.

٢ـ المقطع الأخير من الآية ٢١٧، من السورة ٢: البقرة.

أمّا بلحاظ الظاهر ، أي بلحاظ إجراء حكم الإسلام الظاهريّ ، فإنّ المرتدّ على صنفين :

الأوّل : المرتدّ الفطريّ .

والثاني : المرتدّ الملّيّ .

فالمرتدّ الفطريّ هو الذي انعقدت نطفته من أبوين كلاهما أو أحدهما مسلم ، فيكون انعقاد نطفته على فطرة الإسلام وجبلّته ، لأنّ الطفل يتبع أشرف الأبوين ، أي المسلم من الأبوين ـ سواءً الأب أَمْ الأُمّ ـ فيكون الطفل تابعاً له في إسلامه وغير تابع للآخر الكافر ، حتّى لو كان الكافر أباه .

ومن هنا فإنّ من تنعقد نطفته من أبوين مسلمين ، أو من أب مسلم أو أُمّ مسلمة ، فإنّ نطفته ستنعقد في الإسلام . فإن ولد الطفل في هذه الحالة ثمّ أدرك سنّ البلوغ وصار مسلماً ثمّ ارتدّ عن الإسلام ، فسيكون قد ارتدّ عن فطرة الإسلام ، أي عن الفطرة والجبلّة التي طُبع عليها . فإن ثبت ارتداده في محكمة شرعيّة عند حاكم مسلم ، كان جزاؤه القتل . هذا إن كان المرتدّ رجلاً ، أمّا لو كان المرتدّ امرأةٍ ، فإنّ الحاكم المسلم لا يأمر بقتلها ، بل يأمر بحبسها وضربها على الصلوات في مواعيدها حتّى تفيء من الكفر إلى الإسلام .

أمّا المرتدّ الملّيّ ، فهو المرتدّ الذي انعقدت نطفته من أبوين كافرين ، ثمّ نشأ وترعرع حتّى حان بلوغه فاعتنق الإسلام . سواءً في ذلك أسلم أبواه وهو صغير فتبعهما في إسلامهما ، أم بقيا على كفرهما فتبعهما في الكفر ثمّ أسلم بعد بلوغه وتمييزه . فإن ارتدّ كافراً بعد إسلامه دُعي بالمرتدّ الملّيّ ، أي المرتدّ بعد بلوغه عن ملّة الإسلام وشريعته ، لا عن فطرة الإسلام وجبلّته .

فإن تاب هذا المرتدّ وعاد بنفسه إلى الإسلام ، فلا يُحكم بقتله في المحكمة الشرعيّة ، سواء كان المرتدّ رجلاً أم امرأة . أمّا لو لم يَتُب وأصرّ على كفره فإنّه لا يُقتل بل يُستتاب ، فإن تاب قُبلت توبته ، وإن أصرّ على ارتداده فإن كان رجلاً قُتل ، وإن كان امرأة حُبست وأُجري بحقّها أحكام المرتدّة **الفطرية** حتّى تُسلم أو تموت في الحبس . وبطبيعة الحال فإنّ جميع هذه المسائل هي بلحاظ حكم الإسلام الظاهريّ وإجراء الحدّ ، والتأديب من زاوية القوانين الجزائيّة الإسلاميّة ، أمّا بلحاظ الباطن فإنّ المرتدّ لو تاب وعاد إلى إسلامه ، فإن توبته ستكون مقبولة ، ومصيره سيكون إلى الجنّة حتّى لو أُجري في حقّه الحكم الظاهريّ للإسلام فحُبس أو قُتل .

أمّا لو مات المرتدّ أو قُتل دون أن يتوب ، حبطت أعماله وخُلّد في جهنّم مدحوراً .

وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ.[1]

أي أنّ جميع الأعمال الحسنة التي فعلوها في الدنيا ستحبط آثارها الدنيويّة والأُخرويّة .

الرابع : التكذيب بآيات الله ولقائه .

هناك فئة من الناس يكذّبون بالله ولقائه ، ويحبّون أن يكتشفوا خللاً في نواميس الدين وقوانينه ، ويسعون جاهدين للعثور على إشكال في القرآن الكريم أو في كلام رسول الله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، ويقولون في تكذيبهم لآيات الله ولقائه : إنّ طريق الله مسدود ، وأن لا معنى للقاء الله والمعاد .

١ـ الآية ٢١٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

وإن كانوا يدّعون الإسلام ويتلبّسون بردائه ، إلّا أنّهم يقولون مثلاً : «لقد فاه النبيّ بهذا الكلام الذي لا حقيقة له لمصلحةٍ ما . إنّنا نعتقد بالإسلام ، لكنّه في وضعه الحالي دين ما قبل ألف وأربعمائه سنة ، لا يصلح لهذا العصر ، وينبغي تغيير أحكامه وفق أحكام الغرب المعاصرة المقبولة» .

ويقولون : «لقد كان نبيّ الإسلام مفكّراً ونابغة من النوابغ ، وقد أراد إصلاح المجتمع لذا تحدّث عن الجنّة والحور ليكفّ الناس عن الاعتداء وتخطّي العدالة ، ولينصرفوا للعبادة على أمل نيل تلك النعم ، وحبّاً للفوز بتلك اللذّات . كما أنّه تحدّث عن نار جهنّم ليخافوا فلا ينحرفوا عن صراط العدل في المجتمع ، لكنّ كلّ ذلك لا حقيقة له ولا أصالة» . وهؤلاء ممّن ستحبط أعمالهم مهما كانت ذات منفعة عامّة .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا.[1]

ولهذه الآية الشريفة نظائر أُخرى في القرآن الكريم .

لقد تحدّث المتأثّرون بالغرب من أصحاب ربطات العنق عند التوقيع على قوانين النهضة الدستوريّة باسم حرّيّة القلم والبيان ، وشرعوا بنشر السخافات في الجرائد ، فكان أوّل حديثهم السخرية بالنبيّ والأئمّة والدين والإيمان والقرآن . وكانوا يكتبون كلّ يوم فصلاً مشبعاً في هذا المجال .

أوردت جريدة «ناهيد» ـ ولا أعلم هل صاحبها على قيد الحياة أم لا ـ أشعاراً تحطّ من قدر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتهزأ به ، ومنها

١ـ الآيات ١٠٣ إلى ١٠٥ ، من السورة ١٨ : الكهف .

هذا البيت :

جار زد آن جارچی مسخره الدُّنيا مزرعة الآخرة[1]

كما صدرت في «كلكتا» جريدة «الحبل المتين» وأوردت كلّ مرّة فصلاً في التهجّم على الدين والنبيّ والإيمان ، وفي انتقاد مجالس العزاء والبكاء على سيّد المظلومين : سيّد الشهداء عليه السلام ، وفي السخرية من حجاب النساء المسلمات وعفّتهن . فتأمّلوا في أشعار «إيرج ميرزا» وكيف أُغرم بصور الغرب وثقافته بحيث صار يعتبر عُري المرأة دليلاً على حرّيّتها وتكاملها ورقيّها .

ولقد سخر هؤلاء بالعلماء والفقهاء ، بحيث وصل الأمر بالمرحوم الآخوند الملّا محمّد كاظم الخراسانيّ رحمة الله عليه ـ الذي كان من زعماء النهضة الدستوريّة والموقّعين عليها ـ إلى العزم على السفر من النجف إلى إيران ، فأرسل برقيّة من مائتي كلمة تفيض بالتهديد يقول فيها : **فليذهب عشّاق مدينة العشق إلى باريس وليبعدوا عن البلاد !** والمقصود من مدينة العشق مدينة «عشق آباد» التي كانت مقرّاً لهذه الفرق الضالّة . وإثر هذه البرقيّة جرى إبعاد دعاة التحرر وإخراجهم بأجمعهم من إيران من أجل تهدئة الأوضاع ، والحديث في ذلك طويل .

ثمّ عزم رحمه الله على السفر إلى إيران ، فقيل إنّه في الليلة التي قرّر السفر فيها دُسّ له السمّ ففارق الحياة صبيحتها ، لماذا ؟ لحرف الأفكار عن مجراها الأصيل . **ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ** .[2]

ولقد ارتكبوا ما ارتكبوا فحرموا الجميع طوال سبعين سنة ـ باسم

١ـ يقول : «نادى ذلك المُنادي المُضْحك : الدنيا مزرعة الآخرة» .

٢ـ مقطع من الآية ١٤٧ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الحرّيّة ـ من حقوقهم البديهيّة، وانهالوا بالهراوات على رؤوس الناس ليكفّوا عن الأصالة والحقيقة، وسعوا إلى إشغالهم وخداعهم بألفاظ الحرّيّة الجوفاء التي لا محتوى لها. فهؤلاء أعمالهم حابطة، وليس لهم يوم القيامة كتاب.

مَثَل فعلهم كمثل عود ثقاب تشعلونه في مخزن للكتب، فهو كافٍ لإحراق الجميع. ولو كان المرء عالماً مثقّفاً مجدّاً قد دوّن عدّة كتب، فإنّ عود ثقاب واحد كافٍ لجعل ذلك طعمة للحريق في لحظة واحدة. ولو حزم المرء كتبه الخطّيّة في صرّة ثمّ ألقاها في النهر، فإنّ تلك الكتب التي دوّنت خلال فترة مائتي سنة ـ مثلاً ـ ستكفيها لحظة واحدة لتغرق وتضيع. وهذا هو معنى الحَبْط وكيفيّته.

فلا عجب ـ إذاً ـ من أنّ عملاً صغيراً له القدرة على إتلاف عمل مائتي سنة، إذ إنّ كلمة كفر واحدة يتفوّه بها المرء، تجعله كافراً جهنّميّاً، وزلّةً واحدة من على قمّة جبل أو إهمالاً وعبثاً بسيطاً يمكن أن يهوي به إلى قعر وادٍ مخوف تنسحق فيه عظامه، فيُقبر هناك إلى الأبد. **ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**[١].

إنّ أخسر الناس وأفرغهم وفاضاً هم الذين تنتهي جميع نشاطاتهم ومساعيهم وآمالهم الشخصيّة في الحياة الدنيويّة الوضيعة، فيُخيّل لهؤلاء المساكين أنّهم كانوا منشغلين بأعمال الخير، مع أنّهم سيخرجون صفر اليدين لأنّهم لم يفعلوا شيئاً في سبيل الله تعالى لينفعهم في عاقبة الأمر، ولأنّهم لم يتنازلوا عن شخصيّاتهم وغرورهم وعُجبهم.ولم يعملوا من أجل نيل رضا الله عزّ وجلّ، وطيّ طريق لقائه والتقرّب لساحته.

فكانت العاقبة أن صارت أعمالهم لا تساوي في عالم الحقائق ومعيار

١ـ الآية ١٠٤، من السورة ١٨: الكهف.

الواقع شروى نقير ، ولو كانت أعمالاً ضخمة مقبولة عند عامّة الناس ، لأنّها صدرت من نفوس مستكبرة ، ولأنّها استهدفت كسب الوجاهة لدى الناس . وستضيع أعمال أمثال هؤلاء وتفنى في العاقبة ، ولن يكون لهم ثمّة عمل ليُذكر في كتابهم .

وسنذكر في بحث الميزان إن شاء الله تعالى أنّ ميزان بعض الناس ثقيل ، وميزان البعض الآخر خفيف ، أمّا هذه الفئة فلا ميزان لها مطلقاً : **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا.**[١]

والعلّة في ذلك أنّهم كانوا يعترضون على الله ورسوله ، ولأنّ السعي واللهاث خلف الشهرة والجاه منعهم من الاستسلام لأمر الحقّ تعالى ، وأعمى أبصارهم عن مشاهدة الحقيقة ، فصارت تلوح خلال كلامهم مطالب تُفصح عن إنكارهم وعنادهم .

يقولون : نحن نعتقد بالقرآن ، بَيدَ أنّنا لا نفهم هذه الآية :

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.[٢]

ويكذبون ، لأنّهم يدركون معناها ويفهمونها حقّ الفهم ، إذ ليست هذه الآية بمعزل عن سائر الآيات القرآنيّة ، كما أنّها لم تنزل بلغةٍ أُخرى مختلفة .

وقد نشرت قبل أيّام مقالة في جريدة «اطّلاعات» اليوميّة ،[٣] طُبعت في أربعة أو خمسة أعداد تضمّنت ترجمة لوصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام كتبها في «حاضِرَيْن» ، وكانت

١ـ مقطع من الآية ١٠٥ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢ـ الآية ٣٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٣ـ جريدة «اطّلاعات» العدد ١٥٩٢٣ ، ١٦ مرداد ، سنة ٥٨ ، ص ٩ .

الترجمة جيّدة وسلسة ، إلّا أنّ المترجم قد ارتكب سرقة خلال الترجمة ، فحذف فقراتها الأخيرة التي تتحدّث عن حجاب النساء ولم يذكر اسمه :

وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.[1] وهي سرقة صريحة في وضح النهار .

ونتساءل : لو أردتم ترجمة كلام أمير المؤمنين لقيل إنّكم تقومون بترجمة كلامه ، إلّا أنّكم لا تعتقدون بهذه الفقرات ، وأنّ مفاد هذه الفقرات هي على عاتق أمير المؤمنين وليس على عاتقكم . أمّا حين تقومون بترجمة هذه الوصيّة من بدايتها إلى نهايتها ثمّ تُسقطون منها الفقرة التي لا تنسجم مع ذوقكم ، فإنّ ذلك يُعدّ سرقة وتصرّفاً في كلام الآخرين .

هذا هو التأثّر بالغرب الذي تفوح روائحه العفنة من مسيرة خمسمائة فرسخ . يقولون : إنّنا لا نفهم آية : **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ.**[2]

ونجيب : لا شكّ أنّكم لا تفهمون ، ليست هذه الآية فقط ، بل وكثيراً من الآيات القرآنيّة الأُخرى ، ولو كنتم تفهمونها حقّ الفهم لا عتقدتم بها ولعملتم بمضمونها . إنّكم لم تمسّوا القرآن ولم تشمّوا عبقاً من عبيره ، ولا تفهمون ما يتعارض مع طبعكم .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ.[3]

ونظير هذه الآية ، الآية رقم ٨ ، من نفس السورة : **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ.**[4]

١ـ «نهج البلاغة» الرسالة ٣١ ، الفقرة الأخيرة .

٢ـ مقطع من الآية ٢٢٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ الآية ٩ ، من السورة ٤٧ : محمّد .

٤ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٤٧ : محمّد .

وخامساً: من الأُمور التي تسبّب إحباط الأعمال، التجاسر على النبيّ والأئمّة ومقام الولاية وما شابه ذلك:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.[1]

فلو قال رسول الله ـ مثلاً ـ افعلْ هذا الأمر ولا تفعل ذاك! فلا تصرخ قائلاً: ليس هذا بالصواب! وحين يجلس رجلان عند رسول الله فيُصغي إلى كلامهما، فلا تتدخّل وتقول بصوت عالٍ خشن: إنّ هذا صادق في كلامه، وذاك كاذب. ولا تقل أمام رسول الله: «إنّنا سنفعل هذا الأمر ولا نفعل ذاك»، لأنّ عليك أن تدرك أنّه رسول الله، وأنّ التقدّم عليه في الرأي والقول والفكرة تقدّم على الحقّ، وأنّ هذا التقدّم هو عين الضلال، ومدعاة لإحباط مثوباتك وأعمالك، مهما كنت غافلاً وتحسب أنّ صراخك ورفعك صوتك وتقديمك رأيك أمر يرتبط بشخصيّتك ومقامك.

سمعتُ أحد الثقات يقول: «ذهب أحد المعمّمين يوماً لعيادة المرحوم العلّامة الأمينيّ رحمه الله في منزله المؤقّت في طهران في منطقة «پيچ شميران»، وكان العلّامة صاحب «الغدير» مريضاً قد رقد على ظهره وثقل عليه المرض، فتحدّث معه وكان من بين كلامه أن قال له: سماحة الشيخ! إذا لم يكن المرء محبّاً لأبي الفضل العبّاس ـ مثلاً ـ فمن أين سيتأثّر إيمانه سلباً؟

فتغيّر حال العلّامة ونهض جالساً بالرغم من مرضه وقال:

١ـ الآيتان ١ و ٢، من السورة ٤٩: الحجرات.

«دع عنك أبا الفضل عليه السلام ! فلو لم يكن لديك حبّ لخيطان حذائي ، أنا الخادم من خدّام أبي الفضل بسبب خدمتي لأبي الفضل ، لأكبّوك ـ واللهِ ـ على وجهك في نار جهنّم !» .

وإلى هنا ننهي البحث عن صحيفة الأعمال وتطاير الكتب ، وسنتحدّث في المجلس القادم إن شاء الله تعالى عن موضوع الشهادة . هذا وقد بقي من هذا البحث نكتة في آية الطائر نجعلها خاتمة البحث .

وآية الطائر هي الآية الكريمة :

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا.[1]

وهذه الآية الشريفة لاتقول : **ونخرجه يوم القيامة كتاباً** ، بل تقول : **وَنُخرِجُ لَهُۥ... كِتَـٰبًا** ؛ والسرّ في ذلك هو أنّ أعمال الإنسان التي يفعلها كلّ ساعة وكلّ يوم لها صورة خارجيّة ولها أثر نفسانيّ ، وهذا الأثر والنتيجة والحاصل النفسانيّ ـ لا نفس الأعمال ـ هو الذي يلازم نفس الإنسان .

افرضوا ـ مثلاً ـ أنّ نجّاراً يقوم بصناعة سرير وكرسيّ من الخشب ، فإنّ ما سيبقى في نفس النجّار ، الأثر الذي حصل في نفسه نتيجة هذا العمل ، والأمر على هذا النحو بالنسبة إلى الحائك الذي يحترف حياكة السجّاد ، والبنّاء الذي يبني مسجداً ، حيث إنّ أفعالهم لن توجد في نفوسهم في صورها الخارجيّة ، وما سيلازم نفوسهم إنّما هو روح تلك الأفعال وحقيقتها . ويتمثّل المراد بتعبير **طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِ** بهذه النتيجة والأثر النفسيّ للعمل .

على أنّ الإنسان يشاهد يوم القيامة نفس الأعمال التي فعلها في

١ـ الآية ١٣ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

الدنيا، إذ إنّ طائر الإنسان يلازمه في الدنيا وعند الموت وفي البرزخ وفي المحشر، وسيُشاهد المرء يوم القيامة بهذه النفس ـ التي يلازمها هذا الطائر ـ عين عمله وقد نُشر للعيان؛ ومفاد آية: **وَنُخْرِجُ لَهُۥ... كِتَـٰبًا** هو نفس مفاد آية: **وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ**.[1] ويستفاد من آية: **ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**.

إنّ هذا الكتاب هو غير الكتب والصحائف العاديّة التي تُعطى للناس فيقرأونها، ولو كانت كذلك لأمكن لجميع الناس قراءتها ومحاسبة بعضهم البعض الآخر. ولكن يتّضح من قوله **ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** أنّ المراد هو الاطّلاع والهيمنة والتسلّط الذي يحصل لكلّ نفس على أعمالها. فالمراد ـ إذاً ـ من أمر «**ٱقْرَأْ**» هو قراءة النفس المنسجمة مع ذلك العالم. وهذه الآية في مصافّ الآية الشريفة: **يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**.[2]

فهنيئاً للذين سلّموا قلوبهم إلى الله سبحانه، وجعلوها سجلّ تدوين تجلّيات الحقّ الجماليّة والجلاليّة، وللذين يخلو كتابهم من غير الله وذكره. نسأله تعالى بحقّ الأطهار والواصلين إلى حريم قدسه أن يعبر بنا من الغفلة والحُجب الظلمانيّة والنورانيّة، وأن يجعل قلوبنا مركزاً للحقّ، فلا يدوّن في صحائفنا غير ذلك المحبوب الأزليّ الأبديّ.

رهى باشد از اين ماتم به آن سور
نمى‌دانم كه نزديک است يا دور[3]

١ـ الآية ١٠، من السورة ٨١: التكوير.

٢ـ الآية ١٣، من السورة ٧٥: القيامة.

٣ـ «ديوان حبيب» للمرحوم الميرزا حبيب الله الخراسانيّ، ص ١٩٩.

بـــود دل مـــنزل حـــقّ ليك مـــا را
بود تـا دل حـجابى سـخت مسـتور
برو ويرانـه كـن دل را كـه چـون دل
شـــود ويـــرانـه گـردد بـيت مـعمور
طـــــواف و ســـير گِـرد خـانهٔ دل
بودحجّى كه مقبول است و مشكور
گناهى جز خودى نبود چو خـود را
رهـا كـردى تـو در ذنب تـو مـغفور
بخوان از دفترِ دل هر چـه خـواهـى
كه دل را خوانده ايزد لوح مسـطور
بدين دفـتر شـود اسـرار حـقّ ثـبت
كه‌خوانندش به مصحف رقّ منشور
در اين مُصحف كه انسانست نامش
بـــخوان از ســـورهٔ دل آيـهٔ نــور[1]

⇦ يقول : «هناك طريق من هذا المأتم إلى ذلك الحفل البهيج ، لكنيّ لا أعلم أبعيدة هي الشُقّة أم قريبة» .

١ ـ يقول : «إنّ القلب منزل الحقّ ، لكنّنا محجوبون عنه بحجاب وسترٍ مستور .
فاذهب وخرّب القلب ، فسيصبح في خرابه كالبيت المعمور .
وطف حول منزل القلب ، فهو حجّ مقبول ومشكور .
ليس لك ـ إلّا نفسك ـ ذنبٌ ، فإنْ تخلّيتَ عنها صار ذنبك مغفوراً .
واقرأ في دفتر القلب ما شئت ، إذ دعاه الله لوحاً مسطوراً .
فهو دفتر تُسجّل فيه أسرار الحقّ ؛ دفترٌ دُعي في القرآن رقّاً منشوراً .
فاقرأ في هذا المصحف المسمّى إنساناً ، واتلو من سورة القلب آية النور» .

دل است آن وادى ايـمن كـه گـويد
انَا اللهْ ، حـقّ در او ، از آتش طـور[1]

بـمحمّد وآله الطـاهرين ، وصـلّى اللـه عـليهم أجـمعين ، وارحـمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

١ـ يقول : «القلب هو الوادي الأيمن الذي يقول من نار الطور ـإذ الحقّ فيه ـ أنا الله» .

المجلس الرابع والأربعون

الشهادة على الأعمال، ومواصفات الشهود



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.[1]

لقد انتهى بحثنا حول الكتاب وصحيفة العمل ، ونتحدّث الآن حول موقف آخر من مواقف القيامة ، وهو موقف الشهادة ، حيث تدلّ آيات القرآن الكريم والروايات الواردة من مصادر النبوّة والإمامة على أنّ من مواقف القيامة موقفاً يُشهد فيه على أعمال الإنسان وينبغي أن نرى أوّلاً ما معنى الشهادة ، وكيفيّتها ؛ ـ وثانياً ـ ما هي الأُمور التي تجري الشهادة في شأنها ، ـ وثالثاً ـ مَن هم الشهداء وما هي الشروط التي يجب أن تتوفّر فيهم .

يستفاد من الآية التي مرّت في مطلع البحث أنّ الكتاب يُوضَع فيؤتى بالأنبياء والشهداء للشهادة ، بينما تكون الأرض قد خرجت من ظُلمتها

---

١ ـ الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

وعتمتها فأشرقت . ثمّ يُقضى بين الناس في حضور الأنبياء والشهداء ومع وجود الكتاب ، دون أن يلحق بأحد حيف أو جور .

وكما ذكرنا سابقاً فإنّ ذلك سيحصل : **يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ** ،[١] أي يوم تُبدّل الأرض بأرض أُخرى فتظهر روحها وحقيقتها مشرقة مضيئة ، ثمّ تُنشر مجدّداً الأعمال التي فعلها الإنسان على هذه الأرض فتُطوى الواحد تلو الآخر و يخُيّل للإنسان يومذاك أنّها ضاعت .

فيتبدّل يومئذٍ ذلك الخفاء والعتمة نوراً وإضاءة وإشراقاً . أي أنّ ذلك الكتاب وتلك الأعمال التي فعلها الإنسان على الأرض ستظهر وتشرق وتتجلّى .

ثمّ يؤتى بالأنبياء والشهداء للشهادة على أعمال الإنسان ، فيُقضى بينهم . أي يُقضى على الإنسان بالحكم الذي يجسّد نتيجة أعماله التي ارتكبها ، ثمّ يُعرّض للجزاء المنسجم مع ذلك الحكم .

والشهادة تعني الحضور ؛ والشهيد والشاهد بمعنىً واحد ، ويُقال للشهيد في المعركة شهيداً لأنّه يحضر في محضر الحقّ تعالى حين يرحل عن الدنيا،فيصبح حيّاً مخلّداً ؛ أو أنّه بمعنى اسم المفعول ـ لأنّ القتيل بمعنى المقتول ـ أي أنّ الملائكة تحضره عند موته ، فهو مشهود أمام صفوف ملائكة الرحمة ، وهذا هو معنى الشهادة .

عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ.[٢]

وتدعى الشهادة شهادةً لأنّ الشاهد يحضر فيشهد ؛ لذا يقال للشاهد شهيداً . وللشهادة مرحلتان : مرحلة التحمّل ، ومرحلة الأداء .

١ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢ـ مقطع من الآية ٤٦ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

فإن أراد المرء الشهادةَ في أمر معيّن ، فعليه ـ أوّلاً ـ أن يذهب فيرى ذلك الأمر ويشاهد عياناً خصوصيّاته التي يريد الشهادة بشأنها ، ثمّ عليه بعد ذلك أداء الشهادة عند القاضي . ويُدعى الذهاب والرؤية والاطّلاع على تلك القضيّة تحمّلاً للشهادة ، بينما تدعى الشهادة عند القاضي أداءً للشهادة .

وإذا شاء شخص ما الشهادة في الموضوعات المختلفة ، فالواجب أن يكون مطّلعاً على حقيقة تلك الموضوعات ، فإن شاء ـ مثلاً ـ الشهادة عند القاضي أنّه رأى زيداً في الساعة الفلانيّة وفي المكان الفلانيّ ، فينبغي له أن يكون قد رأى زيداً في تلك الساعة وذلك المكان . وسيدعى ذهابه إلى ذلك المكان ورؤيته زيداً هناك في تلك الساعة تحمّلاً للشهادة ، لأنّه حصل من خلال ذلك على علم واطّلاع في ذلك الشأن ، ثمّ إنّه يأتي إلى القاضي فيشهد بما رأى ، لأنّ الرؤية هي موضوع الشهادة .

أمّا لو أراد أداء الشهادة بأنّه رأى زيداً يصلّي ، فإنّ قيداً قد أُضيف في هذه الحال إلى أساس الرؤية . وينبغي أن يكون قد تحمّل الشهادة على هذه الكيفيّة . أي ينبغي أن يكون قد ذهب فرأى زيداً يصلّي ، ليأتي ـ من ثمّ ـ فيشهد بذلك ، فإن كان قد رأى زيداً في غير حال الصلاة ، عجز عن الشهادة بأنّه رآه يصلّي .

ولو أراد كذلك أداء الشهادة عند القاضي بأنّه رأى زيداً يصلّي مؤدّياً مستحبّات الصلاة ؛ كأن يكون قد ارتدى عمامةً وبسط سجّادة يصلّي عليها ، وتختّم في يده اليمنى بخاتم من عقيق ، وكان نظره في صلاته إلى موضع سجوده ، وغير ذلك من المستحبّات ، فينبغي أن يكون قد شاهد زيداً يصلّي مع جميع هذه الأوصاف والخصوصيّات . فيمكنه ـ بعد ذلك ـ الشهادة بكلّ واحدة من الخصوصيّات التي عاينها ، من التعطّر ولبس الخاتم وغير ذلك . فإن لم يكن قد عاين واحداً من تلك الخصوصيّات ، تعذّرت

عليه الشهادة في تلك الخصوصيّة .

ولو شاء ـ مثلاً ـ أن يشهد عند القاضي بأنّ زيداً كان يصلّي مؤدّياً جميع الآداب المستحبّة والخصوصيّات المذكورة بحضور قلب والتفات كامل إلى الحقّ تعالى ، بحيث إنّ فكره وذهنه ملتفتان إلى الله تعالى ، وأنّه نوى بعمله ذاك القُربة إليه سبحانه ، لا رياءً وسمعةً ولا خدعة وتصنّعاً ، وأنّه كان يصلّي للّه وفي سبيل الله بحضور قلب والتفات ذهن ؛ فإنّ عليه أن يرى زيداً حال الصلاة مع تلك المستحبّات ، ويرى ـ كذلك ـ أنّ لزيد حضور قلب والتفات ذهن إلى الله تعالى وفي سبيل الله ، ليأتي ـ في المرحلة اللاحقة ـ فيشهد عند القاضي ، وإلّا تعذّرت عليه الشهادة .

ومن الجليّ ـ بطبيعة الحال ـ أنّ مثل هذه الشهادة على حضور قلب زيد في الصلاة لا تتيسّر لأيٍّ كان . فأنّى للمرء أن يعلم أنّ زيداً كان يصلّي بحضور قلب ؟! إذ لو كان زيد قد أصلح ظاهره ووقف تجاه القبلة للصلاة ، ناظراً إلى محلّ سجوده ؛ فإنّ ظاهره الحسن لا يدلّ على التفات ذهنه وحضور قلبه . فقد يخضع البدن وتسكن الحواسّ ، إلّا أنّ الذهن يبقى مضطرباً مشوّشاً .

ويجب على من يريد الشهادة على حضور قلب زيد في الصلاة أن يكون مطّلعاً على قلب زيد ، عالماً بالخطرات المارّة على ذهنه ، وإلّا تعذّرت عليه الشهادة بذلك .

وبعد أن اتّضح هذا الأمر نشرع بالكلام عن شهادة الأنبياء والشهداء يوم القيامة حين يريدون الشهادة على أعمال الناس . فأيّ شهادة هي يا ترى ؟

أيشهدون بأنّ زيداً وقف للصلاة متّجهاً إلى القبلة ؟ أم يشهدون بأنّه صلّى صلاة صحيحة بحضور قلب والتفات ذهن وقصد قربة ؟

من الواضح أنّ الأمر الأخير هو المقصود، إذ لا قيمة لنفس الصلاة لو جُرّدت من روحها وشرائطها المعنويّة. فصلاة الرياء صلاة مرفوضة وغير مقبولة. فالصلاة التي يضطرب الذهن خلال جميع حركاتها وسكناتها وأقوالها وأفعالها، حتّى خلال تكبيرة الإحرام فيها، والتي يكون المرء خلالها هدفاً لهجوم الأفكار والخواطر المشوّشة مرفوضة وباطلة.

وعلى هذا الأساس فإنّ الخصوصيّات الواقعيّة لهذه الصلاة ولهذا الصيام والحجّ والجهاد ولكلّ عمل يفعله الإنسان يجب أن تكون مشهودة للشاهد، وأن يكون الشاهد حاضراً أثناء وقوع الواقعة ليتحمّل الشهادة قبل أدائها. ويتوجّب أن يتحلّى بهذه الخصوصيّة،من يتحمّل الشهادة على أعمال الإنسان يوم القيامة.

ونلحظ ـ من جهة أُخرى ـ أنّ القرآن الكريم يقول بأنّ الشهداء والنبيّين يشهدون على عمل الإنسان، فيجب ـ إذاً ـ أن يكونوا حاضرين معه.

وحين يشهد الأنبياء والشهداء على كلّ واحد من أفراد الأُمّة، فيتّضح أنّهم حاضرون مع كلّ فرد في كلّ لحظة من حياته، الحاضر والغائب، الموجود والمعدوم. وأنّهم حاضرون في الخلوة والجلوة، والنوم واليقظة، والحركة والسكون، وفي الكسب والعمل، خارج البيت وداخله، وأنّهم مطّلعون على جميع خصوصيّات أعمال الإنسان. وهذا الأمر لا يختصّ بفرد واحد أو فردين، بل يشمل جميع أفراد الأُمّة، الغائب منهم والحاضر.

وإنّنا نرى أنّ الأفراد العاديّين عاجزون عن الشهادة في جميع شؤون الحاضرين حولهم وخصوصيّاتهم فضلاً عن الغائبين، وكذلك عاجزون عن بيان خصوصيّات الشهادة على النوايا القلبيّة والوجه الباطني والحقيقيّ للأعمال خلال الأزمنة والأمكنة القريبة، فضلاً عن الأزمنة والأمكنة

المتباعدة .

إذاً فشهادة الأنبياء والشهداء على أعمال أُممهم ، بما فيهم الحاضر والغائب ، القريب والبعيد، شهادةً على حقيقة أعمالهم لا على ظاهرها، وذلك ممّا لا يتيسّر لكلّ أحد .

ويجب أن يكون الشهود ممّن يستوي لديهم الغيب والحضور ، والخفاء والعلن ، والقريب والبعيد ، والظاهر والباطن ليمكنهم تحمّل الشهادة وأداءها في المرحلة اللاحقة . أي أن يكونوا ممّن لهم اطّلاع على الضمائر والسرائر ، وعلى الأسرار والأفهام ، مثل اطّلاع الإنسان على نفسه .

إنّنا مطّلعون على أنفسنا وعلى نوايانا وأعمالنا ، ونعلم ماذا فعلنا في الساعة الفلانيّة والمحلّ الفلانيّ ، وماذا كانت نيّتنا ، وقصدنا من ذلك العمل ، ونعلم مدى حضور قلبنا أثناء الصلاة التي صلّيناها ، وهل كان سلامنا على زيد للّه تعالى أو لقصد دنيويّ ، ونعلم قصدنا من الاحترام والتبجيل الذي أبديناه لفلان ، ولو خفي ذلك على أصحابنا ورفقائنا .

بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ.[1]

ويجب أن يكون أُولئك الشهداء المقتدرون الذين يشهدون يوم القيامة مطّلعين على أعمال كلّ فرد من أفراد الأُمّة الذين يريدون الشهادة عليه ، أكثر من اطّلاع ذلك الفرد على نفسه .

وتتّضح أجوبة هذه المسائل تلقائيّاً من المطالب التي أوردناها سابقاً وذكرنا فيها أحوال المقرّبين والمخلَصين وخروجهم عن حدود الزمان والمكان وبلوغهم مقام التجرّد ، وأن لا سبيل للشيطان عليهم ، وأن ليس لهم حساب ولا كتاب ولا عرض ولا حضور، وأنّهم يجدون سيطرة

١ـ الآيتان ١٤ و ١٥ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

علميّة وحقيقيّة على عالم الإمكان وعالم الخلقة .

أي أنّ الذين يمكنهم الشهادة هم الذين تخطّوا مضيق الجهات وعالم الطبع والنزعة الماديّة وحبّ الدنيا ، والذين تجاوزوا الأُمور التي تحجب النفس وتحصر مدركاتها بالأُمور التي تربط الإنسان بالخارج عن طريق الحواسّ الظاهريّة ، حيث لا تنحصر حواسّهم بالحواسّ الخمس الظاهرة ، فقد صارت حاسّتهم السادسة يقظة فعّالة ، وتفتّحت بصائرهم وأصبحت أرواحهم ذات سيطرة وهيمنة .

وبعبارة أُخرى فإنّهم يمثّلون موجودات تعيش في هذا العالم أو ارتحلت عنه ، إلّا أنّها تمتلك إحاطة علميّة بجميع الموجودات ؛ ولو لم تكن كذلك لتعذّرت عليها الشهادة بهذه الكيفيّة . وينبغي أن يكون الأمر كذلك ، لأنّ الأفراد الذين يشهدون يوم القيامة ، إنّما يشهدون بإذن الله تعالى ، إذ لا حقّ لأحد في الكلام ذلك اليوم إلّا بإذن الحقّ تعالى وتقدّس :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ.[1]

ومن هنا فمن المسلّم أنّ أُولئك الشهداء الذين يريدون الشهادة ، إنّما يشهدون بإذن الله تعالى ، وهذا الإذن ليس إذناً شكليّاً . بل ينبغي ـ إضافة إلى الشرف الحاصل للمأذون بالكلام بإذن الله سبحانه ـ أن يكون له قدرة على الكلام بصورة صحيحة في عالم التكوين والحقيقة ، وينبغي له ـ إذ

١ ـ الآيات ١٠٥ إلى ١٠٨ ، من السورة ١١ : هود .

يريد الشهادة ـ أن يكون قد سبق له تحمّل الشهادة. أمّا من لم يتحمّل الشهادة ولم يتحمّل أعمال العباد بالكيفيّة التي ذُكرت بجميع وقائعها وخصوصيّاتها وسرائرها وبواطنها، فكيف سيمكنه أداء الشهادة؟ لأنّ الشهادة في ذلك العالم هي الشهادة بالحقّ.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا.[1]

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.[2]

وسيأتي إن شاء الله تعالى في بحث الشفاعة اللاحق،أنّ أصحاب حقّ الشفاعة هم الذين يشهدون بالحقّ. فمن هنا ينبغي أن تكون هذه الشهادة بالحقّوعنعلم، وكون الشهادة عن علم يلزم أن تتبعها الشفاعة.

وعلى هذا الأساس فإنّ الذين يشفعون عند الله تعالى هم أصحاب الشهادة أي الذين يشهدون بالحقّ، والذين لهم علم واطّلاع على حقيقة ما يشهدون به. وربّما يعسر بداية الأمر تصوّر كيفيّة مجيء شخص واحد وشهادته على أعمال ملايين البشر؟ أيُّ ذهن هذا؟ أيصبح ذهن الإنسان ماكنة حساب إلكترونيّة (الحاسوب) ليمكنه يوم القيامة الشهادة على أعمال جميع البشر من زمن آدم إلى يوم القيامة في كلّ لحظة وكلّ مكان وبهذه الخصوصيّات.

إنّ أجهزة الحاسوب تعجز عن إنجاز هذا العمل، لأنّها قادرة على حلّ بعض المسائل الرياضيّة، أمّا الإخبار عن البواطن والضمائر فأمرٌ خارج

١ـ الآية ٣٨، من السورة ٧٨: النبأ.

٢ـ الآية ٨٦، من السورة ٤٣: الزخرف.

عن عهدتها إذ لا شأن لها إطلاقاً بالبواطن ، لأنّها آلات مادّيّة وستتّضح هذه المسألة بمثال واحد إن شاء الله تعالى .

عندما يذهب الطفل إلى المدرسة فتعطونه كتاباً وتقولون له : اقرأ هذا الكتاب ! فإن كان يعرف القراءة ، فإنّه سيقرأه سطراً فسطراً بتأنٍ وتأخير ، ينظر إلى السطر الأوّل فيقرأه ، ثمّ السطر الثاني والثالث والرابع ، وربّما يصل إلى السطر الرابع أو الخامس فينسى مطالب السطر الأوّل ، إذ لا يمكن لذهنه احتواء جميع المطالب .

وحين يريد حفظ شعر معيّن ـ مثلاً ـ فإنّه يحفظ البيت الأوّل ، ثمّ يصل إلى البيت الثاني فينقطع ارتباطه مع البيت الأوّل ، ثمّ يحفظ البيت الثالث فيزول ارتباطه مع البيت الثاني . ثمّ يتوجّب عليه أن يتذكّر الشعر من القرائن والأشباه وبالترتيب ، فإن شاء قراءة البيت الخامس ـ مثلاً ـ فعليه قراءة البيت الأوّل حتّى يصل إلى البيت الخامس .

وعلى هذا الأساس فإنّ الأطفال الذين يحفظون قصيدة طويلة لا يمكنهم تلقّي المعنى والمفهوم الموجودان في تلك القصيدة ، ولا إدراك خلاصة المطالب وإجمالها . أمّا الكبار فليسوا على هذه الشاكلة . إذ إنّهم لو قرأوا قصيدة من ألف بيت ، كتائيّة ابن الفارض ، ثمّ سُئلوا بعد ذلك عن مضمون القصيدة ، لقالوا إنّ المضمون كذا وكذا ، وإنّ القصيدة تدور حول الموضوع الفلانيّ . كما أنّكم لو قرأتم كتاباً خلال ليلة واحدة ثمّ سُئلتم عن محتويات الكتاب لذكرتموها بالتفصيل . ولو وُضعت أمامكم صفحة مكتوبة فنظرتم فيها من أعلاها إلى أسفلها ، لذكرتم ما كُتب فيها ؛ ولو سُئلتم ماذا كان في الجريدة المسائيّة لأجبتم عمّا فيها إجمالاً .

وكلّ ذلك بواسطة سعة الذهن وإحاطته التي تمكّنه من ضمّ المطالب المتفرّقة بسرعة ، ثمّ الحكم عليها . أمّا الطفل فيفتقر إلى مثل هذه السعة

والإحاطة .

وهذا الأمر ينطبق كذلك على العلوم الإلهيّة التي يستلزم تحصيلها بذل الجهود ، ومن ثمّ فإنّ الأفراد الذين لم يضعوا أقدامهم في هذا المضمار ستبقى علومهم محدودة ضمن دائرة إدراكاتهم العاديّة ، أمّا حين يتعرّفون على الحكمة العمليّة ويسيرون في ميدان الرياضات الشرعيّة ويخطُون ـ بحول الله وقوّته ـ في طريق السير والسلوك إلى الله تعالى بقدم صدق وعزم راسخ متين ، فإنّ علومهم ستقترن بالتقوى والنور ، وسيوجب ذلك نشأة العلوم الخفيّة والأسرار الكامنة .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : **مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.**[1]

ومن هنا فإنّ العمل والتهذيب وتزكية النفس وتنزيه القلب من صدأ حبّ الدنيا والعلائق والعوائق المانعة من إشعاع نور الأحديّة في القلب ، وتصفية الباطن وغسل صفحة الضمير والذهن من غير الله تعالى سيؤدّي إلى تجلّي نور الله سبحانه .

جاء في الرواية : **اتَّقُوا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ.**[2]

أفهل من العسير ، إذا ما شاء الله سبحانه ، إيجاد علم معرفة أعمال العباد والاطّلاع على سرائرهم وضمائرهم ؟ كلّا ؛ إنّ الله تعالى عالم بخفايا ومكنونات كلّ موجود من الموجودات ، كما أنّ من ساروا في طريق رضا الله تعالى وبلغوا مقام القربة إليه ، فصاروا من المقرّبين والمخلَصين والمنزَّهين ، صاروا يرون بنور الله وبإذنه ، وصار علمهم علم الله سبحانه ،

١ـ «بحار الأنوار» ج ٩٢ ، ص ١٧٢ .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٦٧ ، ص ٧٤ .

لا علماً منفصلاً عن علمه سبحانه.

لقد صقل هؤلاء قلوبهم، وأناروا بنور المجاهدة أرواحهم، فصفت عن الغلّ والغش والظلمة. وحين يشرق نور الله فيهم، فإنّ كلّ صفحة من الموجودات والكائنات الخفيّة والظاهرة ستتصوّر وتتجلّى فيهم كما تنعكس الشمس في المرآة الصقيلة وفي الماء الصافي الساكن بلا موج. لكأنّ فيهم شمساً لا تتفاوت بلحاظ الجمال والتلألؤ والإشراق مع الشمس الحقيقيّة، شمساً من آثارها بعث الحرارة والنور والدفء.

وحين ينجلي القلب وينصقل فسيتجلّى فيه الجلال والجمال الإلهيّين والأسماء الملكيّة والملكوتيّة الإلهيّة. فالمؤمن ـ إذاً ـ يرى وينظر عندها بنوره ويتحمّل الشهادة ويؤدّيها. وكذلك المخلَصون والمقرّبون الذين لهم هذه الصفات، وحتّى البعض ممّن خطى خطوات في طريق معرفة الحقّ تبارك وتعالى واكتسب صفاءً يتناسب مع مسافة الطريق الذي طواه والإخلاص الذي اكتسبه، إلّا أنّه لم يصل مقام المخلَصين، فإنّه سيتمكّن من تحمّل الشهادة وأدائها بنفس القدر الذي اكتسب والحدود التي طوى.

كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ.[1]

كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ.[2]

وقد ذكرنا أنّ الكتاب ليس ورقة مكتوبة تُعطى للإنسان في يده، بل هو عبارة عن حقيقة أعمال الإنسان التي قام بها في عالم الوجود فدوّنها

١ـ الآيات ١٨ إلى ٢١، من السورة ٨٣: المطفّفين.

٢ـ الآيات ٧ إلى ٩، من السورة ٨٣: المطفّفين.

عالم الخلقة وكتاب التكوين ، حيث يُستنسخ منه ذلك القدر المتعلّق بالإنسان فتصبح تلك الأعمال الخاصّة بكلّ شخص مشهودةً لديه ، سواءً كان ذلك الفرد مؤمناً أم كافراً . كتاب المؤمنين يأتيهم من قِبل أئمّة الحقّ ، أي أنّ أئمّة الحقّ يدعون المؤمنين بكتبهم ، كما أن كتب الفجّار والكفّار تأتيهم من قِبل أئمّة الباطل ، حيث يدعو أُولئك الأئمّة مأموميهم إلى كتبهم من جهة الشقاء .

وقد ذُكر أنّ جميع ذلك منطوٍ في الإمام المبين ، وأنّ جميع الكتب التي تصل من قِبَلِ أئمّة الحقّ ومن قبل أئمّة الباطل تنطوي تحت هيمنة مقام الولاية الكبرى الإلهيّة وإشرافها .

وينبغي العلم بأنّ مقام الشهادة مختصّ بأئمّة الحقّ ، وأنّ أئمّة الباطل لا قدرة لهم على الشهادة ، ويمكنهم فقط دعوة أُممهم إلى كتبهم . والعلّة في ذلك أنّ أئمّة الحقّ في جهة النور والإشراق والعلم والحياة :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ.[1]

أمّا أئمّة الباطل فليس في جهتهم إلّا الظُّلمة والعمى والجهل والبلاء والضيق :

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ.[2]

وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا[3]

وحين يكون أئمّة الباطل عمياناً ، فكيف يشهدون على أعمال

١ـ صدر الآية ٢٥٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ مقطع من الآية ٢٥٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ الآية ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

أتباعهم ؟ مثلهم كمثل أعمى يقود أعمى آخر ، ثمّ يأتي ثالث فيقودهما معاً ، ويأتي رابع فيقود الثلاثة وهكذا ...

ظُلُمَـٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ.[1]

ومطلع هذه الآية كالتالي : **أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ.**

وشتّان بين من يحلّق بالطائرة في عنان السماء فوق الغيوم ، متحرّكاً في هدى ضوء الشمس الساطع ، ينظر إلى العالم فيرى مشرقه ومغربه وفضاءه المشرق وأرضه ، وبين مَن يغوص تحت الماء في عمق عشرة آلاف متر ، قد أطبقت عليه اللجج المتراكمة ، وتلاطم فوق رأسه الموج والطوفان ، وحجبت الغيوم السوداء الكثيفة السماء فأظلم منها البحر ! وأنّى له أن يرى سبيله في أعماق ذلك البحر الخضمّ المظلم !

إنّ الأسماك التي تعيش في أعماق البحر لا أعين لها ، إذ ليس هناك من نور لتحتاج إلى أعين للإبصار . ولو فرضنا أنّ سمكة من أسماك السطح ذهبت إلى أعماق البحر وتمكّنت من مقاومة ضغط الماء مدّة من الزمن ، فإنّها ستفقد بصرها في النتيجة . ويُقال إنّ الإنسان لو بقي ستّة أشهر في موضع لا منفذ فيه للنور ، فإنّ من المسلّم أنّ عينه ستفقد إبصارها ويصاب بالعمى .

بلى ، هذه هي نتيجة الظلمات وثمرتها . يقول القرآن الكريم : **إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا.**

وإذاكان أئمّة الباطل بلا نور ، وكانت أُممهم ـ بدورها ـ بلا نور ، فبأيّ

١ـ النصف الثاني من الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

شيء سيشهدون يا ترى ؟ وحين يُغلق في وجوههم سبيل العلم ، فلن يكون لهم اطّلاع على باطن أحد ولا معرفة لسرّ أحد ، إذ ليس هناك إلّا الظُّلمة فوق الظُّلمة .

ومن هنا فإنّ المقرّبين ذوي النور والعلم والدراية هم الذين يمكنهم تحمّل الشهادة وأداءها . وقد ورد في الآية القرآنيّة الكريمة :

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[1]

إنّ أعمالنا ليست خافية على الله عزّ وجلّ ، إلّا أنّ العجيب أنّها ليست أيضاً خافية على النبيّ وعلى المؤمنين . فكيف - يا ترى - يرافق النبيّ والمؤمنون عمل الإنسان ويسايرونه في الزمان والمكان بحيث يرون ذلك العمل ويشهدون عليه ؟

نعم ، إنّ المؤمنين الحقيقيّين يتبعون سنّة رسول الله وسيرته ، فيرون الإنسان ويطّلعون على أعماله في الغيب والشهود .

ولم يكن أصحاب رسول الله بأجمعهم ذوي صفاء ووفاء ، بل كان فيهم منافقون مردوا على النفاق ، وكانوا يحذرون من إثارة الفتن وإفشاء الكثير من الأسرار التي لديهم خوفاً من أن ينزل الوحي في اليوم التالي فيُخبر رسول الله ، وكذلك خوفاً من أن يفضحهم رسول الله . وحين كان الوحي ينزل فيكشف لرسول الله بعض أعمالهم ، فكانوا يتساءلون : مَن أخبرك بهذا ؟ فيقول صلّى الله عليه وآله : **أَخبرني ربّي ، أنبأني ربّي !**

وقد جاء في سورة التحريم أنّ بعض نساء رسول الله كنّ يفشين بعض أسراره إلى خارج بيته ، مع أن رسول الله أخذ عليهنّ عهداً بأن

١ـ الآية ١٠٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

لا يَبُحْن بذلك لأحد.

وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ.[1]

ولقد تعاونت تلك المرأة مع إحدى أزواج رسول الله على إفشاء سرّه، فنزلت هذه الآية: إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[2] وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ.[3]

وقد أورد الزمخشريّ في تفسيره «الكشّاف»: «إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ» خِطَابٌ لِحَفْصَةَ وَعَائِشَةَ عَلَى طَرِيقَةِ الالْتِفَاتِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي مُعَاتَبَتِهِمَا. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصاً عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنْهُمَا حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ فَسَكَبْتُ المَاءَ عَلَى يَدِهِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: «مَنْ هُمَا»؟ فَقَالَ: «عَجَباً يَا ابْنَ عَبَّاسٍ»! كَأَنَّهُ كَرِهَ مَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «هُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ».[4]

إنّ الناس يتصوّرون عندما يذهب رسول الله صلّى الله عليه وآله

١ـ الآية ٣، من السورة ٦٦: التحريم.

٢ـ المقصود به عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفقاً لروايات العامّة والشيعة.

٣ـ الآية ٤، من السورة ٦٦: التحريم.

٤ـ «تفسير الكشّاف» ص ١٥٠١ من الجزء الثاني. طبعة كلكتا، سنة ١٢٧٦ هجريّة، وهي أقدم طبعة لـ«الكشّاف» مطبعة ليسي؛ وص ٤٧١ في الطبعة الأُولى للمطبعة الشرفيّة سنة ١٣٠٧؛ و ص ٥٦٦ في طبعة دار الكتاب الإسلامي - بيروت، لبنان، سنة ١٣٦٦. وقال ابن حجر العسقلانيّ في كتاب «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشّاف» ذيل الحديث: هذا حديث مُتّفق عليه.

وسلّم إلى البيت ويأوي إلى فراشه فإنّه يرقد كمثل أيّ جسم معدنيّ جامد ، وأنَّ جميع حواسّه وإدراكاته وإحساساته تعتمد على جسمه المادّيّ وتتعامل مع العالم الخارجيّ حين يكون مستيقظاً فقط ، بينما الأمر ليس كذلك ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يقول بأنّ عينه تنام إلّا أنّ قلبه لا ينام . أي لا فرق بالنسبة إليه بين اليقظة والنوم ، وبين الغيب والشهادة ، ولا فرق بين وجوده في المنزل أو في المسجد ، ولا بين حياته أو موته ، لأنّ كلّ ذلك بالنسبة إليه يقظة وشعور وعلم وإدراك وحياة .

مَيِّتُنَا لَمْ يَمُتْ وَمَقْبُورُنَا لَمْ يُقْبَرْ .

أی صاحب وحی و قلب آگاه	دارای مقام لِی مَعَ اللـه
ای محرم بارگاه لاهوت	وی در ملکوت حقّ شهنشاه
ای برشده از حضیض ناسوت	بر رفرف عزّ و شوکت و جاه
وانگه ز سُرادقات عزّت	بگذشتی و ماند امین درگاه
ای پایهٔ قدر چاکرانت	بالاتر از این بلند خرگاه
از شرم تو زرد شد چهرهٔ مهر	وز بیم تو دل دو نیم شد ماه
این بوی بهشت عنبرین است	یا ذکر جمیل تو در افواه[1]

١ـ «ديوان كمباني» للمرحوم آية الله الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ ، ص ٩ و ١٠ .
يقول : «يا صاحب الوحي والقلب اليقظ الخبير ، ومَن له مقام «لي مع الله» .
أيّها المؤتمن على حريم اللاهوت ، والمَلِك في ملكوت الحقّ .
أيّها الخارج من حضيض الناسوت ، والمتربّع على رفرف العزّ والجاه والشوكة .
يا من تخطّى سرادقات العزّ ، بينما توقّف عندها أمين الحرم الإلهيّ .
ويا من أدنى خدّامك قدْراً ، أعلى من ذروة هذا الكون .
طلعة الشمس صفراء خجلاً منك ، وقلبُ القمر منشقّ نصفين هلعاً منك .
أهذا عطر عنبر الجنّة أم جميلُ ذِكرك في الأفواه؟» .

از نيل تو پاى وهم لنگ است وز ديل تو دست فهم كوتاه
فرموده به شأنت ايزد پاك لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ[1]

وسواء للإمام موته وحياته ، لأنّه ليس موجوداً مادّياً . ولا نرمي بذلك أنّه مَلَك لا بَشَر ، بل الشيء المهمّ أنّه ـ مع بشريّته ـ قد نال هذا المقام وهذه الدرجة . ولو كان مَلَكاً لجعل الله تعالى حسابنا حساباً منفصلاً ، ولتمّت لنا الحجّة على الله تعالى يوم القيامة . إذ سنحتجّ لديه قائلين : يا إلهنا ! لقد خلقتَ أفراداً ملكوتيّين عالمين بالغيب ، وخلقتنا عباداً مبتلين بالمادّة والطعام والأهل والولد والعيال ، فنحن عاجزون عن متابعة الأنبياء في أفعالهم .

يقول تعالى إنّ هؤلاء الأنبياء بشر مثلكم ، لهم أبدان وحواسّ ، فهم يحسّون بالابتلاءات ، ويعانون من أذى أُممهم ، ويذوقون ألم الفقر والفاقة ، كما يدركون طعم اللذائذ ، بَيدَ أنّهم تخطّوا جميع هذه الأُمور بقوّة التوكّل والصبر والمصابرة ، وتحرّكوا في هذه المسيرة الصعبة فبلغوا مقصودهم .

أمّا أنتم فجلستم وتسمّرتم في أماكنكم وتعللتم بـ «ليتَ ولعلّ ولِمَ وبِمَ وسوف وأنّ وأمثالها» . ولقد كانوا أهل المجاهدة والمثابرة ، وكنتم أهل الكسل والفشل والتثاقل والتواكل .

وخلاصة القول : وَقُلِ ٱعْمَلُوا ، أي اعملوا ما شئتم أن تعملوا

١ـ يقول : «قدم الوهم عرجاء من أن تنالك أو ترقى إليك ، ويد الفهم قاصرة عن نيل أذيالك .

وقد قال* بشأنك الخالق المنزّه : لولاك لما خلقتُ الأفلاك» .

* ـ إشارة إلى حديث : «لي مع الله حالات لا يسعها ملك مقرّب ولا نبيّ مُرسل» . (م)

فلن يجبركم اليوم أحد على ترك أعمالكم، فأنتم مختارون. ولكن!
فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.

انتبهوا فإنّ الله سينبّئكم بأعمالكم، بأيّ لحاظ؟ بلحاظ أنّ الرسول والمؤمنين يطّلعون على أعمالكم. وهذا يعني أنّ من طرق إخبار الله الإنسانَ بعمله، تحمّل الشهادات التي لرسول الله والمؤمنين على أعمال الإنسان. فعلم رسول الله وعلم المؤمنين ـ إذاً ـ قد اندكّ في علم الله عزّ وجلّ، وهو أمر ينطوي على لطائف تبيّن إعجاز القرآن في بيان المعارف الإلهيّة وكيف يعلمنا ـ بكلمات قصار معدودة ـ كتاباً من الحكمة والحقيقة.

وعندما تشرّفت في الصيف الماضي بزيارة مشهد المقدّسة، التقيت بأحد علماء الحوزة العلميّة في قم، وكان قد قدم للزيارة، فتلوتُ له آية من القرآن الكريم تتحدّث عن النهي عن ولاية الكفّار ومودّتهم. وكانت فيها نكتة ذكرتها له، فتعجّب كثيراً وقال: ما أعجب إعجاز القرآن! لقد قرأت هذه الآية من قبل مائة مرّة، بل ألف مرّة ومرّة دون أن ألتفتُ إلى هذا المعنى.

وكنتُ ـ بدوري ـ لم ألتفت إلى هذه النكتة سابقاً، وصادف أن حللتُ في أحد الفنادق، وكان معي كرّاسة صغيرة أُطالع فيها، فلاحت أمامي هذه الآية الكريمة، فأحسست عند رؤيتها بالعجب من معناها. وهي:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا.[1]

أي أنّكم إذا تولّيتم الكفّار فإنّهم سيُسلّطون عليكم ويصبحون ذوي

١ـ الآية ١٤٤، من السورة ٤: النساء.

قدرة ومَنَعة فيجعلون أرواحكم وأموالكم ونواميسكم وأعراضكم في معرض الهلاك والبوار، ويسترقّونكم ويستعبدونكم ويذلّونكم ويقضون عليكم.

والملفت للنظر هنا قوله إنّ قدرتهم وسلطتهم التي وردت عليكم هي قدرة الله تعالى. **أَفَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا**؟ إنّ قدرة الكفّار وتسلّطهم عليكم هي عين قدرة الله وسلطته، فلا تعتبروا حولهم وقوّتهم من قِبل أنفسهم، بل الحول والقوّة والقدرة مختصّة بالله تعالى، فأنتم ـ بمودّتكم للكفّار وتولّيكم لهم ـ قد جعلتم قدرة الله وسلطته عليكم، وجعلتم أنفسكم منكوبين مخذولين باختياركم الوقوع تحت ضربات القدرة الجلاليّة الإلهيّة بأيدي الكفّار الذين ليسوا إلّا آلة مسخّرة.

وقد ورد شبيه لهذه النكتة في الآية مورد البحث، وهي أنّ رسول الله والمؤمنين يتحمّلون الشهادة على الناس، الذين يُساقون إلى ربّهم فيكون إنباؤه إيّاهم بأعمالهم بواسطة شهادة هؤلاء الشهداء كإنبائه هو بنفسه لهم؛ كما أنّ تحمّل الشهادة وأداءها من قِبل رسول الله والمؤمنين هي عين شهادة الله.

يروي عليّ بن إبراهيم القمّيّ (المقدّم على محمّد بن يعقوب الكلينيّ) في تفسيره (وهو من نفائس التفاسير) عن الإمام الصادق عليه السلام:

إنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ أَبْرَارِهَا وَفُجَّارِهَا، فَاحْذَرُوا وَلْيَسْتَحِي أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى نَبِيِّهِ العَمَلَ القَبِيحَ.[1]

وأورد العيّاشيّ في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل

١ـ «تفسير القمّيّ» ص ٢٧٩؛ و «المعاد» للعلّامة الطباطبائيّ، نسخة خطّيّة، ص ٤٠.

عن المراد بالمؤمنين في الآية : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ، فقال : هُمُ الأَئِمَّةُ.[1]

والأخبار الواردة في هذا المجال تفوق حدّ الاستفاضة ، وتغصّ بها كتب الحديث والتفسير .

فلا تتصوّروا أنّ كلّ من فاه بالشهادتين ، ثمّ انساق وراء الفسق والفجور سيتمكّن ـ بانتحال الإيمان ـ من الإخبار عن بواطن الأعمال ، لأنّ المراد بالمؤمنين في الآية هم الذين بلغوا مقام الإيمان الحقيقيّ ونالوا درجة اليقين وارتقوا سلّم الإنسانيّة وبلغوا مقام الكمال فصاروا من المقرّبين .

وقد جاء في العديد من الروايات أنّ الأعمال تُعرض على إمام العصر عجلّ الله تعالى فَرَجه كلّ أُسبوع ، فيفرح بصالح أعمال الناس ، ويحزن على سيّئها وطالحها .

وبطبيعة الحال فقد شوهد بين المؤمنين المتّقين العارفين بالله ، مَن له اطّلاع على الغيوب والضمائر والسرائر ، ولكن بالطبع ليس بالدرجة الموجودة لدى الإمام عليه السلام ، بل بمراتب أدنى وأقلّ .

وقد كان لي صديق من أهالي النجف الأشرف يُدعى الحاجّ عبد الزهراء الگرعاويّ النجفيّ ، وهو ينتمي إلى قبيلة الگرعاويّ بَيدَ أنّه عاش في النجف منذ صباه وترعرع فيها . وكان رجلاً فطناً سريع الانتقال ، حاضر البديهة ، وكان ـ في الوقت نفسه ـ متديّناً وعاشقاً من عشّاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام . وكان كثير البكاء والتضرّع ، لذا كانت له مكاشفات صوريّة ومثاليّة .

وكان مقرّ عمله في بغداد ، أمّا منزله ففي مدينة الكاظميّة . وكان

---

١ ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ١٠٩ .

يمتلك سيّارة شخصيّة يقودها بنفسه . وقد اعتاد هذا الصديق على الذهاب إلى كربلاء للزيارة كلّ ليلة جمعة، وفي كثير من الأوقات كان يذهب إلى النجف لزيارة الحرم المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام والقيام بصلة أرحامه في النجف .

وقد امتدت سوابق معرفتي به إلى ثلاث وعشرين سنة ، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى منذ سنة تقريباً ، رحمه الله .

وقد حصل في أوائل معرفتي به أن سافرتُ ذات صيف مع جميع العائلة وولديّ للقيام برحلة نزور فيها المراقد المقدّسة ، فتشرّفنا بزيارة سامراء لعدّة أيّام ، ثمّ قدمنا إلى الكاظمين عليهما السلام ، وقد كان الحاجّ عبد الزهراء مسافراً آنذاك بسيّارته إلى النجف الأشرف ، فلم يكن موجوداً في الكاظميّة حين وصلناها .

وفي اليوم التالي لوصولنا ، تشرّفت حسب العادة بالذهاب إلى الحرم المطهّر للكاظمين عليهما السلام عند طلوع الشمس ، وأثناء عودتنا من الزيارة لمح ولدي الأكبر ـ وكان آنذاك في الرابعة من عمره ـ بائع خضروات يبيع خياراً في أوّل أوانه ، فبكى وطلب منّي أن أشتري له ، فامتنعت لأنّه كانت لديه حالة تقيّؤ وإسهال ، وكان تناول الخيار مضرّاً له ، فبكى وأصرّ على طلبه ، فلم ألقِ إلى بكائه بالاً ، فضربتُه على يده وانصرفنا .

وعند غروب الشمس جاءني إلى الفندق أحد الأصدقاء الكربلائيّين ، فأخبرني أنّ الحاجّ عبد الزهراء قد عاد من النجف الأشرف ذلك اليوم ، وسألني إن كنتُ راغباً بمرافقته لزيارة الحاجّ والصلاة معه في بيته ، فقبلتُ وذهبنا مشياً على الأقدام إلى منزل الحاجّ الذي كان يقع آنذاك خارج الكاظميّة في الضواحي الجديدة الملحقة بالمدينة . فشاهدت في الطريق حشداً من الناس وقد تجمّعوا حول شيءٍ ما ، فاستفسرت من صاحبي عن

الأمر ، فقال إنّهم يتفرّجون على التلفزيون ، وكان قد دخل حديثاً إلى الكاظميّة . نظرت إليه من بعيد ، فشاهدتُ صوراً تتحرّك على صفحة مضيئة ، فأخذت أُحدِّث نفسي مندهشاً : ما هذا التقدّم الذي بلغه البشر بحيث صار يأتي بصور الأشخاص وأصواتهم من المناطق البعيدة ، فيعرضها أمام الأنظار في نفس اللحظة ؟!

ثمّ دخلنا إلى منزل الحاجّ فإذا هو قد فرش سجّادته في زاوية حديقة الدار وقد انشغل بالصلاة ، فصلّينا بدورنا . وبعد السلام والاستفسار عن الأحوال ، قال الحاجّ بعد أن مكث هنيئة : إنّ الحقّ لا يمتزج بالباطل ، وفي النهاية سينفصل الحقّ إلى جانب والباطل إلى جانب آخر .

قلتُ : نعم ، هذا صحيح .

قال : الحقّ والباطل كالماء والزيت ، فلو مزجناهما معاً وخلطناهما لانفصلا من جديد ، بحيث يصبح الماء في الأسفل والزيت في الأعلى .

قلتُ : نعم ، هذا صحيح .

قال : أيّها السيّد محمّد الحسين ! أنت تعلم أنّ بإمكان الإنسان أن يصل بالتدبير والحيلة والمكر إلى جميع المناصب والمقامات ، فيصبح تاجراً ، ويصبح ثريّاً ، ويصبح عالماً ومرجعاً ، وسلطاناً ورئيس جمهوريّة ، إلّا أنّ طريق الله عزّ وجلّ لا مجال فيه للحيلة أبداً .

قلتُ : نعم ، هذا صحيح .

فقال : لقد غادرتُ النجف صباح هذا اليوم ، وكنت أسير بسيّارتي متّجهاً إلى الكاظميّة ، فرأيتُ فجأة أنّ من الممكن أن يكون المرء في الطابق العاشر من عمارةٍ ما ، لكنّه قد يسقط ـ بأدنى غفلة ـ ويهوي إلى الطابق الأسفل دفعةً واحدة .

فأدركتُ أنّ جميع هذا الكلام والحوار كان من أجل إبلاغي أنّ

الضرب على يد الطفل الذي أراد الخيار لم يكن أمراً صحيحاً ، وأنّه كان ينبغي تهدئة الطفل بصبر وتأنٍّ ، وأنّه كان مطّلعاً على أحوالنا وعلى طلب الطفل وضربي إيّاه ، بينما كان جالساً في سيّارته في الصحراء الممتدّة بين الحلّة وبغداد ، إلّا أنّه لم يكن يريد القول لي بصراحة «لقد فعلتَ كذا» .

فخاطبتُه في أعماقي دونما اختيار : **وَاللَّهِ لَقِصَّتُكَ أَعْجَبُ !**

واللهِ إنّ رؤيتك ما فعلته ـ وأنت في صحراء النجف ـ وأنا في موضع يبعد عنك بأكثر من مائة كيلومتر أعجب عندي من قصّة التلفزيون وأدعى للدهشة والاستغراب .

وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ.[1]

ويستفاد من هذه الآية الكريمة أنّه حين يؤتى بالنبيّين والشهداء يوم القيامة فيشهدون على أعمال الإنسان ، فإنّ الله تعالى يجعل نفس العمل جزاءً لذلك العمل .

فشهادة هؤلاء ـ إذاً ـ ليست شهادة لسانيّة ولفظيّة ، بل إنّ كيفيّة أدائهم لها تتجسّد في جعل عمل الإنسان مشهوداً أمامه . ومن هنا فإنّ تحمّل الشهادة ينبغي أن يكون هكذا . أي أنّ النبيّين والشهداء لا يحملون المطلب في أذهانهم فيتصوّرونه ويصدّقونه بالشكل والوصف والكتابة ، بل إنّهم يحفظون في وجودهم في مقام التحمّل حقائق الأعمال ، ثمّ يعرضون يوم القيامة هذا الأمر المتحمَّل ويخرجونه للأنظار ويُطلعون الإنسان عليه ، كما أنّ الجزاء المُعطى للإنسان إنّما هو عين عمله : **وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ.**

١ـ النصف الثاني من الآية ٦٩ ، والآية ٧٠ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

كلّ ما في الأمر أن العمل يكون في صورته الحقيقيّة الملكوتيّة ، سواءً كانت صورةً للجنّة : **رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ** ؛ **جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ؛ **لِقَاءُ اللَّهِ** ؛ أو كانت صورةً للجحيم والعقارب والحيّات والمناظر المخوفة المهولة والمنازل المرعبة ؛ **ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**. وخُلاصة المطلب : **وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**.

وليس هناك في عالم التكوين ذرّة من الظلم ، فكلٌّ سيُجزى بأعماله فيراها مجبولةً بنفسه وروحه ، فيعتنقها لتأخذه إلى الجنّة أو إلى النار .

إنّ الله تعالى ينبّهنا ـ قبل فوات الأوان ـ إلى مقامات المقرّبين والصدّيقين والواصلين إلى حريمه ، لأنّ الإنسان لا يرى عيبه أبداً ، بل يعتبر نفسه محوراً للكمال ، فيقيس عليها جميع الأُمور الواقعيّة ، ويجعلها محوراً للواقعيّة والحقيقة ، ثمّ يقيس مقدار الحقائق وفق هذا المعيار ، وليس ذلك بالأُسلوب الصحيح .

وبالالتجاء إلى الله والإنابة إليه ، وبالبكاء والابتهال والتضرّع إليه عزّ وجلّ ، فإنّه تعالى سيوقف الإنسان على عيوبه ويبصّره بها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المجلس الخامس والأربعون

شرط الشهادة: الإحاطة العلمية بالمخفيات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد للّٰه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ .[1]

العُتبى بمعنى الرضا ؛ **استعتب يستعتب** : طلب الرضا ؛ لذا فإنّ تعبير **وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ** يعني أنّ الكفّار سيطلبون الرضا فلا يُقبل منهم ، وسيعتذرون فلا يُجديهم اعتذارهم ، وسيتكلّمون فلا يجد كلامهم أُذناً صاغية . وكلامنا يتعلّق بالكفّار الذين لا يؤذن لهم بالكلام .

وهناك ـ في المقابل ـ طائفة شاهدة على الأعمال ، وذات مزايا وخصائص تتحمّل من خلالها الشهادة وتؤدّيها .

والأُمّة بمعنى الجماعة ، فإن لم تُضف إلى شيء آخر ، صار معناها عامّاً ، أمّا لو أُضيفت إلى شخص معروف أو إلى زمان أو مكان معيّنين ، فسيصبح المراد بها خصوص ذلك الأمر المضاف . كأُمّة محمّد الدالّة على

١ـ الآية ٨٤ ، من السورة ١٦ : النحل .

الجماعة المرتبطة بالنبيّ صلّى الله عليه وآله ، وكأُمّة آخر الزمان ، وأُمّة الحجاز الدالّتين على خصوص أُولئك الأفراد .

وقوله تعالى : وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ يفيد أنّ شاهداً سيُبعث من كلّ طائفة وجماعة ، دونما استثناء أو تعيين لزمان أو مكان أو نبيّ .

وينبغي أن نرى المزايا التي يتحلّى بها ذلك الشاهد المبعوث من كلّ أُمّة . وقد ذكرنا في المجلس السابق أنّ العلم والاطّلاع يُعدّان أمراً لازماً في الشهادة ، وأنّ شهادة الشخص الذي يشهد على أمرٍ ما دون علم واطّلاع تُعدّ شهادة باطلة ، وأنّه سيُدعى ـ تبعاً لذلك ـ شاهد زور ، أي شاهداً بالباطل . فلو دُعي امرئ لم يطّلع على واقعة معيّنة إلى الشهادة على تلك الواقعة ، فجاء وشهد لدى الحاكم ، كانت شهادته شهادة زور وشهادةً بالباطل ، وسيكون قد ارتكب معصية كبيرة بأدائه تلك الشهادة .

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا .[1]

ويقال للشهادة شهادةً ـ أساساً ـ لأنّها تستلزم الحضور ؛ إذ تعني الشهادة : الحضور . ومن هنا فإنّ الشهادة على الأعمال في يوم القيامة تتوقّف على كون الشاهد قد تحمّل أعمال الأفراد في الدنيا واطّلع عليها وعلم بها ، ثمّ إنّه يؤدّي يوم الجزاء ما تحمّله .

بما أنّ الحكم بكون العمل حسناً أو سيّئاً يحتاج إلى علم واطّلاع على كيفيّة ذلك العمل بما يتضّمنه من قصدٍ للقُربة أو للخيانة ، ومن قصدٍ حسن أو سيّئ ، ومن فعله في سبيل الله أو وصولاً للذّة نفسانيّة، فهو أمر يتعذّر على الأفراد العاديّين الذين يعجزون عن أداء الشهادة في الأُمور المعلومة المشهودة لديهم ، فضلاً عن الأفراد البعيدين والغائبين .

١ ـ الآية ٧٢ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

وبناءً على هذا فينبغي للشاهد ـ حتماً ـ أن يستوي لديه أمر الغياب والحضور ، القُرب والبعد ، والمكان والزمان ؛ وأن ينظر على حدٍّ سواء إلى الماضي والمستقبل ، وإلى الأمكنة المختلفة ، وأن يعلم بالبواطن والسرائر ، ناهيك عن علمه بظواهر الأعمال ، ليمكنه تحمّل الشهادة وأدائها على النحو المطلوب ، وإلّا كانت الشهادة خارجة عن دائرة وجوده وإحاطة علمه .

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. [1]

والمخاطَب في هذه الآية هم المسلمون ، حيث يقول لهم الله : إنّنا جعلناكم جماعة معتدلة ذات سيرة معتدلة جميلة لا إفراط فيها ولا تفريط ، وجعلنا أُموركم على أساس الاعتدال والقسط والعدل ، لتكونوا رقباء وشهداء على الناس ، ناظرين إلى أعمالهم ، شاهدين عليها . وليكون النبيّ الأكرم ـ بدوره ـ ناظراً إلى أعمالكم رقيباً عليكم وشاهداً .

وقد بحثنا مفصّلاً في أنّ هناك مزايا وخصوصيّات لازمة في الشهادة ومعدودة من شرائطها . فكيف ـ إذاً ـ يتوجّه الخطاب في هذه الآية إلى جميع الأُمّة الإسلاميّة ، أُمّة رسول الله ، مع علمنا أنّ من بين هذه الأُمّة يوجد القليل فقط ممّن لهم علم واطّلاع على حقائق الأعمال ووقوف على السرائر والضمائر ، ومع علمنا بأنّ غالبيّة الأُمّة تفتقر إلى الاطّلاع على مثل هذه الأُمور ؟ يُضاف إلى ذلك أنّ من بين هذه الأُمّة الفاجر والفاسق . فكيف يخاطبهم الله تعالى : أنّا جعلناكم أُمّة وسطاً ذات سيرة معتدلة حسنة وجعلناكم شهداء على الناس ؟

لقد كان من هذه الأُمّة الضالّ والمضلّ والمنافق ، وكان يزيد بن

١ـ مطلع الآية ١٤٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

معاوية وأبوه معاوية بن أبي سفيان يعدّان أنفسهما من هذه الأُمّة. أفيمكن أن يخاطب الله تعالى أُمّةً من بين أفرادها نماذج كهؤلاء، فيمتدحها بأنّها أُمّة وسطاً، ويجعلها شاهدة على أعمال الناس رقيبة عليهم؟ أيمكن قبول هذا الأمر؟ كلّا بطبيعة الحال.

فعلى الرغم من عموميّة ظاهر الخطاب، إلّا أنّ ملاك الخطاب الذي يتحقّق على أساسه الحكم والإنشاء هو ملاك خاصّ. وقد تعلّق الخطاب العامّ بذلك الملاك وتلك الخصوصيّة التي يمتلكها أُولئك الأفراد المعيّنون الذين هم بين الأُمّة والمحشورون معها، من الحائزين على مستلزمات الشهادة.

ونظائر هذا الخطاب كثيرة في القرآن الكريم، كما أنّها رائجة ومتداولة في العرف الأدبيّ وفي المحاورات الاجتماعيّة بين الفصحاء والبلغاء.

لنفرض ـ على سبيل المثال ـ أنّ حاكماً معيناً ينزعج ويتأثّر من بعض أفراد رعيّته، فيقول في خطابه: «إنّ رعيّتي لا يلقون إليّ بالاً، ولا يهتمّون بكلامي» مع أنّ بعض أفراد رعيّته ـ لا جميعهم ـ قد عصوه وخالفوه، لكنّه أورد الخطاب على نحو العموم، فجعل الجميع في معرض اللوم والعتاب.

أو كما يحصل في حزب أو جمعيّة ذات عنوان خاصّ يقوم بعض أفرادها بتصرّف ما، فيتوجّه الخطاب إلى جميع الأعضاء، سواءً كان مدحاً وثناءً أم لوماً وعتاباً، مع أنّ ملاك الخطاب خاصّ بأفراد معيّنين.

وهذا المطلب من موضوعات فنّ البلاغة والفصاحة في الأدب، يستخدمه الفصحاء والبلغاء في خطاباتهم على اختلاف اللغات والأمكنة.

وقد جاء في القرآن الكريم ـ على سبيل المثال ـ:

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ

تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.[1]

حيث يلاحظ في هذه الآية الشريفة أنّ القرآن الكريم قد امتدح أصحاب النبيّ كثيراً، ووصفهم بالصدق والاستقامة والشدّة، وبأنّهم لا يتخطّون أوامر الله تعالى، فهم أشدّاءعلىأعداء الله، رُحماء مع محبّي الله، دائبون على ركوعهم وسجودهم، يقيمون الصلاة في أوقاتها، يبتغون ضالّتهم: لقاء الله ورضوانه وفضله، إلى الحدّ الذي ذكر أوصافهم موسى وعيسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام في التوراة والإنجيل.

أفكان جميع أصحاب النبيّ على هذه الشاكلة؟ أكانوا بأجمعهم يستحقّون هذا المدح والثناء؟

لقد نزلت هذه السورة في المدينة بعد وقعة صلح الحديبيّة، أي بعد السنة السادسة للهجرة، وكان هناك في المدينة من بين أصحاب رسول الله منافقون يشكّلونالسواد الأعظم من الصحابة، وقد نزلت في شأنهم آيات كثيرة في القرآن الكريم.

ولقد كان المنافقون يتظاهرون بالإسلام، وكانت خطابات القرآن العامّة للمسلمين تشملهم، إذ كانوا يصلّون ويصومون، إلّا أنّهم كانوا يضعون العصي في عجلة المسيرة، ويحاولون الحدّ من نفوذ الإسلام. وقد ساعدوا الكفّار سرّاً في الحروب، وسعوا إلى إضعاف الإسلام والمسلمين في الداخل، وكذلك إلى بثّ الرعب في صفوف المسلمين عند مواجهة

١ـ الآية ٢٩، من السورة ٤٨: الفتح.

العدوّ . ولدينا في القرآن الكريم سورة باسم سورة «المنافقون» .

ولقد عاني رسول الله من أذى منافقي أُمّته أكثر من معاناته من أذى الكفّار والمشركين بكثير ، مع أنّ الكفّار والمشركين كانوا يوحّدون صفوفهم في أغلب الغزوات ـ مثل غزوة الأحزاب ـ للقضاء على رسول الله والمسلمين ، وكانوا يُثيرونها حرباً شاملة تتآلف فيها جميع الطوائف لكسر صولة الإسلام ، وتوحّد مساعيها لقمعه واستئصال جذوره . إلّا أنّ ضرر المنافقين وأذاهم يبقى ـ مع هذا كلّه ـ أشدّ وأقسى على الإسلام ونبيّ الإسلام . والشواهد التأريخيّة والأخبار والروايات الواردة في هذا المجال تضيق على الحصر . لذا نشاهد الشدّة والقسوة في لحن الآيات القرآنيّة في خطابها للمنافقين ، أُولئك المنافقين الذين شكّلت قصّتهم فصلاً كبيراً من تأريخ حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله .

والخلاصة ، فقد كان المنافقون يعدّون ضمن الصحابة . أفكان القرآن الكريم يمتدح المنافقين ؟ كلّا بطبيعة الحال . إذ فضلاً عمّا ذُكر ، فإنّ لهذه الآية شواهد وقرائن دالّة على أنّ المخاطب بها لا يشمل جميع أصحاب رسول الله .

يقول القرآن : **وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ** .

ومن الجليّ أنّ هذه الصفات لم تكن موجودة لدى المنافقين ، فقد كانوا على العكس من ذلك **أَشِدَّاءُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ رُحَمَاءُ مَعَ الكُفَّارِ** !

يقول القرآن : **تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا** ؛ بينما لم يكن المنافقون على هذه الكيفيّة ، يُضاف إلى ذلك أنّه لم يرد في التوراة والإنجيل ذكر للمنافقين وصفاتهم ، ولم يأت فيهما حديث عن أبي سفيان وعبد الله بن سلام ونظائرهما ؛ والشاهد على ذلك ما جاء في آخر الآية من الوعد بالمغفرة والأجر الجزيل لمن آمن من أصحاب النبيّ وعمل

صالحاً ، وليس لجميعهم .

ومجمل القول أنّ آية : **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** تفيد ـ وفق هذا البيان ـ انطباعاً بأنّ المراد بالأُمّة الوسط في الملاك والمعيار ، خصوص الذين امتلكوا تلك الصفات ، أي الأشدّاء على الكفّار ، الرحماء بينهم ، من أمثال **أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام و**عثمان بن مظعون** و**سلمان** و**أبي ذرّ الغفاريّ** و**المقداد** ، وأصحاب رسول الله الذين استشهدوا في غزوة بدر مثل **عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب** ابن عمّ رسول الله ، أو المستشهدين في غزوة أُحد مثل **حمزة سيّد الشهداء** ونظائر هذه الأرواح المقدّسة وطيور سدرة المنتهى المحلّقة إلى الذروة ، فهم الذين كانوا أصحاب النبيّ . وقد تعلّق الخطاب العامّ ـ بلحاظ شرف هؤلاء ومقامهم ـ بالأُمّة الإسلاميّة ، حيث جرى مدحهم بتعبير **وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ** .

كان هذا فيما يتعلّق بالآية الواردة في سورة الفتح ، فلننظر في الآية التي نبحث في شأنها : **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** .

لقد جعلناكم أُمّة وسطاً معتدلة ، وشرّفناكم بحيث صار رسول الله شاهداً عليكم بصورة مباشرة ودونما واسطة . فأنتم الشهداء على الناس ، ورسول الله الشاهد عليكم . فهو ـ إذاً ـ مقام شريف أن يُجعل الإنسان شاهداً على عامّة الناس ويُجعل الرسول شاهداً عليه . ومن لا يمتلك هذا المقام فلا يصلح لمسؤوليّة تحمّل الشهادة وأدائها . ومن هنا فإنّ المراد بالأُمّة الوسط . الشاهدة على الناس ليس جميع الأُمّة ، بل أفراداً خاصّين يحملون المزايا والخصائص المذكورة في معنى الشهادة .

وينبغي الآن أن نرى مَن هم هؤلاء الأفراد ؟

لدينا آية قرآنيّة أُخرى نظير الآية السابقة :

هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ.[1]

وربّما كان مضمون هذه الآية أوضح من سابقتها ، لأنّها تقول : هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ، بينما الآية السابقة تستخدم تعبير : وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

ويعني **الاجتباء** في العربيّة:الاصطفاء والاختيار ،كما يحصل عند اختيار عدّة تفّاحات من شجرة تفّاح أو من صندوق تفّاح ، ويدعى كذلك بـ **الاستنقاء** وهو الاصطفاء والتطهير .

وللفظ الاجتباء دلالة كبيرة على الشرف والمنزلة الرفيعة ، لأنّ الله تعالى هو المجتبي والمصطفي ، وهؤلاء الأفراد هم المجتبون والمصطفون من قِبَلِهِ عَزّ وجلّ .

كما ورد في هذه الآية : مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ.

فَلِمَ فعل ذلك ، ولِمَ سمّاكم أبوكم إبراهيم المسلمين ؟ فصارت لكم هذه الشخصيّة والخصائص ، ليكون الرسول شاهداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس .

وينبغي الآن أن نرى من هم هؤلاء الشهداء الذين اجتباهم الله وسمّاهم أبوهم إبراهيمُ المسلمين من قبل ، فصارت لهم هذه الخصائص لتحمّل الشهادة وأدائها ، وأين سمّاهم المسلمين ؟

لقد دعا إبراهيم عند بنائه الكعبة بيت الله الحرام قائلاً :

رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

١ـ مقطع من الآية ٧٨ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.[1]

أنت يا إلهنا عزيزٌ ذو استقلال، حكيمٌ فعلُك محكم متقن، ندعوك ونسألك أن تستجيب دعاءنا.

وحين استجاب الله دعاء النبيّ إبراهيم: رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ، فجعل من ذرّيّته أُمّة مسلمة، فإنّ إبراهيم قد حكى عن إسلام الذرّيّة، كما في الآية: هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ. أي الذرّيّة التي وُجدت منه والتي رغب إلى الله في دعائه أن يجعلهم مسلمين.

فلمن - يا ترى - يعود دعاء النبيّ إبراهيم في قوله: وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ؟ فقد دعى النبيّ إبراهيم بهذا الدعاء حين كان مشغولاً مع ابنه إسماعيل ببناء الكعبة، فكانا يجلبان الصخر فيرصفانه على بعضه، ويبنيان الكعبة التي دُعيت «بيت الله» في الموضع الذي تقع فيه حاليّاً.

والحقّ أنّ هذا الدعاء كان في شأن ذرّيّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اللذين كانا في مكّة. فقد كان سياق الآيات قبل هذه الآية كالتالي:

وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ.[2]

ثمّ يقول: وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ.[3]

١ـ الآيتان ١٢٨ و ١٢٩، من السورة ٢: البقرة.

٢ـ الآية ١٢٥، من السورة ٢: البقرة.

٣ـ الآية ١٢٦، من السورة ٢: البقرة.

إلى أن يصل إلى هذه الآية : **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**.[1]

والله وحده يعلم ماذا كان الأب والابن يدعوان سويّاً بينما كانا منهمكين في بناء الكعبة ورفع قواعدها ، وماذا كانت حالات مناجاتهما وارتباطهما بخالقهما ، وأيّ لذّة كانت لهما في حوارهما مع ربّهما . والقرآن الكريم يذكر لنا قدراً من تلك الأدعية في هذه الجملات ، حتّى يصل إلى هذه الآية : **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**.[2]

وعلينا أن نعرف أوّلاً أيّ إسلام هو ذلك الذي طلبه النبيّ إبراهيم في دعائه ؟ أهو هذا الإسلام العاديّ الذي ينتمي إليه الناس ، والذي يتلبّسون به بمجرّد تفوّههم بالشهادتين ؟ أكان إبراهيم ـ وهو من أنبياء أُولي العزم وذوي الكتاب والشريعة ـ يدعو للحصول على مثل هذا الإسلام ؟ بالإضافة إلى أنّ النبيّ إبراهيم لم يدعُ بهذا الدعاء يوم كان صبيّاً غرّاً أوّل بلوغه ولا دعا به في مطلع رسالته ، بل حين صار شيخاً كبيراً قد تجاوز عمره مائة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة ، مرّ خلاله بأربعة وعشرين ابتلاءً واختباراً ، ونال درجة الإمامة التي تفوق درجة النبوّة ، وكان من بين تلك الابتلاءات ذبح ولده إسماعيل ، وما مرّ به في أرض **بابل** حين حطّم الأصنام ورُمي بالمنجنيق في النار ثمّ أُبعد إلى أرض **الأردن وفلسطين** حيث قضى هناك مدّة طويلة يدعو إلى التوحيد ، ثمّ إرساله ابن أخيه أو ابن أُخته النبيّ **لوط** برسالته ودعوته . وبعد تحمّله شدائد ومحن من زوجته سارة التي لم تُنجب منه . وكانت سارة قد وهبته فتاة جميلة تُدعى **هاجَر** كان ملك بابل قد أهداها

١ـ الآية ١٢٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الآية ١٢٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

لها، بَيدَ أنّ إبراهيم ـ احتراماً لها لأنّها ابنة خاله ـ لم يكن يقرب هاجر لتُنجب له أولاداً مع أنّه كان قد بلغ من العمر عتيّاً دون أن يُولَد له.

إلّا أنّ سارة أذنت له بالزواج من هاجر لتُنجب له بعد أن رأت كبر سنّه وحرمانه من الأولاد، فرزقه الله من هاجر ولداً سمّاه **إسماعيل**، هو جدّنا الأعلى.

غير أنّ سارة اغتمّت من ولادة إسماعيل، وكانت قد كبرت وشاب شعرها واحدودب ظهرها، فجرى بينها وبين إبراهيم من الأمور ما جعل إبراهيم يصطحب هاجر وطفلها من فلسطين إلى أواسط صحراء الحجاز، ثمّ يتركهما هناك ويرجع إلى فلسطين. وكان يأتيهما إلى مكّة مرّة أو مرّتين في السنة فيتفقّدهما ويعود، حتّى ترعرع إسماعيل وكبر فشرعا سويّاً ببناء الكعبة بيت الله.

إلّا أنّ الله أنعم على سارة بولد أنجبته على كبرها وشيخوختها، فجاء جبرائيل تصحبه الملائكة وقد نزلوا بالعذاب على قوم لوط، فعرّجوا على خيمة إبراهيم وبشّروه بولد يولد له من سارة.

ولمّا طرق الخبر أسماع سارة قالت مدهوشة: **يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ** قد شاب شعري واحدودب ظهري **وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا** قد فات أوان إنجابه ؟! فقالت الملائكة: الأمر للّه وحده، وهو الرحيم الكريم.

ثمّ مَنَّ الله على إبراهيم بولد من زوجته سارة سمّاه إسحاق. ولقد مرّ إبراهيم بجميع هذه الابتلاءات ونظائرها حتّى جاء إلى مكّة، وكان أمر الحجّ وقضيّة مِنى وذبح ولده وبناء بيت الله، فدعا هذا النبيّ الكبير ربّه: **رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ**.

فأيّ إسلام هو يا ترى؟ إنّه الإسلام الأعظم. أي أنّ إبراهيم دعا ربّه: ربّنا اجعل أرجاء وجودنا وكياننا تسليماً لجلالك وعظمتك وكبريائك، وأن

لا تكون فقط أعمالنا لك وحدك ، بل أرواحنا وأخلاقنا ودينا وإيماننا وعمرنا ووجودنا ومودّتنا وحياتنا كلّها لك وحدك بلا شريك .

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ .[١]

هذا هو معنى الإسلام الذي رجاه إبراهيم من ربّه ، ودعاه أن يشرّف به نبيّنا الذي سيولد من نسله ، ويشرّف به ذرّيّته .

وقد اتّضح بذلك،المراد بالذرّيّة وإسلام الذرّيّة في الآية الشريفة : **وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ .**

ودعاءالنبيّ إبراهيم : **هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ** ؛ أي أنّ الله اصطفاكم واختاركم .

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ، أي هو الذي دعا لكم بهذه الدرجة والمرتبة من الإسلام ، وختمكم بهذا الخَتمْ ، وأعلمكم بصبغة الإسلام ، وسمّاكم المسلمين ودعا لكم .

وينبغي أن نرى مَن هم هؤلاء الأفراد من ذرّيّة إبراهيم الذين يمتلكون هذه الدرجة من الإسلام ، ويحوزون هذا القدر من الطهارة الباطنيّة ؟ يُضاف إلى ذلك أنّ إبراهيم وإسماعيل دعوا ربّهما ـ إضافة إلى دعائهما بشأن الإسلام الواقعيّ الأعظم والطهارة الباطنيّة ـ فقالا : **وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا .**

أرنا مواضع عبادتنا وكيفيّة نُسكنا وطريق عبوديّتنا . علّمنا مناسك العبوديّة والدعاء إضافةً إلى تلك الطهارة الباطنيّة والتسليم الحقيقيّ مقابل ذاتك المتّصفة بالعزّة والجلال والجمال والكبرياء والعظمة ، واهدِ ذرّيّتنا إلى الإسلام الحقيقيّ وطريق العبوديّة ، وابعث فيهم نبيّاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ويتلو عليهم آياتك ويزكّيهم ويهديهم إلى الرقيّ

١ـ الآية ١٦٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

والتكامل إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. وبطبيعة الحال فإنّ مقام عزّة الله وحكمته يقتضي استجابة هذه الأدعية .

ويمكن تلخيص النتيجة الحاصلة من مجمل المطالب التي ذكرناها بعدّة جمل : لأنّ النبيّ إبراهيم دعا أوّلاً لإسلام ذرّيّته ، ثمّ دعا لإراءتهم المناسك ولقبول توبتهم ، وبعدها دعا لبعث نبيّ منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويربّيهم ويزكّيهم . فيتّضح أنّ الدعاء اختصّ بجماعة من قريش جمعوا بين طهارتهم الذاتيّة والإسلام الواقعيّ والتسليم المحض،مقابل الله عزّ وجلّ ؛ لأنّ الإسلام هنا بمعنى الإسلام الوارد في الآية : رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وهو دعاء صدر من إبراهيم عند نبوّته وبعد اجتيازه الاختبارات العديدة ، وحين كان منشغلاً مع ابنه إسماعيل ببناء الكعبة .

فطلبه للإسلام في هذه الحال يتضمّن معنى راقياً سامياً ودقيقاً ، وهو مقام التسليم والفناء في ذات الله والتوكّل عليه ، وتفويض جميع الأُمور وكلّ الوجود إليه تعالى . فتكون إحدى صفات الذرّيّة المصطفاة الجمع بين الطهارة المكتسبة الصفاتيّة ، من إراءة المناسك وقبول التوبة في جميع المراحل والوفاء بالعهد ، إضافة إلى شمولهم بلطف الله عزّ وجلّ ببعثة رسول الله ، وتلاوة آيات الله عليهم وتعليمهم الكتاب والحكمة في حدّها الأعلى وصولاً إلى مقام الكمال الإنسانيّ .

ونعلم أنّ جملة لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وجملة لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ تعليل لعبارة هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ. أي أنّ علّة اجتبائكم واصطفائكم هي:أن تكونوا شهداء على أعمال الناس والرسول شهيد على أعمالكم .

وبما تقدّم ، فقد اتّضحت هذه النتيجة وعرفنا بصورة عامّة الخصائص التي تتحلّى بها هذه الذرّيّة ، ولابدّ الآن من تبيان مصداقها من خلال السنّة

الصحيحة والروايات الواردة ، ليتّضح أنّ هؤلاء الشهداء من قريش الذين لهم هذه الخصائص لا يمكن أن يكونوا إلّا أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

روي في «الكافي» و «تفسير العيّاشيّ» عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال : **نَحْنُ الأُمَّةُ الوَسَطُ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ.**[1]

أي أنّنا وحدنا فقط الذين نمتلك هذه الخصائص في عالم الظاهر والباطن ، وفي عالم الغيب والشهادة ، وفي عالم التحمّل والأداء .

روى الحاكم الحسكانيّ في «شواهد التنزيل» بسلسلة سنده المتّصل عن سليم بن قيس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

إنَّ اللهَ إيَّانَا عَنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ» ، فَرَسُولُ اللهِ شَاهِدٌ عَلَيْنَا وَنَحْنُ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ (عَلَى خَلْقِهِ ـ خ ل) وَحُجَّتُهُ عَلَى أَرْضِهِ ؛ وَنَحْنُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ (فِيهِمْ) : «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا».[2]

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن الإمام الباقر عليه السلام ضمن حديث طويل قال :

وَلَا يَكُونُ شُهَدَآءُ عَلَى النَّاسِ إلَّا الأَئِمَّةَ وَالرُّسُلَ ، فَأَمَّا الأُمَّةُ فَإنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَسْتَشْهِدَهَا اللهُ وَفِيهِمْ مَنْ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى حُزْمَةِ بَقْلٍ .[3]

١ـ هذا الحديث برواية بريد بن معاوية العجليّ . وقد ورد في «الكافي» الأُصول ، ج ١ ، ص ١٩١ ، الحديث الرابع ؛ وفي «تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٦٢ .

٢ـ «شواهد التنزيل» ، ج ١ ، ص ٩٢ .

٣ـ «المعاد» (رسالة الإنسان بعد الدنيا) للعلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه ، مخطوطة ، ص ٤١ .

أليس بين أفراد الأُمّة فاسقون ؟ فلو جاء أحدهم إلى قاضي الشرع فشهد أنّه رأى زيداً وهو يسرق حزمة بقل من عمرو ، فهل ستُقبل شهادته ؟

سوف لن تُقبل شهادته بطبيعة الحال باعتباره فاسقاً . فهي شهادة مرفوضة ولو كانت على حزمة بقل أو حزمة بصل أو حزمة ورق الشمندر فكيف إذاً سيشهد مثل هذا الشخص على أعمال الناس في يوم القيامة ؟

ورد في «تفسير العيّاشيّ» عن أبي عمرو الزبيديّ عن الإمام الصادق عليه السلام **قَالَ : قَالَ اللَّهُ : «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» ؛ فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ اللَهَ عَنَى بِهَذِهِ الآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ القِبْلَةِ مِنَ المُوَحِّدِينَ ؛ أَفَتَرَى أَنَّ مَنْ لَا يَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى صَاعٍ مِنْ تَمْرٍ يَطْلُبُ اللَهُ شَهَادَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُ بِحَضْرَةِ جَمِيعِ الأُمَمِ المَاضِيَةِ . كَلَّا لَمْ يَعْنِ اللَهُ مِثْلَ هَذَا مِنْ خَلْقِهِ . يَعْنِي الأُمَّةَ الَّتِي وَجَبَتْ لَهَا دَعْوَةُ إبْرَاهِيمَ : «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» ؛ وَهُمُ الأُمَّةُ الوُسْطَى وَهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.**[1]

وحقّاً ، فالأمر على ما قال عليه السلام . وكيف يمكن أن يأتي الله عزّ وجلّ يوم القيامة بأفراد فاسقين من هذه الأُمّة ، فيقول أمام الأنبياءكلوط وشعيب ويونس ودانيال ، وأمام جميع الأُمم بأنّ هؤلاء هم شهداء أُمّة خاتم الأنبياء ؟

المراد بالأُمّة الوسط هنا هم الأئمّة ، دون أن يكون لفظ «الأُمّة» قد استعمل في الأئمّة . فالأُمّة بمعنى الأُمّة ، إلّا أنّ مصداقها الواقعيّ منطبق هنا على خصوص الأئمّة ، وعليه فقد جاء الخطاب عامّاً بملاك هذا المصداق .

---

١ ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٦٣ .

إلّا أنّ حقّ ورود الخطاب بهذه الخصوصيّات مختصّ بالأفراد الذين يمتلكون هذه المزايا ، وهم أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين ، والأخبار الواردة في هذا المجال تفوق حدّ الاستفاضة .

وبهذا البيان يتّضح معنى الآية الشريفة :

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.[1]

على أنّ الآية التالية أوضح منها دلالة وأكثر جلاء : **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ.**[2]

وهي أكثر صراحة من سابقتها ، لأنّها تقول : **يَوْمَ نَبْعَثُ** ثمّ تقول : **مِن أَنفُسِهِمْ**. وأُولئكِ الأفراد المبعوثون هم الأئمّة المصطفون من قِبَل الله تعالى ، بعثهم من بين الناس للشهادة على أعمالهم .

يقول عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسيره في بيان عبارة «**شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ**» : **يَعْنِي عَلَى الأَئِمَّةِ ، فَرَسُولُ اللهِ شَهِيدٌ عَلَى الأئِمَّةِ ، وَهُمْ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ.**[3]

وجاء في « الاحتجاج » للشيخ الطبرسيّ رحمة الله عليه عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن حديث يذكر فيه أحوال أهل الموقف :

قَالَ : فَيُقَامُ الرُّسُلُ فَيُسْأَلُونَ عَنْ تَأْدِيَةِ الرِّسَالَةِ الَّتي حَمَلُوهَا إِلَى أُمَمِهِمْ ، وتُسْئَلُ الأُمَمُ فَتَجْحَدُ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ

١ـ الآيتان ٤١ و ٤٢ ، من السورة ٤ : النساء .

٢ـ النصف الأوّل من الآية ٨٩ ، من السورة ١٦ : النحل .

٣ـ «تفسير القمّيّ» ص ١٢٧ .

أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ولَنَسْئَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ» ، فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَـذِيرٍ ، فَتَشْهَدُ الرُّسُلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَشْهَدُ بِصِدْقِ الرُّسُلِ وَتَكْذِيبِ مَنْ جَحَدَهَا مِنَ الأُمَمِ فَيَقُولُ ـ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ «بَلَىٰ قَـدْ جَآءَكُـمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّـهُ عَـلَىٰ كُـلِّ شَـىْءٍ قَـدِيرٌ» ، أَي : مُـقْتَدِرٌ عَـلَى شَـهَادَةِ جَوَارِحِكُمْ عَلَيْكُمْ بِتَبْلِيغِ الرُّسُلِ إِلَيْكُمْ رِسَالَاتِهِمْ ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ لِـنَبِيِّهِ : «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا» .[1]

وأورد العيّاشيّ في تفسيره عن أبي معمّر السعديّ ، قال :

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ يَوْمِ القِيَامَةِ : يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ يُسْتَنْطَقُ فِيهِ جَمِيعُ الخَلْقِ فَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ، فَيُقَامُ الرُّسُلُ فَيُسْأَلُونَ.فَذَلِكَ قَـوْلُهُ لِـمُحَمَّدٍ عَـلَيْهِ السَّـلَامُ : «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا» ؛ وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى الشُّهَدَاءِ ، والشُّهَداءُ هُمُ الرُّسلُ .[2]

وجاء في كتاب «فضائل الشيعة» للشيخ الصدوق رضـوان اللـه عـليه رواية رواها بسنده المتّصل عن الثماليّ :

قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَحْنُ الشُّـهَدَاءُ عَـلَى شِـيعَتِنَا ، وَشِيعَتُنَا شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ ، وَبِشَهَادَةِ شِيعَتِنَا يُجْزَوْنَ وَيُعَاقَبُونَ .[3]

وخلاصة القول أنّ شهادة رسول الله عـلى الأنـبياء والأئـمّة عـليهم السلام تقوم على أساس الدرجات والمقامات التي يـنبغي مـراعـاتها ، لأنّ

---

١ ـ «الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٦٠ و ٣٦١ ؛ طبعة النجف ، ضمن احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق ادّعى وجود تناقض في آيات القرآن .

٢ ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٢٤٢ .

٣ ـ جزء «المعاد» للعلّامة المجلسيّ رحمة اللـه عـليه ، ص ٣٢٥ ، مـن أجـزاء «بحار الأنوار» وهو الجزء السابع من الطبعة الحروفيّة

درجة رسول الله ومقامه في الذروة من السمّو والرفعة ؛ أمّا مقامات الأنبياء والأئمّة فأدنى منه . فيشفع الأئمّة للأُمّة ويشهدون على أعمالهم ، لأنّ الناس العاديّين لا قِبَل لهم بمقاومة نور الجلال دون واسطة وحجاب .

ومن هنا فإنّ ذلك النور يتنزّل بلحاظ المراتب والدرجات والمقامات ، فيأخذ كلٌّ نصيبه منه . لذا يمكن للإنسان الوصول إلى مقامات الرضا والتسليم أمام ذات الحقّ عن طريق التوسّل بالأئمّة ، وبغير ذلك فإنّه سيبقى حائراً ضائعاً تائهاً إلى آخر عمره .

فَيَا رَبِّ بِالخِلِّ الحَبِيبِ نَبِيِّنَا رَسُولِكَ وَهُوَ السَّيِّدُ المُتَوَاضِعُ
أَنِلْنَا مَعَ الأَحْبَابِ رُؤْيَتَكَ الَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ الأَوْلِيَاءِ تُسَارِعُ
فَبَابُكَ مَقْصُودٌ وَفَضْلُكَ زَائِدٌ وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَعَفْوُكَ وَاسِعٌ[1]

خيال روى تو در هر طريق همره ماست
نسيم موى تو پيوند جان آگه ماست
بِرَغْمِ مدّعيانى كه مَنع عشق كنند
جمال چهرهٔ تو حجّت موجّه ماست
ببين كه سيب زنخدان تو چه مى‌گويد
هزار يوسف مصري فتاده در چه ماست[2]

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ٢١٣ .

٢ـ «ديوان حافظ» ص ٣٩ ، طبعة پژمان .

يقول : «خيال طلعتك رفيقنا في كلّ درب ، ونسيم شَعرك قرين أرواحنا .

وبرغم أنف المدّعين الذين يمنعون العشق ويحظرونه ، فإنّ حُسن وجهك حجّتنا الوجيهة القاطعة .

فتطلّعْ إلى الغمّازة في ذقنك إذ تقول بأنّ ألف يوسف مصريّ قد وقعوا في بئرنا . (وصار لنا عاشقاً)» .

اگــــر بـــه زلف دراز تــو دست مــا نــرسد
گــناه بــخت پــريشان و دست كـوته مـاست
بـه حـاجب درِ خـلوتْ سـراى خـاصّ بگـو
فــلان ز گـــوشه نشـينان خـاك درگـه مـاست
به صورت از نظر ما اگـرچـه مـحجوب است
هـــميشه در نـــظر خــاطر مــرفّه مــاست
اگــر بــه ســائلى حــافظ درى زنـد بگشـاى
كه سالهاست كه مشتاق روى چون ماه ماست[1]

١ـ يقول : «وإن عجزتْ أيدينا عن نيل جدائلك الطويلة ، فذاك من طالعنا السيّئ وأيدينا القاصرة .

فقلْ لحاجب بلاط خلوتك الخاصّ : إنّ فلاناً المنزوي أضحى ترابَ أعتابنا .

وإنّه ـ ولو كان محجوباً عن نظرنا في الظاهر ـ ماثلٌ على الدوام في خاطرنا المرفّه .

وإن طَرَق البابَ حافظ مُستجدياً فافتحْ له ، فهو مشتاق منذ سنين لطلعتنا الشبيهة بالقمر !» .



المجلس السادس والأربعون

شهادة الملائكة على الإنسان في يوم القيامة



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ .[1]

من بين الطوائف التي تحضر يوم القيامة للشهادة على أعمال الإنسان طائفةُ الملائكة . وقد بحثنا في المجلس السابق في كيفيّة شهادة رسول الله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، وسيدور بحثنا في هذا المجلس عن كيفيّة شهادة الملائكة .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ

١ـ الآية ٦١ ، من السورة ١٠ : يونس .

نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ.[1]

لقد خلقنا الإنسان ونعلم بجميع الهواجس والأفكار التي تعتريه وتخطر في ذهنه ، والوساوس التي تعتمل في نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد الحيويّ . وهناك مَلَكان جالسان عن يمينه وعن شماله يتلقّيان الأعمال والألفاظ والأفكار التي تصدر منه ويسجّلانها . والمراد عن اليمين والشمال ، جهتي السعادة والشقاء ،كناية عن أعمال الخير والسيرة الحسنة وعن أعمال الشرّ والسيرة السيّئة ؛ تلك الأعمال التي تسوق الإنسان في نهاية المطاف إلى أصحاب اليمين أو إلى أصحاب الشمال . فهذان الملكان (عتيد ورقيب) يدوّنان كلّ ما يفعل أو يلفظ ، ولو كان كلمةً واحدة .

ثمّ تأتي سكرة الموت بالحقّ ، ذلك الموت الذي كنت ـ أيّها الإنسان ـ تفرّ منه وتنأى وتحيد ؛ ويُنفخ في الصور فهو يوم المعاد الذي تُسرع فيه إلى لقاء الله وزيارة الحقّ تعالى . يؤمئذٍ تجيء جميع النفوس والأرواح إلى ساحة الله وتقف في موقف عدله عزّ وجلّ .

كلّ نفس معها سائق وشهيد ، سائق تتحرّك النفوس إلى ذلك العالم على ضوء حركته وهديه ، وشهيد لم يطّلع على جميع أعمالها وأفكارها فحسب،بل دوّن كذلك تلك الأعمال وذلك السلوك ، وحفظ في ذاته وكيانه حقيقة العمل وهيئته بصورة كاملة ، من أجل أن يأتي في مثل هذا اليوم فيؤدّي شهادته بشأنها .

ولقد كنتَ ـ أيّها الإنسان ـ في غفلة عن هذه الحقيقة ، فكشفنا عن بصرك حجاب المعنى ، فصار بصرك حادّاً نافذاً . لذا صرت تشاهد حقائق

١ـ الآيات ١٦ إلى ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .

ما وراء حجاب المادّة والطبع . وليس ظواهر الأعمال والسلوك ووقائع الأُمور والحوادث فحسب ، بل أضحيت تطّلع على حقائقها وبواطنها ونواياها وملكاتها وأخلاقها بلحاظ الخير والشرّ ، والسعادة والشقاء ، والحقّ والباطل .

لهذه الآيات دلالة على أنّ للإنسان مَلَكاً موكّلاً به ، وأنّ لكلّ شخص ملائكة خاصّين لتدوين أعماله وتسجيلها . وبطبيعة الحال فإنّ لكلٍّ من هؤلاء الملائكة الذين خلقهم الله تعالى وظائف ومهمّات خاصّة . فبعضهم للعلم ، والآخر للحياة ، أمّا هذه الطائفة من الملائكة التي يذكرها عزّ وجلّ في هذه الآيات ، فهي طائفة الملائكة الذين يأتون يوم القيامة فيشهدون بما تحمّلوه في هذه الدنيا . أي أنّهم يقومون بتدوين الأعمال ، الصالح منها والطالح :

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ .

فهذان المتلقّيان يلازمان الإنسان على الدوام ولا ينفصلان عنه . وهما معه في نومه ويقظته ، وفي سكونه وحركته . حتّى إذا لفظ الإنسان جملةً ما ، دوّناها على الفور . لا يعتريهما غفلة ولا نسيان ، ولا يطرأ عليهما تقاعس ولا فتور في القيام بوظيفتهما .

مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ .

وقد ذكر بعض الأعلام ،كصاحب «مجمع البيان» والعلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه السامي ، أنّ رقيب وعتيد ليسا اسمي عَلَم لملكينِ ، بل هما صفتان بمعنى الحفيظ وبمعنى المعدّ المهيّأ والحاضر والشاهد .

فهؤلاء الملائكة الحفظة المستعدّون يتسلّمون كلّ جملة يلفظها الفم ، وكلّ قولٍ يصدر من الإنسان ، خيراًكان أم شرّاً ، فيسجّلونه ويدوّنونه .

كما ورد لدينا بهذا المضون : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ * كِرَامًا كَـٰتِبِينَ *

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ.[1]

بَيدَ أنّنا قد ذكرنا في بعض الأبحاث السابقة أنّ لكلّ صنف الملائكة مهمّة خاصّة، فهناك ملائكة للعلم، وملائكة للحياة، وملا للرزق، وللحكمة وللحفظ والقوّة وتسجيل الأعمال وغير ذلك. وقد كلّ صنف من الملائكة لإنجاز وظيفة معيّنة على نحوٍ لا يمكنهم معه تخ مهمّتهم التي هي أصل خلقتهم.

فإن كان رقيب وعتيد صفتين مختلفتين تعنيان الحفيظ والحا المهيّأ، فإنّ هاتين الصفتين تدلّان على ذاتين مختلفتين، وستكو منطبقتين على العَلَميّة.

وهذا بديهيّ، إذ نرى اليوم كيف تسجّل هذه الآلات المخترعة ـ الرغم من كونها مادّيّة لا معنويّة روحانيّة ـ كلمات الإنسان وصورته بح يمكنها الاحتفاظ بهذا التسجيل قروناً عديدة، فينبغي ألّا نَدَع للشكّ س إلى أنفسنا في أمر قيام الملائكة الإلهيّين الأحياء بتسجيل الأعمال والص فهذه الصور والألفاظ يمكن مشاهدتها في عالم المادّة الخاضع لسيطرة الملكوت والمعنى، فضلاً عن الموجودات الملكوتيّة الروحانيّة المـهـ والمطّلعة على أعمال الإنسان.

إلّا أنّ هناك نكتة جديرة بالتأمّل، وهي: هل لأُولئك الملا درجات ومراتب مختلفة كما للإنسان درجات ومراتب مختلفة؟

والإجابة: نعم، إنّ لهم درجات مختلفة. إذ إنّ بعضهم من الملا المقرّبين مثل **جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل**، والبعض الآخر أتباعهم وجندهم، وصولاً إلى الملائكة الفرعيّين الذين يمتلك كلّ إنس

---

[1] ـ الآيات ١٠ إلى ١٢، من السورة ٨٢: الانفطار.

ملكاً خاصّاً منهم ؛ ووصولاً إلى الملكينِ رقيب وعتيد الموكّلين بأعمال الإنسان .

على أنّ أعمال الإنسان ودرجاتها وكيفيّاتها متفاوتة بلحاظ الصحّة ومقدار التقرّب والخلوص في النيّة . فمعاصي الأفراد العاديّين هي الذنوب التي يرتكبونها من زنا وكذب ولعب قمار وشرب خمر واعتداء على نواميس الناس وحقوقهم وأعراضهم ، وهي المعاصي التي يرتكبها عامّة أفراد الناس .

لكنَّ الأمر يختلف بالنسبة للمؤمنين ، إذ إنّ مَلَكة العدالة التي نشأت لديهم تردعهم عن ارتكاب أمثال هذه الكبائر ، فهم من الخواصّ ولهم أعمال خاصّة . أمّا ذنوبهم فلها شكل آخر ، وهو الانشغال بغير الله عزّ وجلّ ، إذ إنّ التفاتهم إلى غيره سبحانه يُعدّ عليهم ذنباً .

فالخواصّ في مقام ودرجة لو غفلوا فيها عن الله تعالى ساعةً في اليوم ، لتوجّب عليهم التوبة من ذلك ، لأنّ الالتفات إلى غير الله يعدّ عليهم ذنباً ومعصية .

وحين تترسّخ هذه الصفة لدى المؤمنين بحيث تصبح من مَلَكاتهم ؛ ويغرقون في أسماء الحقّ وصفاته فلا يغفلون عنه سبحانه ، فإنّه تبارك وتعالى سيرفعهم إلى درجات أعلى ويجعلهم من أصفيائه .

إلّا أنّه يبتليهم ويختبرهم في هذه المرحلة ليرتقوا فوق هذه الدرجة . وعليهم أن يجتازوا هذه الاختبارات التي قد يصعب بعضها ويشقّ على النفس . وكثيراً ما يحصل أن يدعوا هؤلاء المؤمنون في خضمّ معاناة الشدائد والمصائب أن: يا إلهي! لقد هدّنا التعب ، فارفع عنّا هذه المشكلات .

ويمكن أن يبحثوا في أعماقهم باستمرار عن طريق للفرار من تلك المشاكل ، لكنّ حتّى هذا التفكير يعدّ ذنباً ، لأنّ واجبهم الفعليّ هو أن

يتحملوا ما يصيبهم بصبر وتحمّل وثبات واستقامة، لأنّه من قِبَل الحقّ سبحانه. وينبغي عليهم تخطّي هذه المرحلة دون الالتجاء للدعاء لرفعها فراراً من المحنة والشدّة. فإن قالوا «خلّصنا يا إلهنا من هذه الفترة فقد تعبنا وأُعيينا» عُدّ ذلك معصيةً منهم. لذا يُقال ـ على هذا الأساس ـ إنّ الأصفياء يتوبون من التنفيس. أي من قولهم: نَفِّس اللهمّ عنّا هذا الهمّ.

فإن وُفّق الأصفياء في هذه المرحلة واجتازوها بنجاح وظفر، نقلهم الله سبحانه إلى درجة **الأولياء**. وأمثال هؤلاء الفائزين بهذه الدرجة ينعدم لديهم أيّ معنى لذنوب العامّة والخاصّة والأصفياء، فلقد اجتازوا هذه المراحل وعبروها، فصار ذنبهم في هذا الموقف والمنزل عبارة عن **تلويث الخاطر**. فماذا يعني تلويث الخاطر يا ترى؟

يعني أنّ أذهانهم وخواطرهم وصفحات أفكارهم ينبغي أن تكون على الدوام منزّهة لا يمرّ عليها أيّة خاطرة. بل تبقى تلك الأذهان كالمرآة المشعّة أمام الحقّ وفي محضره، لا يضيء فيها غير جمال الحقّ سبحانه، فإن خطر على أذهانهم خاطر ما، عُدّ ذلك ذنباً.

ونحن نعلم أنّ على الإنسان أن يتحلّى بحضور قلب خلال الصلاة، أي أن يسعى ليكون التفاته إلى ذات الخالق بحيث لا تخطر على ذهنه خاطرة ما خلال الصلاة، وأن يسعى ليكون ذهنه منزّهاً غير ملوّث. فإنّ دأب أولياء الله أن لا تخطر لهم أيّة خاطرة، ليس خلال الصلاة فحسب، بل طيلة نهارهم وليلهم، اللهمّ إلّا التفكير بأمر الله، والأفكار الصالحة. حيث يكون ورود أمثال هذه الخواطر بإذن من قلوبهم. فإن حصل لبعضهم تشويش في بعض الأحيان سبّب تلوّث الذهن، عُدّ ذلك من الذنوب، وتوجّب عليه الاستغفار منه.

وَتَوْبَةُ الأَوْلِيَاءِ مِنَ التَّلْوِيثِ. ثمّ إنّهم يرتقون من هذه الدرجة،

فيصلون إلى درجة يتعذّر فيها على أيّة خاطرة أن تمرّ على أذهانهم، ويمتنع فيها على طائر الخواطر اقتحام دائرة أذهانهم أو أن يحطّ فيها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ.[1]

إنّ المتّقين هم الذين حازوا مقاماً ودرجةً، بحيث إذا ما شاء الشيطان الطواف حول قلوبهم تمهيداً للهبوط فيها، أو إذا شاء إيجاد خاطرة فيها، استعانوا بحربة ذكر الحقّ جلّ وعزّ ليطردوه بها.

وحين يتنزّه الذهن، فإنّه سيجد قوّة يمتنع بها على الخواطر الشيطانيّة فلا تنفذ فيه. فإن حصل للمتّقين في بعض الأحيان اضطراب في وجودهم وحقيقتهم، عُدّ ذلك ذنباً لهم. ويُدعى هذا الاضطراب باضطراب السرّ.

بَيدَ أنّه ليس من قبيل الذنوب الخارجيّة، ولا من الذنوب الفكريّة والذهنيّة، ولا من الذنوب القلبيّة، كما أنّه ليس تنفيساً وانشغالاً بغير الله تعالى. فهو ليس واحداً من هذه الذنوب. وينبغي على نفوس هؤلاء المتّقين أن تكون في الشدائد والمحن الشاقّة والعجيبة أشبه بماء البحر، صافيةً ولطيفة لا يعكّرها ولا يشوبها أي موج ولا اضطراب.

فإن حصل في هذه النفوس، إثر ابتلاءٍ معيّن أو حادثةٍ ما اضطراب وتشويش، مثل ماء البحر الساكن الذي تهبّ عليه الريح فيتموّج ويضطرب، عُدّ ذلك منهم ذنباً، وتوجّب عليهم أن يتوبوا منه، وهذه التوبة هي توبة من اضطراب السرّ.

وقد ورد ضمن رواية في «مصباح الشريعة» المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام:

١ـ الآية ٢٠١، من السورة ٧: الأعراف.

تَوْبَةُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ اضْطِرَابِ السِّرِّ ؛ وَتَوْبَةُ الأَوْلِيَاءِ مِنْ تَلَوُّثِ الخَطَرَاتِ ؛ وَتَوْبَةُ الأَصْفِيَاءِ مِنَ التَّنْفِيسِ ؛ وَتَوْبَةُ الخَاصِّ مِنَ الاشْتِغَالِ بِغَيْرِ اللَهِ ؛ وَتَوْبَةُ العَامِّ مِنَ الذُّنُوبِ.[1]

والخلاصة فإذا ما تُخطّيت مرحلة اضطراب السرّ ، أعقبتها درجة معيّنة خاصّة بالمخلَصين ينعدم فيها اضطراب السرّ ، ويسودها الهدوء والسكون المحض .

ويستنتج من هذا الأمر أنّ أولئك الملائكة الموكّلين بالإنسان يمتلكون بدورهم درجات ومقامات مختلفة . فهناك طائفة من الملائكة الفرعيّين بإمكانهم تسجيل الأعمال فقط . وهناك طائفة أُخرى ينبغي أن تكون درجتهم أكمل ، ليفهموا متى ينشغل الإنسان بالله سبحانه ومتى ينشغل بغيره . وهؤلاء يسجّلون في هذه المرحلة خصائص مدركات الإنسان الذهنيّة كما أنّ هناك طائفة أُخرى أرفع مقاماً ، وهم الموكّلون بالأصفياء ، يسجّلون تنفيسهم في مواقع الابتلاء والمحنة ، ويسجّلون حالاتهم خلال الامتحانات والاختبارات وفي سائر الشؤون الأُخرى .

وهناك طائفة أعلى منهم مقاماً ، وهم الملائكة الموكّلون بالأولياء ، يسجّلون درجات شؤونهم وأحوالهم ، ويدوّنون التلوّث الذي قد يحصل لخواطرهم في جميع الأحوال . وبناءً على ما ذكر فليس لجميع الملائكة نفس الدرجة والمقام الواحد .

بَيدَ أنّ للإنسان مقاماً دقيقاً وموقفاً لطيفاً لا يمكن لأيّ ملك من الملائكة أن يسجّله . لماذا ؟ لأنّ الإنسان يصل في مرحلة الصعود وفي مقام القرب إلى حيث لا يمكن لأيّ موجود أن يعلو عليه ، حتّى لو كان ذلك

١ـ «رسالة لقاء الله» ص ٤١ ، طبعة انتشارات هجرت ، نقلاً عن «مصباح الشريعة» .

الموجود من الملائكة المقرّبين .

يقال : إنّ الإنسان أشرف المخلوقات . أي ذلك الإنسان الذي يصل في مقام التزكية والتهذيب إلى حيث يخرج عن دائرة علم الملائكة المقرّبين وقدرتهم ، وإلى حيث لا يفصل بينه وبين الذات القدسيّة للباري تعالى أيّ حجاب أوفاصلة ،وإلى حيث لا يمكن لأيّ مَلَك الورود إلى ذلك المقام ، إذ يتعذّر على فكر المَلَك وعلمه وخواطره وسعة قدرته كَمَلك أن يسجّل دقائق خلوة المؤمن بحضرة الحقّ تعالى .

وقد جاء في الروايات قولٌ للمعصومين عليهم السلام : **لِي مَعَ اللَّهِ حَالَاتٌ لَا يَسَعُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ.**[1]

أي أنّ لكلّ منّا حالات مع الله فوق سعة جميع الملائكة المقرّبين بحيث يعجز الإدراك الرفيع والفكر المتعالي لأيّ ملك من الوصول إلى تلك الحالات وإدراكها .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الذي علّمه لكميل بن زياد ، ضمن تضرّعه إلى الله عزّ وجلّ :

وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الكِرَامَ الكَاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ.

وكلام الإمام هذا إشارة إلى الذنوب المتعلّقة بالأنبياء والأولياء . تلك الذنوب التي يتعذّر على الملائكة الاطّلاع عليها ، والتي لا يعلم بخصائصها غير الذات القدسيّة للحقّ تعالى . ويتمثّل غفرانها في رفع اضطراب السرّ . أي أنّ الله تعالى يمنّ على عبده المؤمن الذي وصل إلى تلك الدرجة ،

١ـ «بحار الأنوار» ج ١٨ ، ص ٣٦٠.

فيُبقيه في حرمه ويضيّفه بحيث لا يعتريه اضطراب السرّ طوال مدّة عمره إلى أوان وفاته.

كان هذا كلامنا في شأن الأفراد الذين يرتكبون أمثال هذه الذنوب، فيسجّل الملائكة أعمالهم بهذه الطريقة. أمّا فيما يتعلّق بأهل المعصية فإنّ الملائكة يطّلعون على جميع أعمالهم، لأنّهم يطّلعون على ذنوب الخاصّة والعامّة وعلى سائر أعمالهم الأُخرى. أمّا اضطراب السرّ أو تلوّث الخاطر أو التنفيس المختصّ بالمتّقين، فإنّ الملائكة لا تطّلع على بعض خصوصيّاته.

ولدينا في الروايات أنّ للإنسان ملكينِ في النهار، وملكينِ في الليل. فملكا النهار يأتيان من أوّل طلوع الفجر الصادق، فيلازمان المرء ويستقرّ أحدهما على كتفه الأيمن بينما يستقرّ الآخر على كتفه الأيسر. وبطبيعة الحال فإنّ المَلَك ليس موجوداً مادّيّاً ليحتاج إلى محلّ، إلّا أنّه إذ يتعلّق بالمادّة فإنّه يكتسب نسبة وإضافة إلى المادّة. شأنه في ذلك شأن أرواحنا غير المادّيّة التي حصلت ـ بواسطة تعلّقها بالبدن ـ على إضافة ونسبة خاصّة لذلك البدن.

فمجيء الملكينِ السماويّين واستقرارهما على كتفَي الإنسان هو إذاً نظير تعلّق النفس بالبدن. كما أنّ اليمين والشمال كناية عن السعادة والشقاء. أي أنّ أحد ذينك الملكينِ يسجّل الأعمال الحسنة، ويدعو الإنسان إلى الأعمال الصالحة ويلهمه القيام بها؛ أمّا الآخر فيسجّل الأعمال الطالحة وينهى الإنسان عن ارتكابها. ثمّ يهبط ملكا الليل عند غروب الشمس ليلازما الإنسان إلى طلوع الفجر. فيتبادلان مواقعهما مع ملكَي النهار اللذين ينصرفان. وتدعى هذه الملائكة بملائكة الليل والنهار.

يقول المرحوم آية الله العظمى الحاجّ الميرزا جواد آقا الملكي

التبريزيّ أعلى الله تعالى مقامه الشريف ـ وكان من كبار العلماء الأتقياء وأفاضل الأولياء والأصفياء،ممّن حاز على مقامات ودرجات وكرامات ـ في كتابيه «أسرار الصلاة» و «أعمال السنة» أو «المراقبات» : إنّ الإنسان يرقد في الليل فيوقظه الملائكة الموكّلون به لصلاة الليل ، فإن لم يلقِ إلى ذلك بالاً وعاد إلى النوم ، فإنّهم يوقظونه من جديد . ثمّ ينام فيوقظونه من جديد . وليس هذا الاستيقاظ المتكرّر أمراً اتّفاقيّاً ، بل هو استيقاظ ملكوتيّ يحصل بواسطة الملائكة . فإن أفاد الإنسان منه ونهض أعانوه وقوّوا روحه ، وإلّا أصابهم التأثّر والفتور .

يقول ذلك المرحوم : إذا قمتَ من النوم فلم تشاهد أُولئك الملائكة ، فحيّهم وسلّم عليهم على الأقلّ ، وادعُ لهم واشكرهم .

ثمّ ينقل في كتابه دعاءً بعنوان سلام وتحية لأُولئك الملائكة ، يقرأه الإنسان حين ينهض من النوم ، ويحمد الله الذي جعل هذه الموجودات الملكوتيّة تلازمه لتؤنسه وتعينه في خلوته ومناجاته لربّه ، وتطهّره من تعلّقات عالم المادّة ومن الرذائل الأخلاقيّة والشهوات ، وتُلفّته إلى ربّه .

ينقل أحد إخوة الإيمان أنّه عندما كنت في حرم سيّد الشهداء عليه السلام في إحدى الليالي قرب أذان الصبح ، حيث كان الناس منهمكين بالعبادة ، وكلٌّ واحد منشغل بنفسه ، شاهدتُ أحد أصحاب المكاشفة ـ ممّن تعرفّت عليه سابقاً ـ وهو يجلس إلى جهة الرأس المطهّر وقد غرق في التفكير العميق وكان الناس ينتظرون حلول الأذان ليصلّوا صلاة الصبح . فتوجّهت إليه وسألته : هل حلّ وقت صلاة الصبح أيّها السيّد ؟ فتطلّع إليّ وقال : أفأعمى أنت ؟ ألم تشاهد ملائكة الليل قد رحلوا وملائكة الصبح قد جاءوا ؟!

وكان ذلك الشخص المراقب المتفكّر صادقاً ، فقد كان يرى ذلك

عياناً ، لأنّ عينه الملكوتيّة كانت مفتوحة مُبصرة . أمّا الآخرون فكانوا لا يرون شيئاً .

إنّ بصر الإنسان لا ينحصر في عينيه الواقعتين في جمجمته فهذه هي أعين عالم المُلك التي يمكن للإنسان بواسطتها الارتباط مع موجودات عالم الطبع والمادّة . إلّا أنّ الإنسان يمتلك كذلك عيناً ملكوتيّة يمكنه من خلالها الارتباط مع موجودات عالم المعنى ومع الملائكة .

وعلى أيّ تقدير فإنّ علم الملائكة الذين يدوّنون أعمال الإنسان ليس منفصلاً عن علم الله عزّ وجلّ ، كما ليست شهادتهم منفصلة عن شهادته تعالى .

وقد أُرسيت قواعد الفلسفة التوحيديّة الإلهيّة على أساس أنّ فعل جميع الموجودات التي تصدر منها الأفعال هو عين فعل الله وليس منفصلاً عن فعله تعالى .

وعلى سبيل المثال فإنّ عمل الملائكة الذين يسجّلون الأعمال هو عين فعل الله عزّ وجلّ . وليس الأمر بحيث إنّ لله اطّلاعاً وعلماً ، وإنّ لهم اطّلاعاً وعلماً آخر منفصلاً عن علمه .

ليس الأمر بحيث إنّ الشاهَد شاهدٌ على أعمال الإنسان ، وإنّ الملائكة يشهدون على تلك الأعمال بصورة منفصلة عن حكومة الله وسيطرته . إذ إنّ علمه تعالى بالموجودات علم حضوريّ لا حصوليّ . لذا فإنّ نفس الملائكة حاضرون مع علمهم عند الله المتعال ، وهذا الحضور هو علم الله سبحانه .

وعلى هذا الأساس فإنّ علم الملائكة هو عين علم الله ؛ كما أنّ شهادتهم ـ بلحاظ التحمّل والأداء ـ هي عين المثول في محضر الحقّ المتعال ، وعين الإحاطة والسيطرة الإلهيّة الوجوديّة والحضوريّة بهم . وهما

ـ إذاً ـ عين علم الحقّ وشهادته .

وبعبارة أبسط بياناً ، فإنّ الملائكة لا يمتلكون استقلالاً بأنفسهم ، إذ ليسوا إلّا مجرّد آلة محضة ، ومرآة وآية محضتان . ولقد تجلّى علم الله تعالى فيهم ، فصاروا يرون ويتحمّلون بواسطة علم الحقّ تعالى ثمّ يقومون بأداء الشهادة .

ومن هنا فإنّ هذه الأُمور تنتسب للملائكة بلحاظ مقام الكثرة ، وتنتسب إلى الحقّ تبارك وتعالى بلحاظ مقام الوحدة . وهي بلحاظ مقام الوحدة في الكثرة منتسبة إلى الحقّ الذي ظهر وتجلّى في هذه المرايا . كما أنّها بلحاظ مقام الكثرة في الوحدة منتسبة إلى الملائكة ؛ قد نشأت بعلّة التحقّق بالحقّ تعالى .

وبتعبير أبسط فإنّ علم الملائكة وشهادتهم هما عين علم الله وشهادته ، إذ لا استقلال ـ عموماً ـ للوسائط بنفسها ، بل هي طلوع وظهور لعلم الله من خلال مرايا وجود هذه الوسائط ، دون أن يكون للوسائط بنفسها أيّ دخل في ذلك ، وهذا هو المعنى الحقيقيّ للتوحيد .

يقول الله عزّ وجلّ : وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ .[1]

فما الذي يعنيه ذلك ؟ يعني أنّ كتاب الله المتجلّي (وهو عالم التكوين والخلقة) هو عين علم الله سبحانه . فعلمه تعالى إذاً ليس منفصلاً عن عالم الخلقة وكتاب التكوين . كما أنّ عالم التكوين والشهادة ـ في المقابل ـ ليس منفصلاً عن علم الله عزّ وجلّ .

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

---

١ ـ الآية ٦١ ، من السورة ١٠ : يونس .

يَكْتُبُونَ.[1]

ويُلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّه تعالى على الرغم من تسميته الملائكة بكتّاب الأعمال، فإنّه يقول: إنّنا نعلم سرّهم ونجواهم.

كما يقول تعالى: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ.**[2]

أي أنّ فعل الملكين هو فعلنا؛ وأخذهما وتلقّيهما، هو أخذنا وتلقّينا.

لقد تجلّى علمنا الكلّيّ المحيط في هذه الشبكات والقوالب والآلات والمرايا، فظهر في كلّ مَلَك بقدر سعته. فصار علمهم ـ من ثمّ ـ عين علمه عزّ وجلّ.

والملفت للنظر هنا أنّ جملة **إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ** وردت في موضع تعليل. أي أنّها جاءت للإجابة على سؤال: لماذا نحن أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد؟ ولماذا نعلم بوساوسه وأفكاره ونواياه وخواطره؟ لأنّ المتلقّيين جالسان عن الشمال وعن اليمين يحفظان جميع أقواله وأفعاله. فنفس حفظهما وحراستهما ـ إذاً ـ هي عين علمنا واطّلاعنا وحفظنا.

ومن هذا القبيل جملة: **وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**،[3] الواردة بعد قوله: **وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ.**

أي أنّ رؤية رسول الله والمؤمنين هي عين شهادة الحقّ جلّ وعزّ.

١ـ الآية ٨٠، من السورة ٤٣: الزخرف.

٢ـ الآيتان ١٦ و ١٧، من السورة ٥٠: ق.

٣ـ الآية ١٠٥، من السورة ٩: التوبة.

ونظير هذه الآيات الكريمة التي ينسب فيها الله إلى نفسه عمل الموجودات والملائكة كثيرة وجمّة في القرآن الكريم. وليست حقيقة التوحيد أمراً غير هذا. وعلى الإنسان أن ينتبه ويتوجّه كلّ ساعة من نهاره وليله إلى أنّه لم يُخلق مهملاً في عالم التكوين.

يقول القرآن الكريم: **أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى.**[1]

إنّ الإنسان لم يترك سدى، فهو موجود من الموجودات التي خلقها الله تبارك وتعالى عن علم وحكمة. وكلّ ذرّة شكّلت بدن الإنسان وأوجدت روحه وسرّه وأكملت ظاهره وباطنه كانت وفق تقدير وحكمة. وبالتالي فإنّ الإنسان مسؤول في محضر الحقّ سبحانه. فإن هو طوى صراط الحقّ ومسيرة العدل والصراط المستقيم الذي ينبغي عليه طيّه، فسيكون قد اجتاز طريقه وفق نظريّة الخلق التشريعيّة.

وعلى الإنسان أن لا يتصوّر أنّه كان مهملاً، ليتحرّك ساعة في الطريق المستقيم وأُخرى في مسار مُنحرف؛ وليتوجّه إلى الله في ليلة معيّنة ويغفل عنه في أُخرى؛ وليمتنع عن الكذب في شهر رمضان ثمّ يدنّس نفسه بالمعصية بعد شهر رمضان.

ای مرکز دائره امکان وی زُبدهٔ عالم کون و مکان
تو شاهِ جواهرِ ناسوتی خورشیدِ مظاهرِ لاهوتی
تا کی ز علایقِ جسمانی در چاه طبیعتِ خود مانی[2]

١ـ الآية ٣٦، من السورة ٧٥: القيامة.

٢ـ مجموعة الشيخ البهائيّ «شير و شكر» ص ٢٣.
يقول: «يا محور دائرة الإمكان، وخُلاصة عالم الكون والمكان.
أنت مَلِك الجواهر الناسوتيّة، وشمس المظاهر اللاهوتيّة.
إلى متى تبقى متردّياً في بئر طبعك من جرّاء العلائق البدنيّة؟».

تـــا چـــند بـــه تـــربيتِ بـــدنى	قـــانع بـــه خـــزف زِ دَرِ عَـــدَنى
صد مُلْك ز بهر تو چشـم بـه راه	اى يـوسف مـصر بـرآ از چـاه
تـا والى مـصر وجـود شـوى	سـلطان سـرير شـهود شـوى
در روز أَلَست بَـــلَى گـــفتى	وامـروز بـه بسـترِ «لا» خـفتى
تـا كـى زمـعارف عـقلى دور	بـه زخـارف عـالمِ حسّ مـغرور
از مـــوطن اصـل نـيارى يـاد	پـيوسته بـه لهـو و لعِب دلشـاد
نـــه اشك روان نـه رخ زردى	اللـه اللـه تـو چـه بـىدردى
يكدم به خود آ و ببين چه كسى	به چه بسته دل و به كه هم نفسى
زين خـواب گـران بـردار سرى	مـىپرس ز عـالمِ دل خـبرى
زين رنج عظيم خـلاصى جـوى	دسـتى بـه دعـا بـردار و بگـوى
يـا ربّ يـا ربّ به كـريمىِ تـو	به صـفات و كـمالِ رحـيمىِ تـو
يا ربّ بـه نـبىّ و وصـىّ وبـتول	ياربّ ياربّ به دوسبطِ رسـول[1]

١ـ يقول: «وإلى متى تقنع ـ بتربية بدنك ـ بالخزف بدلاً من درّ عَدَن؟
إنّ مائة ملك يترقّبون وصولك، فاخرج يا يوسف مصر من البئر.
من أجل أن تصبح والي مصر الوجود، ولتصبح سلطان سرير الشهود.
لقد قلتَ «بلى» في يوم «ألست»، فرقدتَ اليوم في فراش «لا».
إلى متى تنأى عن المعارف العقليّة، مغروراً بزخارف عالم الحسّ؟
لا تذكر شيئاً عن وطنك الأصليّ، مبتهجاً باللهو واللعب.
فلا دمعك جارٍ ولا طلعتك شاحبة، الله الله كم أنت معافى بلا غمّ!
فعُدْ إلى نفسك لحظة وانظر مَن تكون، وبمن وبماذا تعلّق قلبك خلال أنفاسك المعدودة؟
وانهض من نومك الثقيل وانشد عن أخبار عالم القلب.
وانشد خلاصك من هذه المحنة العظيمة، وارفع يديك وادعُ قائلاً.
يا ربّ يا ربّ، أُقسم عليك بكرمك وصفاتك وتمام رحمتك.
وأُقسم عليك بالنبيّ والوصيّ والبتول؛ وأستحلفك بسبطَي الرسول».

يـا ربّ بـه عـبادت زيـن العـباد	بـه زهـادت بـاقرِ عـلم رَشـاد
يـا ربّ يـا ربّ بـه حـقّ صـادق	بـه حـقّ مـوسى بـه حـقّ نـاطق
يا ربّ يا ربّ به رضـا شـهِ ديـن	آن ثـامن و ضـامن اهـل يـقين
يـا ربّ بـه تـقىّ و مـقاماتش	يـا ربّ بـه نـقىّ و كـراماتش
يا ربّ به حسـن شـهِ بـحر و بـرّ	بـه هـدايت مَـهدى ديـن پـرور
كـين بـندهٔ مُـجرمِ عـاصى را	ويـن غـرقهٔ بَـحرِ مـعاصى را
از قـيد عـلائق جسـمانىّ	وز بـند وسـاوس شـيطانىّ
لطـفى بـنما و خـلاصش كـن	وز اهـل كـرامت خـاصش كـن
يـا ربّ يـا ربّ كـه بـهائى را	آن بـيهده گَـردِ هـوائـى را
كه بلهو ولعب شده عمرش صرف	ناخوانده ز لوح وفـا يک حـرف
زين غم برهان كـه گـرفتار است	در دست هوى و هوس زاراست
در شـغل زخـارف دنـيى دون	مـانده بـه هـزار اَمَـل مَـفتون[1]

١ـ يقول: «وبعبادة زين العباد، وبزهد باقر علم الرشاد.
يا ربّ بحقّ الصادق، وبحقّ موسى الناطق بالحقّ.
يا ربّ بحقّ الرضا مَلِك الدين، الإمام الثامن ضامن أهل اليقين.
يا ربّ بالتقي ومقاماته، وبحقّ النقيّ وكراماته.
وبحقّ الحسن سلطان البرّ والبحر، وبهُدى المهديّ مُقيم الدين.
الطفْ بهذا العبد المجرم العاصي، غريق بحر الذنوب والمعاصي.
ونجّه من قيد العلائق الجسمانيّة، ومن وثاق الوساوس الشيطانيّة.
وخلّصْه بلطفك واجعله من أهل الكرامة الخاصّة.
يا ربّ يا ربّ، إنّ البهائيّ الذي ليس إلّا ذرّة غبار لا معنى لها.
قد انقضى عمره في اللهو واللعب دون أن يتلو من صفحة الوفاء حرفاً.
فنجّه من الغمّ فهو أسيرٌ مُمتحن يئنّ من الهوى والهوس.
فلقد ظلّ مفتوناً بالزخارف الدنيويّة يحدوه ألف أمل».

رحـــمى بـــنما بـه دلِ زارش بگشـــا ز كـرم گِـره از كـارش
از پـــيش مَـــران ز رَه إحســان به سعادت ساحتِ قـرب رسـان
وارســـته ز دنـيى دونش كـن سـرحـلقۀ اهـل جـنونش كـن[1]

وحقّاً فإنّ الإنسان لو كان مع الله، ولو عمل عملاً لرضاه تعالى، فإنّه سيجد بوضوح أنّ الله لن يتركه مهملاً، وأنّه يُغيثه في مواقع الضرورة، وأنّ الأرواح الطيّبة الحيّة وجنود الملائكة تتعبّأ من أجل حراسته وحفظه، لأنّ عالم الوجود حيّ يقظ.

وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ.[2]

وقد وقعت قضيّة جديرة بالتأمّل خلال السنتين الأخيرتين في أيّام الحجّ، وهذه القضيّة متعلّقة بكريمة شيخ طائفة الأعلام آية الله آقا الميرزا محمّد علي الأراكيّ دام ظلّه العالي،[3] وهو من علماء الطراز الأوّل البارزين في الحوزة العلميّة المقدّسة في قم، ومن الزهّاد والعبّاد العدول وممّن لا يشكّ في وثاقته العامّة والخاصّة.

يقول: إنّ كريمتي من النساء الصالحات المتديّنات، وقد تكفّلت بنفسي بأُمورها الشرعيّة وبأمر تعليمها وتربيتها وتأديبها، وكانت تحت إشرافي في جميع أُمورها منذ نعومة أظفارها. ولا يعترضني الريب أبداً في صدقها.

١ـ يقول: «وارحمْ قلبه الضارع الشاكي، واجعل له من أمره مخرجاً بكرمك.
ولا تطرده عن بابك، واسلك به سبيلاً ـ بإحسانك ـ إلى سعادة ساحة القُرب».
وحرّره من الدنيا الدنيّة، واجعله (بحبّك) شيخ حلقة أهل الجنون».

٢ـ النصف الثاني من الآية ٤، من السورة ٥٠: ق.

٣ـ الكتاب مؤلّف قبل رحيله قُدّس سرّه. وقد حافظنا على عبارة المصنّف، فاقتضى التنويّه. (م)

وكانت قد سافرتْ إلى بيت الله الحرام في موسم الحجّ بمفردها دون أن يصحبها زوجها. وكانت من العفّة والحياء واجتناب الرجال بحيث أقلقها أمر سفرها بمفردها، لذا كان التفكير شغلها الشاغل. فقد كانت تتساءل: «يا إلهي! كيف لي بالسفر وحدي؟ إنّني لم أتشرّف بزيارة بيت الله الحرام حتّى الآن، ولا أعلم شيئاً عن مناسك الحجّ وآدابه، فكيف سأطوف وأسعى؟» حتّى حان موعد السفر، فقلت لها أثناء الحركة: «كرّري هذا الذكر وسافري: **يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ**؛ فإنّ الله سيُعينك».

ولأنّ هذا السفر هو سفر واجب فمن الطبيعيّ أنّ الله سبحانه سيرعى ضيوفه الذين لا يهتدون سبيلاً.

وقد أتمّت كريمتنا سفرها بحمد الله ومنّه وعادت موفّقة سالمة وحكت لنا ما وقع لها في مكّة المكرّمة عند ورودها إلى بيت الله الحرام للقيام بالطواف فقالت:

«لقد أحرمتُ ثمّ دخلت المسجد الحرام لأطوف، فشاهدت أنّ الناس قد احتشدوا حول الكعبة بشكل يتعذّر عَلَيَّ معه أن أطوف؛ فاهتديت إلى الحجر الأسود الذي يمثّل نقطة بداية الطواف، بَيدَ أنّي كلّما حاولت الشروع من هناك والطواف حول الكعبة عجزتُ. فأحسستُ بالعجز والحيرة، وقلت ضارعة: يا إلهي! لقد جئتُ للطواف حول بيتك، وأنت ترى أن لا قدرة لي على ذلك مع هذا الأزدحام وهذا الجمع. فماذا سأفعل يا إلهي، فإنّي عاجزة؟!

فشاهدتُ فجأة أنّ هناك مكاناً فارغاً على شكل أُسطوانيّ قد انفتح بمحاذاة الحجر الأسود، وسمعت صوتاً يهمس في أُذني قائلاً: أوكلي نفسك إلى إمام عصرك وطوفي معه في هذا المكان! فدخلتُ في ذلك المكان الأُسطوانيّ الفارغ، وشاهدت أمامي إمام العصر عليه السلام منهمكاً

بالطواف مع شخص آخر يسير خلفه من جهة اليسار تقريباً ، فانشغلتُ بالطواف خلفهما ، وبدأتُ من عند الحجر الأسود وأتممتُ سبعة أشواط على هذا المنوال . فلم أحسّ في هذه المدّة باحتشاد الناس ، بل ولم يصب بدني ولا يدي إصبع أحد ، وكنت في جميع الأشواط السبعة أتوسّل بالإمام وأمسح بيدي على كتفه في ضراعة ورجاء ، إلّا أنّني لم أكن أُشاهد وجه الإمام ، إذ كان منهمكاً بالطواف ناظراً إلى الأمام .

وعندما انتهت الأشواط السبعة شاهدت نفسي خارج تلك الحلقة وقد اختفى من أمام ناظري الإمام وذلك الشخص الآخر ، فلم أعد أشاهدهما . وأنا آسفة على أمرٍ واحد في هذه الواقعة ، وهو أنّني لم أُسلّم على الإمام لأسمع جواب سلامه أيضاً» .

يقول آية الله الأراكيّ مدّ ظله السامي : «هذه هي نتيجة الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ ، ونتيجة الإحساس بالعجز والفاقة إليه ، والتبتّل والابتهال إليه سبحانه . ولقد تشرّفت بالسفر لأداء الحجّ ، وكنت في غاية الشوق واللهفة لاستلام الحجر الأسود ، فذهبتُ يوماً للطواف مع جمع من الأصدقاء عسى أن يعينوني خلال الزحام فأستلم الحجر مرّة . حتّى أنّني اقتربتُ من الحجر برفقة الأعوان والمرافقين وكدت استلمه بيدي ، وإذا فجأة قد ازداد ضغط ازدحام الناس ، بحيث قذف بنا بعيداً فسقط كلّ واحد منّا في جانب . وهذه هي نتيجة عدم الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ ، والتي تمثّلت ـ عموماً ـ في اعتمادنا على أُولئك المرافقين» .

ولا يزال آية الله الأراكي على قيد الحياة في الوقت الحاضر ،[1] وهو شيخ نورانيّ معمّر ربّما جاوز عمره التسعين ، ويسكن في قم ، وقد سمع

١ـ سبق أن نوّهنا بأن الكتاب مؤلّف في حياة آية الله الأراكيّ قدّس سرّه . (م)

كثير من المشتاقين هذه القصّة منه ،كما أنّ الراغبين في سماعها يمكنهم التشرّف بالسفر إلى قم والمثول في محضره لاستماعها مباشرة منه دونما واسطة .كما أنّ كريمته لا تزال على قيد الحياة ، ويمكن للمخدّرات الاستماع إليها والاستفادة منها .

والخلاصة فإنّ عالم تكوين التحقّق الخارجيّ يقظ ، وأنّ وليّ مركز الفعل الإلهيّ حيّ ، وعلى الإنسان أن يتحرّك باستمرار على مسار الصراط المستقيم وسبيل العدالة . أي ينبغي أن يكون أرجاء وجود الإنسان من الأفعال الخارجيّة والأفكار الذهنيّة والخواطر القلبيّة في صراط هدى الحقّ . وعلى الإنسان أن يجسّد الحقّ بتمام معنى الكلمة وأن يجتنب الباطل ، وإلّا فسيأتي يوم تلزمه فيه الحسرة والندم . يوم الجزاء الذي تأتي فيه الملائكة بأعمال الإنسان فتعرضها عليه ، فيتعالى صراخه :

وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا. [1]

ذلك اليوم هو يوم الخزي والخجل . وذلك الموقف هو موقف الحياء والذلّة والمسكنة .

ومثل الإنسان في هذه الدنيا كمثل طائر الحجل الذي يدفن رأسه في الثلج لئلّا يراه الصيّاد . فهو يتخيّل في كلّ قبيح يرتكبه أنّ الله لا يراه ، وأنّه إذا تغافل فإنّ عالم الوجود سيغفل عنه . فهو يتصوّر هذا العالم عالماً جاهلاً أعمى ، ويظنّ بأنّ عالم المادّة والطبع عالم بلا شعور . فهو لا يرى الملائكة مهيمنين على هذا العالم ، فلذلك يخيّل إليه أنّ ما يراه هو الحقيقة ، غافلاً

١ ـ الآية ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

عن أنّ هذا لا يعدو مجرّد تصوّر ووهم ، وأنّ العالم عالم حيّ .

وسنتحدّث في المجلس القادم إن شاء الله تعالى (وموضوعه عن المعاد) عن كيفيّة شهادة الجمادات ، فيتّضح أنّ الباب والجدار مطّلعان على أعمالنا أيضاً ، وأنّهما يدوّنان ذلك . ويشكّل هذا الأمر مسألة منفصلة ومستقلّة قائمة على أساس فلسفيّ ونظريّة أُخرى .

وعلى أيّة حال : **أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى.**[1]

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ هذه الآية فيكرّرها ، لأنّه عليه السلام يرى حقيقة الأمر ويعلمها ، إذ كان ينظر بعين البصيرة فيرى أنّ جميع موجودات عالم الملك تخضع لقيموميّة موجودات عالم الملكوت ، وأنّ عالم البدن والطبع محكومٌ لعالم الغيب وخاضع له ، وأنّ البدن خاضع للنفس ، وأنّ جميع العالم خاضع لتلك الروح الكلّيّة والولاية العامّة المهيمنة على جميع الموجودات .

وعلى هذا الأساس ، فإذا ما تغافل المرء ـ مع كلّ هذه الخصوصيّات ـ فإنّه سيبتلى غداً بالحسرة الشديدة والندم العميق ، ويتعالى صراخه قائلاً : **وَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ ٱللَّهِ.**

لقد كنت غافلاً في محضر الله عزّ وجلّ ، ولقد كان لي المقام الفلانيّ فلم أبلغ المقصود ، فكنت خائناً لربّي الذي أوجدني ورعاني في كلّ جانب والخالق الذي ربّاني وتعاهدني .

لقد بلغنا مقام الكمال والعلم والقدرة ، فنظرنا إلى الدنيا باستصغار ، وألهينا أنفسنا بالشهوات والغفلة حتّى انقضى العمر وغادرنا هذا العالم بأيدٍ صفرات خالية ، وذاك هو موقف الندم .

١ـ الآية ٣٦ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام إمامنا ؛ ومعنى الإمام أنّه قدوتنا الذي نتبعه ونقتفي أثره . ومن لوازم الإمامة أن يجعل المأموم أعماله وفق حركات الإمام وسكناته ، وإلّا لما صدق للائتمام من معنى . ولو أمّ امرؤ جماعة فركع الإمام ووقف المأموم ، ثمّ سجد الإمام فقرأ المأموم الحمد والسورة ، ثمّ قنت الإمام فسجد المأموم ، ثمّ نهض الإمام فجلس المأموم ، لما دُعي ذلك ائتماماً . بل الائتمام ـ بعد حصول النيّة الصادقة والقصد ـ عبارة عن المتابعة والاقتداء في جميع الأعمال والأفعال والأقوال .

وأمير المؤمنين عليه السلام هو إمامنا بلا ريب ، إلّا أنّه ينبغي أن نرى مدى ائتمامنا به . أنأتمّ به في جميع الحالات واللحظات ؟ أينحصر ائتمامنا به في الأفعال الخارجيّة أم في الخواطر الذهنيّة ، أم في المعاني والأُمور الوجدانيّة القلبيّة ؟ أكنّا مستعدّين لتطهير أنفسنا وتزكيتها كما فعل ؟

يَا نَدِيمِي ضَاعَ عُمْرِي وَانْقَضَى　　قُمْ لِاسْتِدْرَاكِ وَقْتٍ قَدْ مَضَى
وَاغْسِلِ الأَدْنَاسَ عَنِّي بِالمُدَامْ　　وَامْلَا الأَقْدَاحَ مِنْهَا يَا غُلَامْ
أَعْطِنِي كَأْساً مِنَ الخَمْرِ الطَّهُورْ　　إِنَّهَا مِفْتَاحُ أَبْوَابِ السُّرُورْ
خَلِّصِ الأَرْوَاحَ مِنْ قَيْدِ الهُمُومْ　　أَطْلِقِ الأَشْبَاحَ مِنْ أَسْرِ الغُمُومْ

كاندرين ويرانۀ پر وسوسه　　دل گرفت از خانقاه و مدرسه
نه ز خلوت كام بردم نه ز سيْر　　نه زمسجد طرف بستم نه زدير[1]

١ـ مجموعة الشيخ بهاء الدين العامليّ «نان و حلوا» ص ٢٠ .
يقول : «إنّ باطني خربة مليئة بالوساوس ، وقلبي منقبض عن معبد الدراويش والمدرسة .
فلا أنا في خلوتي نلتُ مناي ولا في سيري ؛ ولا أنا بالمسجد ارتبطتُ ولا بالدير» .

عالمى خواهم از اين عالم بِدَر تا به كام دل كنم سير دگر[1]

١ـ يقول : «أريد عالماً خارج هذا العالم ، لأنال مُنى قلبي وأسير سيراً آخر» .

المجلس السابع والأربعون

شهادة الأعضاء والجوارح يوم القيامة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.[1]

تذكر هذه الآية أوضاع الأفراد في يوم القيامة بلحاظ الشهادة، فهناك طائفة من الشهداء يوم القيامة هم أعضاء الإنسان وجوارحه، إذ إنّ أيدي أعداء الله وأرجلهم وآذانهم وجلودهم وأبدانهم تشهد مع غيرها على الأعمال التي ارتكبوها في الحياة الدنيا.

ولا يعني ذلك ـ بطبيعة الحال ـ أنّ الأيدي والأرجل سيصبح لها لسان كلساننا فتُحدث صوتاً ونطقاً، بل شهادتها هي إظهارها للوجود وجعلها تمثّل الأعمال التي اجترحتها حين كانت هذه الأعضاء حيّة ومتحرّكة.

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ.

إنّنا سنختم في ذلك اليوم على أفواه المشركين والكفّار والمنافقين

١ـ الآية ٦٥، من السورة ٣٦: يس.

لئلّا يفوهوا بشيء. ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
فلماذا ـ يا ترى ـ يختم الحقّ تبارك وتعالى على أفواههم، أمّا أيديهم وأرجلهم فتشهد على أعمالهم؟ لأنّ هذا اللسان قد اعتاد الكذب هنا، فصار لصاحبه مَلَكة الكذب. ومع أنّ ذلك العالم هو عالم انكشاف الحقائق وعالم لا يمكن لأحد أن يخفي شيئاً فيه؛ لكنّ ملكة الكذب التي نشأت لديهم، فاصطحبوها معهم عند رحيلهم عن الدنيا، ستظهر هناك وتتجلّى، فيحاولون الكذب هناك أيضاً، مع جلاء الأمر ووضوحه؛ ومع سطوع حقيقته للعيان. تماماً كمثل السارق الذي يمدّ يده في جيب المرء فيسرق نقوداً، ثمّ يمسكه المرء متلبّساً ولا تزال النقود في يده، إلّا أنّه ينكر ويدّعي أنّه لم يفعل شيئاً. ومع أنّ الأمر واضح كوضوح الشمس، إلّا أنّه ـ مع ذلك ـ ينكر ولا يعترف.

وبعبارة أُخرى: أنّنا لا نشكّ في حقيقة الأمر وواقعه، لكنّ ظهور مَلَكة الكذب والاختلاق لدى الأفراد الكاذبين سيستدعي كذبهم هناك أيضاً. وعليه فإن تقرّر أن يُكتفى منهم باعترافهم اللسانيّ يوم القيامة، فإنّهم سينكرون هناك أيضاً ويزعمون بأنّهم لم يفعلوا شيئاً أبداً، وأنّ تلك الأفعال لم تصدر منهم قطعاً. وقد يعترضون ويستدلّون على كذبهم ويأتون بشاهد ودليل، فيناقشون ربّهم في الحساب.

وقد جاء في إحدى الروايات الواردة في هذا المقام (ربّما تطرقّنا إلى ذكرها في هذا المجلس) بيانٌ لطيف لأحوال هؤلاء، وذلك في قولهم: إلهنا! إنّ هؤلاء الملائكة الذين يشهدون علينا هم ملائكتك. فلِمَ جئت بهم ليشهدوا؟ إنّنا لم نرتكب هذا العمل، كما أنّ هؤلاء الشهود لا يصلحون للشهادة؛ فقد جئت بشاهد من عندك لا نقبل بشهادته.

وفي هذه الحالة إن تقرّر أن يقول الله عزّ وجلّ للإنسان: اعترف

بنفسك ؛ فمن ذا الذي سيعترف يا ترى ؟

لذا سيختم على ألسن المجرمين وأفواههم ؛ أي أنّ الإنسان سيعجز عن الكلام إذ ستسلب منه القدرة على النطق . **وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ** أمّا الأيدي فتنطق وتتكلّم .

فكيف ـ يا ترى ـ ستتكلّم ؟ أيصبح لليد لسان ؟ أيخرج من اليد صوت يتحدّث ؟ كلّا ، بل تكلّم اليد عبارة عن قيامها بنفس العمل الذي فعلته في الدنيا .

إنّكم تقولون : لقد شاهدتُ ذلك المريض ، وكانت ملامح وجهه تنطق بأنّه ليس بصحّة جيّدة . ولقد شاهدت زيداً وكان وجهه يحكي جذله وفرحه . وقد رأيت عمراً وكانت طلعته حاكية عن بهجته وسروره .

فما الذي يعنيه التحدث والحكاية هنا ؟ أتعني حقيقةً أنّ الوجه قد اكتسب لساناً ؟ كلّا بطبيعة الحال . بل معنى ذلك أنّه كان في هيئة تعبّر عن نفسه وتصوّر فرحه ، وتكشف عن الحقيقة في فرحه أو في حزنه وغمّه ، أو في مرضه وانحراف صحّته ، وتشير إلى ذلك الواقع ، وهو ما يُدعى بالحكاية .

وأساساً فإنّ المعنى الحقيقيّ للتكلّم وفقاً للمذهب الصحيح في أنّ الألفاظ وضعت للمعاني الكلّيّة ، هو عبارة عن إظهار ما في الضمير . فالمعاني الموجودة في ذهن الإنسان إذا ما أراد إلقاءها . وإفهامها للطرف المقابل ، توجبّ عليه ـ إظهاراً لما في ذهنه ـ الاستعانة بالإشارة والكناية أو بالكتابة أو بنصب علامة وغير ذلك ، أو توجّب عليه أن يتحدّث بلسانه ويتكلّم .

ونظراً لأنّ الطرق الأُخرى ـ غير الكلام ـ طرق صعبة وعسيرة ؛ فإنّ تلك المعاني تُنقل عن طريق الكلام في قالب الألفاظ المتبادلة بين المتكلّم

والسامع ، حيث تحكي تلك الألفاظ عن تلك المعاني .

وعلى هذا الأساس فإنّنا نقوم بصبّ ذلك المعنى الذهنيّ في قالب هذه الألفاظ الخاصّة ، فيستمع السامع لهذا القالب . أي أنّنا نسلّمه هذا القالب ليصرف هذا اللفظ إلى ذلك المعنى باعتبار علمه بالارتباط بين هذا القالب واللفظ مع ذلك المعنى .

ومن هنا فإنّ الكلام هو عبارة عن وسيلة لانتقال المعاني من ذهن المتكلّم إلى ذهن السامع . أشبه بقطبي بطّاريّة كهربائيّة أحدهما موجب والآخر سالب نريد الربط بينهما وتوحيد مستواهما . فنربط هذا القطب بذاك بواسطة سلك توصيل ، فيجري التيّار الكهربائيّ من أحد القطبين إلى القطب المخالف من خلال سلك التوصيل ، حتّى يصبح طرفا البطّاريّة في مستوىً كهربائيّ واحد .

افرضوا الآن أنّ هناك معانٍ معيّنة في ذهني ، وأنّها غير موجودة في أذهانكم ، وأنّي أُريد إيصال هذه المعانيّ إليكم ، لتوحيد المستويات الفكريّة بلحاظ هذه المعاني الخاصّة التي تقرّر الحديث عنها . فنربط سلك توصيل بين هذا المخّ وبين مخّ كلّ فرد من السامعين . فما هو هذا السلك يا ترى ؟

إنّنا نتّفق مع بعضنا أنّنا متى ما قلنا زيد ، فإنّنا نقصد هذا السيّد المعيّن . وإذا ما قلنا ذهب ، فإنّنا نقصد : تحرّك وابتعد . وإذا قلنا الليل ، فنعني به الوقت الذي تختفي فيه الشمس وراء الأُفق فيظلم الجوّ . ولو قلنا النهار ، فهو الوقت الذي تطلع فيه الشمس من وراء الأُفق فتضيء الجوّ . وهذه بأجمعها ألفاظ ذات معان . وجميع الألفاظ المستعملة في اللغة ذات دلالة على معانٍ خاصّة قد تعاقد أهل اللغة عليها .

إنّ الأُمّ التي تتحدّث بلغتها المحلّيّة تضع على لسان طفلها ألفاظاً على

أساس التعاقد القوميّ والمحلّيّ . ومن ثمّ فإنّنا متى شئنا إلقاء هذه المعاني ، فإنّنا نربط سلك توصيل ، وهذا السلك عبارة عن البيان وإجراء المعاني من الذهن على اللسان وإيصالها إلى السامع ، حيث نقول بتحويل ذلك المعنى إلى ألفاظ نقدّمها إلى السامع الذي يعلم مسبقاً بالارتباط بين ذلك المعنى وهذا اللفظ ، فيفهم من هذا اللفظ ذلك المعنى ، ويدرك ما نرمي إليه بكلامنا .

وجميع الألفاظ التي استعملها ويستعملها سكّان العالم ، المتمدّن منهم وغير المتمدّن لا تتعدّى هذا الأُسلوب الذي يجسّد الطريق الأفضل والأسهل لتبادل المعاني والتحاكم بين الحقائق والمعاني ، بين أذهان عامّة الناس ونفوسهم . وهذا هو معنى التكلّم .

فالتكلّم ـ إذاً ـ هو الإشارة إلى ما في الذهن من المعاني الخفيّة إشارةً تزيل الخفاء وتظهر تلك المعاني . ويقال لمفردها كلمة ولمجموعها كلمات ؛ **تَكَلَّمَ يَتَكَلَّمُ تَكَلُّماً** .

وبطبيعة الحال فإنّ أصل الكلام هو الجَرْح ، ثمّ استعمل اللفظ في هذا المعنى الذي ذكرناه .

ما الذي تعنيه الآية : **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**.[1]

أتقصد أنّ الله سبحانه تكلّم بلسان ؟ كلّا بطبيعة الحال لأنّه عزّ وجلّ ليس جسماً . أفأوجد صوتاً في الفضاء فقال : **يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ** ؟ لو صحّ ذلك لما كان كلاماً لله . فإيجاد الصوت من قبل الله لا يُدعى كلاماً لله تعالى ، ولا ينسب إليه عزّ وجلّ .

إنّكم تُدعَون متكلّمون حين تقومون ببيان كلمات معيّنة فتنتسب

١ـ الآية ١٦٤ ، من السورة ٤ : النساء .

إليكم تلك الحال (حال الكلام) آنذاك . أمّا لو صنعتم مسجّلاً للصوت أو جهازاً يتكلّم فإنّ ذلك لن يُدعى كلاماً لكم ،كما لا تُدعَون متكلِّمُون .

إنّكم تُدعَون متكلّمون حين يقوم التكلّم بكم . لذا فإنّ معنى تكلّم الحقّ المتعال مع النبيّ هو أنّ الحقّ تعالى أفهَم موسى سلسلة معانٍ من التوحيد والمعارف والقوانين والأحكام كان موسى يجهلها قَبلاً ، فأدركها من خلال ذلك الوحي والإلقاء في القلب . أي أنّه تعالى أزاح الستار أمام أحاسيسه الذهنيّة وإدراكاته القلبيّة والسرّيّة ، فلم يعد لعالم الجهات وحصار المادّة لديه حدوداً بلحاظ تجلّي الأسماء الكلّيّة ، وصار وجوده وسيعاً منفتحاً بحيث يمكنه استلام إرادة الحضرة الأحديّة في مرآة وجوده ، وإدراكها والنظر إليها .

هذا هو معنى تكلّم الله مع النبيّ موسى .كما أنّ تكلّم الشجرة التي قالت : **إِنِّى أَنَا ٱللَّهُ** .كذلك فإنّ جميع الموجودات ، القائمة في العالم، تكشف الستار عن حقيقة معيّنة وتقوم بإظهارها وبتجليتها من هذا القبيل . أمّا الإنسان فلسانه هو وسيلته للكلام ، وأمّا الحيوانات فوسيلتها أصواتها المختلفة ، وأمّا الشجر فبكيفيّة أُخرى ، وكذا الحال في الجمادات . وهذا الاختلاف تستدعيه نفوسها المختلفة . وبالنسبة للملائكة فبكيفيّة أُخرى أيضاً .

فقد جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبيّ فتحدّث معه . أفكان لجبرائيل بدن ؟ أكان له لسان ؟

إنّ جبرائيل مَلَك مقرّب أحاط بشرق العالم وغربه ، وليس وجوده وجوداً مادّيّاً ، بل له وجود من نوع آخر .

ومن هذا القبيل يد الإنسان التي تتكلّم وتشهد يوم القيامة على الأعمال التي فعلتها . أي أنّ اليد تحضر أمام الإنسان فتؤدّي نفس العمل

الذي فعلته في الدنيا ؛ مهما كان ذلك العمل . سواءً رُفعت للقنوت ، أم للدعاء ، أم لإطعام الفقير ، أم امتدّت للسرقة والخيانة ولعب القمار . وستأتي يد الإنسان أمام أنظاره في كيفيّة غير منفصلة عن الإنسان ، فتفعل ما سبق لها فعله . بل إنّ الإنسان سيفعل بنفسه تلك الأعمال . وهذا هو معنى التحدّث .

وإذاً فأنّى سيتمكن أحد أن ينكر أعماله وهو يرى هيئتها رأي العين ؟ **وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**.

والأرجل ـ بدورها ـ ستشهد بنفس الطريقة والكيفيّة على ما اكتسبت في الدنيا . وقد جاء في آية أُخرى : **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**.[1]

وقد أُضيف اللسان في هذه الآية إلى الأيدي والأرجل . فقد جاء في الآية السابقة من سورة «يس» أنّ الله تعالى يختم على الألسن والأفواه لئلا تتكلّم . أمّا في هذه الآية من سورة النور فقد جاء بأنّ الألسن تتحدّث بدورها . وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف الموقف .

وبناء على هذه المقدّمة ، فقد يدرك الإنسان أيّ موقف يُختم فيه على الأفواه ، وأيّ موقف تشهد فيه الألسن . فالموقف الذي يُختم فيه على الأفواه هو الموقف الذي يحاول فيه اللسان إظهار خلاف ما ارتكب الإنسان ، أي حين يحاول أن يكذب ويتّهم ليبرّئ نفسه ؛ فيُختم على الأفواه آنذاك لتخرس .

أمّا الموقف الذي يشهد فيه اللسان ، فلا يعني الموقف الذي يمتلك فيه اللسان القدرة على النطق بالاعتراف والإقرار ، بل يعني الموقف الذي

١ـ الآية ٢٤ ، من السورة ٢٤ : النور .

يقوم فيه بنفس الأعمال التي ارتكبها في الدنيا . أي نفس قيامه وانهماكه بالكذب والنميمة والتهمة والافتراء وخداع الناس وباقي الأعمال التي فعلها في الدنيا .

فاللسان ـ إذاً ـ يكرّر العمل الذي فعله في الدنيا ؛ منتهى الأمر أنّه يكرّره بصورته الملكوتيّة . شأنه في ذلك شأن اليد والرجل . والتعبير : تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ لا يعني نطق اللسان هناك كنطقه في هذه الدنيا واعترافه بأنّه فعل كذا وكذا ، إذ لا مجال في ذلك المقام لأمثال هذه الاعترافات أو الاعتراضات اللسانيّة . وحجم شهادة اللسان مشابه لحجم شهادة اليد والرجل ، حيث إنّه يمثّل نفس العمل الذي ارتكبه .

هذا بشأن شهادة اللسان . وقد وردت آيات في سورة السجدة جديرة بالملاحظة والتأمّل :

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ .[1]

لاحظوا قوله هنا شَهِدَ عَلَيْهِم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم ؛ أي أنّ أعينهم وآذانهم وجلودهم ستشهد عليهم يوم القيامة بكلّ ما فعلوا في الحياة الدنيا .

١ـ الآيات ١٩ إلى ٢٣ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا، فيعترضون على جلودهم: أننا لم نكن نتوقع أن تشهدوا علينا. إنّ بشرة الإنسان أقرب إليه من كلّ شيء، ولا ينبغي لها أن تشهد عليه. وبالإضافة إلى حبّ الإنسان لنفسه فإنّه يحبّ في هذه الدنيا أفراداً غرباء فيبادلهم المودّة والصُّحبة من أجل أن ينفعونه في الشدائد وعند الضرورة. أمّا الآن فقد آن أوان يشهد فيه على الإنسان بشرته وجلده.

قَالُوا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ: إنّ الذي أنطقنا هو الذي بدأكم ثمّ إليه منتهاكم ومعادكم، والذي خلقكم ثمّ إليه عودتكم في مسيرتكم التكامليّة تجاهه.

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ.

ذلكم ظنّكم السيّئ الذي ظننتموه بربّكم، فتخيّلتم أنّه غير مطّلع على أعمالكم، فجُزيتم بالخسران على سوء ظنّكم بالله فصرتم من الخاسرين، وصرتم على شفا هاوية من النار، وعلى وشك السقوط في أُتونها.

ومن خلال التأمّل في هذه الآيات نحصل على نتائج مهمّة هي:

أوّلاً: أنّ الآيات الدالّة على شهادة الأيدي والأرجل والآذان والأعين والجلود يوم القيامة متعلّقة بأعداء الله. فلم يرد في آية من القرآن الكريم أنّ جلد المؤمن أو يده أو رجله ستشهد عليه يوم القيامة. فشهادة الجوارح والجلود ـ إذاً ـ أمر منحصر بالكفّار وأعداء الله من غير المؤمنين؛ والجوارح لا تشهد على المؤمنين من أهل المعصية.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ؛ أي أنّ أعداء الله سيحشرون فتصبح حالهم كما ذكرنا.

ويستفاد من هذا الأمر ـ كما ذكر الفقهاء ـ أنّ الخطابات القرآنيّة موجّهة إلى الكفّار كما هي موجّهة إلى المؤمنين. إذ إنّ هناك بحثاً في اختصاص الأحكام والتكاليف بالمسلمين، أو شمولها لعامّة الناس بما فيهم المؤمن والكافر. والحقيقة أنّها موجّهة لجميع الناس، منتهى الأمر أنّ الكفّار لو جاءوا بها ما تُقبّلت عبادتهم منهم، لأنّ الإسلام وقصد القربة هما شرطا القبول. وباعتبار أنّ الإسلام ونيّة القربة في متناول أيديهم؛ فإنّهم يستطيعون أن يُسلموا من خلال التلفّظ بالشهادتين، ليمكنهم قصد القربة ثمّ القيام بتلك الأعمال. **وَالإيجَابُ بِالاخْتِيَارِ لَا يُنَافِي الاخْتِيَارَ، كَمَا أَنَّ الامْتِنَاعَ بِالاخْتِيَارِ لَا يُنَافِي الاخْتِيَارَ.**[1]

وعلى هذا الأساس فكما يؤاخذ الكفّار يوم القيامة ويعذّبون فيما يتعلّق بأُصول الدين؛ وكما يسألون عن علّة عدم إيمانهم وعدم توحيدهم وعدم إسلامهم وعدم اعتقادهم بالمعاد، فإنّهم ـ كذلك ـ سيُسألون لماذا لم يصلّوا، ولماذا لم يزكّوا، ولماذا لم ينكحوا وفق نكاح الإسلام؟

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم.

والظاهر هنا من الجلود، تلك الجلود البدنيّة التي تُذنب، وهي كناية عن الفُروج. إذ لو كانت اليد تُذنب، لما قال شهد عليهم جلود أيديهم، بل لقال: شهدت عليهم أيديهم. ولو كانت الرِّجل تذنب لما قال: شهد عليهم جلود أرجلهم، ولقال: شهدت عليهم أرجلهم. والأمر كذلك بالنسبة إلى

١ـ هاتان قاعدتان أُصوليّتان تُبحثان في علم الأُصول، ومفادهما أنّ الشيء الذي يجب على الإنسان من خلال اختياره، فيضطرّ الإنسان للإتيان به، لا منافاة له مع اختيار الإنسان. والأمر نفسه بالنسبة للشيء الذي يمتنع على الإنسان باختياره، إذ لا منافاة له مع كون الإنسان مختاراً.

العين والأُذُن واللسان . أمّا جلد البدن فهو كناية عن مباشرة الجلد للقبائح كالزنا وأمثالها . وهذا هو أدب القرآن الذي لم يشأ التصريح بآلات الرجولة والأُنوثة وتسميتها بأسمائها حين ذكر أنّها تأتي لتشهد ، فكنّى عنها من ثمّ بالجلود ؛ وقد جاء في بعض الروايات أنّ **الأفخاذ** تشهد على الذنوب .

وثانياً : أنّ أعداء الله يقولون لجلودهم : لِمَ شهدتم علينا ؟ وهم لا يقولون ذلك لأعينهم ولا لآذانهم ، مع أنّ اعتراضهم ينبغي أن يتوجّه أوّلاً إلى الأعين والآذان ذات الحياة والإحساس .

ومع أنّ شهادة العين والأُذن أمر يستدعي العجب ، إلّا أنّ شهادة الجلد أعجب وأغرب ، لأنّ الجلد لا عين له ليرى ، ولا أُذن له ليسمع ، ولا حياة له ولا شعور عقلانيّ ، بل هو جلد ليس إلّا .

وممّا يثير العجب أن يأتي الجلد فيشهد . ومن هنا فإنّ أعداء الله سيضطربون ، وينزعجون أشد الانزعاج ، لأنّ الأمر بلغ الحدّ الذي صاروا معه يرون الجلد الفاقد لجميع درجات الفهم والشعور والإدراك في الدنيا ، وهو يشهد ضدّ الإنسان في هذا الظرف الخطير .

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ؛ فتجيبهم جلودهم : ما كان لنا من الأمر شيء . إذ ما الذي يعنيه الجلد يا ترى ؟ إنّ الإرادة هي إرادة الله الذي يأمر العين بالإبصار ، ويأمر الأُذن بالسماع ، واللسان بالنطق . الله الذي أنطق جميع الموجودات كلّاً بدوره . فهو الذي أمرنا أن نحضر فنشهد ، وليس لنا بدون إرادته واختياره عزّ وجلّ أيّ شيء من أنفسنا . وليس لنا ولا لأعيننا ولا لآذاننا إرادة ذاتيّة ليمكننا أن نشهد في موضع ونمتنع في آخر .

أمّا مراعاة حالكم والامتناع عن الشهادة ضدّكم باعتبارنا بشرتكم

وجلودكم ، فليس لنا من الأمر شيء . إنّ الله هو الذي أنطقنا ؛ وحين يُنطق الله تعالى شيئاً ، فما الفرق بين أن يكون ذلك الشيء لساناً أو عيناً أو أُذناً أو جلداً . **قَالُوا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ**.

إنّها لا تقول بأن الله أجبرها على الشهادة ، لأنّها تمتلك في الأصل مبدأ النطق، والذي هو إعطاء من الله سُبحانه لها ، فهو عزّ وجلّ قد جعل النطق يتجلّى فيها ويظهر ، فأنطقها به ، ذلك الله الذي أنطق جميع الموجودات وجعل كلاًّ منها يتكلّم بدوره . لقد أخطأتم حين تخيّلتمونا جلوداً ميّتة فاسدة لا فهم لها ولا شعور ولا إدراك ، فالآن هذا العالم هو عالم الحياة ، وجميع الموجودات فيه ذات حياة ؛ فهي حيّة بحياة الله تعالى .

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

وذلك هو الله القادر الذي نخضع لهيمنته ، وتحيط بنا قبضتُه .

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ.[١]

إنّكم لم تكونوا تجتنبوا هذه المعاصي والذنوب ، ولا تستترون عنها ؛ لا لأنّكم لم تحذروا عواقبها الوخيمة وتخافوا نتائجها الوبيلة ، بل لقلّة اعتنائكم بالله عزّ وجلّ ، إذ تخيّلتموه غير مطّلع على أعمالكم ، فكنتم إذا أذنبتم ذنباً تصوّرتم أنّ الله تعالى في وادٍ وذلك العمل في واد ، وتخيّلتم أنّه سبحانه لا يدرك كثيراً ممّا تفعلون . غير مدركين بأنّ الله وعلمه موجودان في نفس العمل ، وأنّ جميع هذه الأعمال التي تفعلونها هي شبكات لعلم الله وإرادته وقدرته . وأنّ صفات الحقّ قد ظهرت فيها . فلا يمكنكم ـ بعدُ ـ أن تروا الحقّ معزولاً عن نفس تلك الأعمال . وكيف

١ـ الآية ٢٢ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

لا يكون للحقّ المتعال اطّلاع على أعمالكم هذه مع أنّه أقرب إلى جميع الموجودات من أنفسها ؟ **وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ** وتخيّلتم أنّه سبحانه لا يعلم كثيراً ممّا تعملون وظنّكم هذا هو الذي أوجب شقاءكم وأدخلكم النار . لماذا ؟ لأنّكم ظننتم أنّ الله لا يعلم . وهذا الظنّ الخاطئ ، أي الشرك في أفعال الله قد أرداكم في نار جهنّم ، وهبط بكم إلى الحضيض .

وقد مرّ في الروايات السابقة أنّ الإمام عليه السلام كان يستدّل بهذه الآية : «**وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ**» ؛ **وإذا كان الظنّ هو المُردي ، فضدّه هو المُنجي .**

إذا كان الظنّ الخاطئ بأنّ الله لا يعلم،موجباً للنزول في دركات الجحيم ، ومُردياً للإنسان إلى الحضيض،ومؤدّياً إلى إفقاده قيمته واعتباره ؛ فإنّ ضدّه (وهو حسن الظنّ بالله والاعتقاد بأنّه مطّلع على جميع الأعمال) سيكون مُنجياً للإنسان ، ومؤدّياً إلى علوّ درجاته في الجنة،وإلى بلوغه المقامات السامية ، لأنّه يمثّل عقيدة التوحيد .

وعلى هذا الأساس فإن سرّ الأفعال الحسنة التي بفعلها ، يدخل الإنسان الجنّة ، يتمثّل في علمه بأنّ الله خبير بأعماله . فإذا عمل عملاً حسناً جليلاً وهو غافل عن الله ،كان عمله بلا قيمة ، أمّا العمل الحسن الذي يفعله وهو ملتفت إلى الله ، فإنّه سيكون ذا ثواب وأجر .

لماذا ؟ لأنّ نفس عمل الإنسان عن توجّه ونيّة وقصد القربة ، يعني أنّه يرى الله تعالى في عمله ، وهذا هو معنى التوحيد ، وهذا العمل هو العمل المقبول .

وعلى هذا الأساس ، فإنّ ما أرداكم في نار جهنّم ، إنّما هو سوء ظنّكم بالله ، إذ تخيّلتم **أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ** .

ويتّضح ممّا سبق ذكره أنّ الموجودات الكائنة في هذا العالم هي

موجودات حيّة ، بينما كنّا نتصوّر أنّ الإنسان وحده يمتلك الحياة . وبغضّ النظر عن الإنسان فإنّ الحيوانات والنباتات بصورة عامّة تمتلك حياة ، أمّا هذه الآيات فتبيّن بأنّ الأيدي والأرجل والآذان والأعين والألسن وسائر الأعضاء ، وحتّى الفروج ، ذات حياة ، وأنّها تشهد . وأنّى لها أن تشهد لو لم تكن حيّة ؟

وقد ذكرنا مؤخّراً أنّ الشهادة تتضمّن ركنين أساسيّين ، أحدهما أنّ على الشاهد أن يتفحّص ويحقّق في الأمر ، ويتحمّل أمانة الشهادة ، ليأتي من بعدها فيؤدّي تلك الشهادة . وهذا ما يحتاج إلى حياة . فالميّت لا يمكنه تحمّل الشهادة ، كما أنّ الحيّ الأعمى والأصمّ لا يمكنه أن يُدرك ولا أن يتحمّل الشهادة .

فالعلم والحياة ـ إذاً ـ هما أساسان من أُسس مسألة الشهادة ، وعليه فإنّ بدن الإنسان ـ بما يشمل العين والأذُن والجلد واليد والرجل ـ يتحمّل الشهادة في الدنيا ، فيؤدّيها في الآخرة ، هو بدن حيّ له فهم وإدراك . لأنّه إذا قلنا بعدم حياته وإدراكه ، وبأنّ الله يوجد فيه صوتاً يوم القيامة ، كأن يخرج صوت من جانب يد الإنسان فيقول إنّ هذه اليد قد سرقت . إذاً لتعذّر تسمية ذلك شهادةً لليد . وهل بالفعل يمكننا القول بأنَّ اليد قد شهدت ؟

أبداً أبداً ، إنّ شهادة اليد ستُعدّ صادقة حين تتكلّم اليد بنفسها ، لا أن يكون الصوت الخارج منها مثل **ضَمُّ الحَجَرِ فِي جَنْبِ الإنسَانِ** ، حيث يخرج صوت من جوار اليد فيقول ما يقول .

وعليه فإن قلنا ـ والحال هذه ـ إنّ هذه اليد لم تمتلك حياةً ولا علماً في الدنيا ، وإنّ الله سيُحييها يوم القيامة ويمنحها علماً وشعوراً فيجعلها تشهد ، كان قولنا ناقصاً . إذ كيف تحمّلت الشهادة هذه اليدُ الميّتة بلا شعور ، لتأتي يوم القيامة فتؤدّي شهادتها ؟ وما الفرق آنذاك بين اليد وبين موجود أجنبيّ

يُنطقه الله عزّ وجلّ، ليُنطق سبحانه اليد ولا يُنطق ذلك الموجود فيشهد ؟

ولذلك فإنّ إفاضة العلم والحياة يوم القيامة فقط ليس كافياً لصدق معنى الشهادة، وينبغي أن تمتلك هذه الأعضاء فهماً في الحياة الدنيا . وعليه فإنّ هذه الأيدي والأرجل والجلود تمتلك فهماً وشعوراً .

وقد ثبت في الفلسفة المتعالية أنّ جميع الموجودات دونما استثناء لها علم وحياة وقدرة، وأنّ الوجود ملازم لهذه الخواصّ الثلاث . أي أنّ كلّ ما يُدعى وجوداً وموجوداً يمتلك حياةً وعلماً وقدرة بقدر سعة ماهيّته . لا ينحصر ذلك بالإنسان والحيوان والنبات، بل وكذلك الجمادات تمتلك أيضاً حياة وقدرة وشعور بقدر ماهيّاتها . فلحجر المطحنة فهم؛ ولورق الشجر فهم، وللهواء والشمس والقمر والنجوم والأرض والفصول الأربعة بأجمعها فهم وشعور .

وقد أجاد الملّا الروميّ في «المثنويّ» في بيان هذه الحقيقة بأروع بيان فقال :

باد و خاك و آب و آتش بندهاند
با من و تو مرده با حقّ زندهاند
پيش حقّ آتش هميشه در قيام
همچو عاشق روز و شب پيچان مدام[1]

١ـ مقتطفات من أشعار مولانا، الجزء الأوّل للمثنويّ، ص ٢٢ و ٢٣، طبعة ميرخاني .

يقول : «إنّ الريح والتراب والماء والنار عبيد تبدو لي ولك ميّتة هامدة، لكنّها بالحقّ حيّة مؤثّرة تابعة لإرادته .

النار قائمة في مقابل الحقّ مستعدّة لتنفيذ ما يُعهد إليها، تتلوّى ليل نهار كعاشق أقداح المدام» .

سـنگ بـر آهـن زنـی آتش جَـهَد
هـم بـه أمـر حـقّ قـدم بیرون نـهد
سـنگ و آهـن خـود سـبب آمـدولیک
تـو بـه بـالاتر نگـر ای مـرد نـیک
کـاین سـبب را آن سـبب آورد پیش
بی‌سبب کی شد سبب هرگز به خویش
گردش چرخ این رسـن را عـلّت است
چـرخ گـردان را نـدیدن ذلّت است
ایـن رسـن‌های سـبب‌ها در جـهان
هان و هان زین چرخ سـرگردان مـدان
تا نمانی صِـفر و سـرگردان چـو چـرخ
تـا نسـوزی تـو ز بـی‌مغزی چـو مَرخْ
بـاد و آتش مـی‌شوند از امـر حـقّ
هر دو سرمست آمـدند از خـمر حـقّ[١]

---

١ ـ يقول: «وإن أنت قدحتَ الحجر بالحديد اندلعت النار منهما؛ وهي نار تنبعث بأمر الحقّ تعالى.

ومع أنّ الحجر والحديد كانا سبب انبعاث النار، لكنّ عليك أن تتطلّع لما أعلى منهما.

فقد أوجد ذلك السببُ الأعلى هذا السببَ الأدنى. ومتى كان هناك سبب بلا مسبِّب؟

إنّ ارتفاع حبل البئر مسبّب عن دوران البكرة، إلّا أنّ عدم رؤية مُدير البكرة قصور في النظر.

فلا يخيّلنّ لك أنّ جميع حبال الأسباب في أرجاء العالم مسبّبة عن دوران الأفلاك.

لا تتصوّر ذلك فتبقى صِفراً تائهاً كالعجلة الدّوارة، ولئلّا تحترق كما يحترق الأحمق الأجوف بأدنى شرارة.

الريح والنار يوجدان بأمر الحقّ، وكلاهما ثمل بالشراب الإلهيّ».

گر نبودی واقف از حقّ ، جان باد

فرق چون کردی میان قوم عاد

هُود گِرد مومنان خطّ می‌کشید

نرم می‌شد باد کانجا می‌رسید

هر که بیرون بود زآن خطّ جمله را

پاره پاره می‌شکست اندر هوا

همچنین بادِ اجل با عارفان

نرم و خوش همچون نسیم بوستان

آتش ابراهیم را دندان نَزَد

چون گزیدهٔ حقّ بود چونش گَزَد

آتش شهوت نسوزد اهل دین

باغیان را برده تا قعر زمین

موج دریا چون به امر حقّ بتاخت

اهلِ موسی را ز قِبطی واشناخت[1]

١ـ يقول : «ولو لم تكن للريح روح واقفة على الحقّ ، فكيف فرّقت بين المؤمنين وبين قوم عاد ؟

لقد كان هود يجمع المؤمنين فيخطّ حولهم خطّاً ، إذا ما وصلته الريح العاصفة أضحت نسيماً رخاءً .

أمّا مَن كان يخرج عن ذلك الخطّ ، فكان يرتفع في الهواء فيتمزّق إرباً إربا .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى ريح الأجل التي تصبح للعارفين كالنسيم العليل الهابّ من الروضة .

كما أنّ النار لم تلسع إبراهيم . وكيف تلسعه وهو الذي اصطفاه الحقّ واجتباه ؟

ونار الشهوة لا تحرق أهل الدين ، لكنّها تسوق البغاة إلى قعر الأرض .

وموج البحر إذ علا وطغى بأمر الحقّ ، فقد ميّز بين أهل موسى وبين الأقباط» .

خاک ، قارون را چو فرمان در رسید
با زر و تختش به قعر خودکشید
آب و گل چون از دم عیسی چرید
بال و پر بگشاد و مرغی شد پرید
کوه طور از نور موسی شد به رقص
صوفی کامل شد و رست او ز نقص
چه عجب گر کوه ، صوفی شد عزیز
جسم موسی از کلوخی بود نیز[1]

وخلاصة الأمر فإنّ جميع الموجودات ذات فهم وشعور ، إلّا أنّنا لا نستطيع إدراك ذلك . وهي كذلك تقول بأنّ هذا الإنسان لا فهم له ولا شعور ، وهي على حقّ إذ إنّها تقول : إنّهم لا يفهمون . ونحن نقول : إنّها لا تفهم .

ألا توافقون ؟ أنّنا نعدّ أنفسنا من ذوي الفهم في هذا العالم ، ولكن من أين لنا ذلك ! إنّنا لم نذهب إلى عالم الجمادات لنتعرّف عليه ، فلربّما كانت الجمادات تقول في عالمها : إنّ الإنسان لا يفهم شيئاً . وهي صادقة في قولها إلى حدٍّ ما . فلو كان الإنسان مُدركاً لما ارتكب كلّ هذه الجنايات والجرائم . لقد قال الملائكة : يا إلهنا ! ماذا تريد أن تخلق في الدنيا ؟ إنّ هذا

١ـ يقول : «والأرض إذ أتاها الأمر خسفت بقارون وكنوزه وعرشه فانحطّ إلى قعرها .
والطين المعجون بالماء إذ تنسّم أنفاس عيسى صار له ريش وجناح واستحال طيراً محلّقاً .
ولقد رقص جبل الطور من نور جمال موسى ، وأضحى عارفاً كاملاً تحرّر من كلّ نقص .
وما العجب إن غدا الجبل كاملاً ، إذ إنّ جسم موسى لم يكن غير ماء وطين» .

الإنسان **مُفْسِدٌ فِي الْأَرْضِ**. ولقد كانت الملائكة أوّل مَن دعى الإنسان مُفسداً في الأرض ، إذ كانوا يعلمون أنّ الإنسان لن يَدَعْ على هذه الأرض دماً إلّا سفكه ، ولا فساداً إلّا ارتكبه .

وعلى هذا الأساس ، حيث لا سبيل لنا إلى معرفة الموجودات الأُخرى ، فينبغي ألّا نقول بأنّها عديمة الشعور والحياة . بل هي موجودة ، والوجود يقتضي الحياة والعلم والقدرة التي هي من لوازمه . وهذه مسألة لا يتطرّق إليها الشكّ . وبناءً على هذه النظريّة فإنّ لعالم الوجود حياة ، ولأُسطوانة المسجد حياة ، ولهذه السجاجيد التي نجلس عليها حياة وشعور ؛ وستجيء يوم القيامة فتشهد .

إنّ الزمان هو أحد الموجودات التي ستأتي فتشهد ، كما أنّ المكان ـ بدوره ـ يمثّل أحدها . وسنشير إليهما إن شاء الله تعالى لاحقاً في بحث شهادة الزمان والمكان .

فهذا العالم الذي نعيش فيه ـ إذاً ـ عالم طافح بالحياة والقدرة والعلم ، ولكن **وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**.

فلننظر إلى أنفسنا ونتأمّل ، هل نمتلك علماً بجميع الموجودات وبجميع أسرار الكائنات ؟ وما مقدار علمنا هذا ؟

لقد انقضى عمر الفلاسفة الأعلام وهم في بحث دؤوب سواءً المتديّنين منهم أم غير المتديّنين ، ولكنّهم جميعاً يعترفون بأنّهم لم يفهموا شيئاً .

يقول ابن سينا :

تا بدانجا رسيد دانش من　　　　كه بدانم همى كه نادانم[1]

---

١ ـ يقول «لقد وصل علمي إلى أن أدرك أنّي لا أعلم شيئاً».

ويقال إنّ ابن سينا كان يكرّر هذا البيت عند احتضاره :

نَمُوتُ وَلَيْسَ لَنَا حَاصِلٌ سِوَى عِلْمِنَا أَنَّهُ مَا عَلِمَ[١]

ويقول :

از قعر گل سياه تا اوج زحل

كردم همه مشكلات گيتى را حلّ

بيرون جستم ز قيد هر مكر و حِيَل

هر بند گشاده شد مگر بند أجَل[٢]

وللفارابيّ شعر يماثل شعر ابن سينا .

كما قال الحكيم الخيّام :

اسرار ازل را نه تو دانى و نه من

وين خطّ معمّانه تو خوانى و نه من

هست از پس پرده گفتگوى من و تو

چون پرده برافتد نه تو مانى و نه من[٣]

ويقول الفخر الرازيّ :

ترسم بروم عالم جان ناديده بيرون روم از جهان جهان ناديده

در عالم جان چو روم از عالم تن در عالم تن عالم جان ناديده[٤]

١ـ «لغت نامهٔ دهخدا» ماده (أبوعلى سينا) ، ص ٦٥٢ .

٢ـ «لغت نامه دهخدا» ص ٦٥٤ .

يقول : «حللتُ جميع المشكلات من قعر الحمأ المسنون إلى ذروة زحل .

وتخطيّتُ جميع المكر والحِيَل ، فانحلّ كلّ قيدٍ عدا قيد الأجَل» .

٣ـ يقول : «لا أنت تعلم أسرار الأزل ولا أنا ؛ ولا أنت تقرأ هذا الخطّ اللغز ولا أنا .

فنحن نتحادث ـ أنا وأنت ـ من وراء الستار ، فإن سقط الستار لم يبق أنت ولا أنا» .

٤ـ «علل گرايش به ماديگرى» (= الدوافع نحو المادّيّة) ص ٢٤ .

ويقول :

نِـهَايَةُ إِقْـدَامِ العُـقُولِ عِـقَالُ وَغَـايَةُ سَـعْي العَـالِمِينَ ضَـلَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ سَعْيِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَـالُوا
وَأَرْوَاحُنَا مَحْبُوسَةٌ فِي جُسُـومِنَا وَحَـاصِلُ دُنْـيَانَا أَذىً وَوَبَـالُ[1]

وللزمخشريّ :

العِلْمُ لِلـرَّحْمَنِ جَـلَّ جَـلَالُهُ وَسِوَاهُ فِي جَـهَلَاتِهِ يَـتَغَمْغَمُ
مَـا لِـلتُّرَابِ وَلِـلْعُلُومِ وَإِنَّـمَا يَسْعَى لِـيَعْلَمَ أَنَّـهُ لَا يَـعْلَمُ[2]

وعليه ، فإنّ كلّ كلامنا في أنّ علم الإنسان ضئيل ومحدود ، بينما علم عالَم التكوين وأسرار الخلقة كثير غير مُتناه . وهناك مع كلّ ذرّة من الموجودات رقيب وحفيظ . فلا يُخيّلنّ للمرء أنّه إذا تعامى وتغافل فإنّ عالم الوجود والخلقة سيغفل عنه .

أنقل قصّة صالحة كونها درساً وعبرة عن سماحة أُستاذنا المكرّم آية الله الحاجّ الشيخ مرتضى الحائريّ اليزديّ مدّ ظلّه العالي ، وهو في الوقت الحاضر من الأساتذة البارزين في الحوزة العلميّة المقدّسة في قم ، ومن ذوي مكارم الشيم والفضائل الأخلاقيّة ، عن الثقة المعتمد حجّة الإسلام الحاجّ الشيخ إسماعيل الجابلقيّ (من أعاظم علماء طهران ومن مدرّسي الأخلاق ومروّجي الشريعة الغرّاء) قال :

نقل لي الشيخ الجابلقيّ دونما واسطة أنّه سافر مع أبيه بصحبة جماعة

⇦ يقول : «أخشى أن أرحل ولم أرَ عالَم الروح ؛ وأخشى أن أرحل عن العالمَ وأنا بعدُ لم أره .

فحين أكون في عالم الروح لا أعلم شيئاً عن البدن ؛ وحين أكون في عالم البدن لا أعلم شيئاً عن الروح» .

١ و ٢ ـ «كشكول الشيخ البهائيّ» ج ١ ، ص ٦٢ ، طبعة مصر .

في قافلة توزّع مسافروها في عربات تجرّها الخيول وامتطى البعض الحمير والجمال التي شُدّت عليها المحامل . وتحرّكت القافلة من «جابلق» بقصد زيارة التربة المقدّسة للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء .

وكانت وسيلة السفر في ذلك الوقت منحصرة في تلك القوافل . وكان السفر من جابلق (إحدى قرى أراك) إلى طهران بهذه العربات وعلى الحمير يستغرق عشرة أيّام ، أمّا السفر من طهران إلى مشهد المقدّسة فكان يستغرق شهراً كاملاً .

وكان دأب القوافل التي تتحرّك من طهران إلى مشهد أن تواصل السفر حتّى تصل مدينة «شاهرود» الواقعة في منتصف الطريق فتتوقّف فيها يومين للاستراحة والاستحمام وغسل الملابس ، إذكان المسافرون يصلون شاهرود بعد خمسة عشر يوماً مرهقين قد اتّسخت أبدانهم وملابسهم ، فيقضون اليوم الأوّل في الاستحمام وغسل ملابسهم ، ويجعلون اليوم الثاني لاستراحتهم . وفي اليوم الأوّل لوصول القافلة إلى شاهرودكان الجميع مشغول بالاستحمام وغسل الملابس وتطهيرها ، وأناكذلك انشغلت بغسل ملابس والدي ثمّ صحبته للحمّام فغسّلته ، حتّى انقضى اليوم دون أن أتمكّن من الاستحمام ولا من غسل ملابسي . وفي اليوم التالي تقرّر أن ينام الجميع ويخلدواللراحة من أجل أن تبدأ القافلة حركتها مع بداية الليل . فأخلد الجميع للنوم ومن بينهم أبي ، بينما انهمكت في غسل ملابسي وتنظيفها ، ثمّ أخذت حمّاماً إلى أن انقضى النهار دون أن أحظى بقسط من الراحة . وكنت في حال من الإعياء والتعب لا يمكن وصفها .

ثمّ حلّ الغروب فصلّى الناس صلاة المغرب وركبوا وتحرّكوا وأنا معهم ، ثمّ سرنا مسافة فأحسست أن لا طاقة لي على الركوب ، ولا أستطيع

حفظ تعادلي فوق الحمار ، وأنّ النعاس والإعياء غلبا عَلَيَّ بحيث كدت أهوي إلى الأرض . ففكّرت بالترجّل والنوم ساعة على جانب الطريق ، على أن أنهض فأحثّ الخطى لألحق بالقافلة ، إذ من الطبيعيّ أنّ سرعة المسافر الراجل تفوق سرعة الحمار والقافلة .

فترجّلت ونمتُ في تلك الصحراء جانب الطريق ، ثمّ نهضت وقد زال تعبي فشاهدتُ الشمس وقد ارتفعت في كبد السماء بحيث غمرني العرق ، ورأيت أنّي نمت ليلة كاملة وقدراً من النهار . فما الذي سأفعله يا إلهي . وكيف سألحق بالقافلة ؟ وأيّ طريق سأسلك في هذه الصحراء ؟ خصوصاً أنّه كان هناك آثار كثيرة لأقدام الحيوانات،متشعّبة في هذا الاتّجاه وذاك . وكيف ـ يا ترى ـ سألحق بالقافلة وقد سبقتني بليلة ؟

إلى أن شاهدت رجلين يتّجهان نحوي ، وكان أحدهما يرتدي لباساً من اللبّاد له أكمام قصيرة فقالا لي : انهض واسلك هذا الطريق فستلحق بالقافلة ! وأشارا إلى إحدى تلك الطرق المتشعّبة التي كانت فيها آثار أقدام الحيوانات . فنهضتُ وسرت ، فما انقضت خمس دقائق حتّى بلغتُ مقهى يقع إلى جانب حوض ماء كبير ، فدخلت وشربت قدح شاي . وأراد صاحب المقهى أن يجلب لي قدحاً آخراً فلم أوافق . إذ كانت قيمة قدحي الشاي ثلاثة «شاهيات» ، بينما لم يكن معي أكثر من مائة دينار (تعادل شاهيّين) ، لأنّ المال كان مع أبي في الأمتعة .

فسألني صاحب المقهى : لماذا لا تشرب قدحاً آخراً من الشاي ؟ أجبت : ليس معي أكثر من مائة دينار . قال : سأقبل . فشربت قدح الشاي الآخر وواصلت السير من جديد لمدّة خمسة دقائق فوصلت خاناً كبيراً تنزل فيه القوافل وشاهدت قافلتنا وقد ألقت الرحال في ذلك الخان ، ووجدت أبي خارج الخان ، جالساً إلى جانب الجدار متّكئ عليه .

فقال لي : لقد وصلنا للتوّ ، فأين كنتَ حتّى الآن ؟ فقصصتُ عليه الأمر وقلت : لقد سرت عشرة دقائق فقط فلحقت بكم .

قال : يا للعجب ! لقد طوينا الطريق من الليل إلى الصباح ، فكيف أمكنك أن تطوي هذه المسافة الطويلة في هذا الوقت القصير ؟

من المسلّم أنّ ذلك قد حصل إثر تصرّف ذينك الرجلين اللذين كانا من رجال الغيب .

ثمّ أضاف سماحة الشيخ الحائريّ : ولا يزال الشيخ الجابلقيّ حيّاً حتّى الآن ، وليس لديّ أدنى شكّ في عدالته وفي صدق هذه الواقعة !

نعم ، فإنّ هذه القصّة ونظائرها الكثيرة الوقوع تدلّ بصورة حتميّة على سلسلة من الارتباطات بين الموجودات ، أي على وجود اطّلاع لبعض الأرواح الطيّبة ، وعلى أمر طيّ الأرض وبلوغ المقصد في أسرع وقت والاستراحة على الأرض ، وعلى أُمور كثيرة أُخرى تتضّح من خلال الدقّة والتأمّل .

فلماذا يغفل الإنسان عن هذه الارتباطات والعلائق ؟ ولماذا يتصوّر هذا العالم مكوّناً من أجزاء متفرّقة مشتّتة ، وكما أنّ أجزاء هذا العالم ترتبط فيما بينها من الناحية المادّيّة والفيزيائيّة بهذا الارتباط العجيب العظيم الذي حيّر الفلاسفة والمفكّرين . كذلك فإنّ أجزاء هذا العالم مرتبطة ببعضها بلحاظ المعنى والعلائق الروحيّة والنفسيّة ارتباطاً عجيباً وعظيماً .

تا نگريد ابر كى خندد چمن تا نگريد طفل كى نوشد لبن[1]

١ـ «مثنوى» ج ٢ ، ص ١١٥ ، السطر ١١ .

يقول : «وما لمْ يبكِ الطفل فإنّه لن يشرب اللبن ، ما لَمْ تبكِ الغيوم فلن يضحك المرج» .

تا نگريد كودک حلوا فروش بحر بخشايش نمى‌آيد بجوش[١]

وحاصل الأمر أنّ العلوم الإنسانيّة محدودة جدّاً ، وأنّ أسرار هذا العالم وغوامضه جمّة . فهناك في كلّ موجود ، بل في كلّ ذرّة من الوجود هناك عالم من الأسرار الخاصّة التي لا يعلم عنها الإنسان شيئاً . ولذلك فليست علوم الإنسان مقابل علوم وأسرار وحقائق وأطوار الوجود وعالم الخلقة إلّا ذرّة مقابل أمواج الشمس النورانيّة الساطعة على أرجاء العالم التي طبّقت فضاء عالم الأجرام السماويّة والنجوم والمجرّات ؛ أو كقطرة في مقابل المحيطات التي شملت ثلاثة أرباع العالم فجعلتها غير آهلة بالسكّان . بل هي أصغر وأتفه من هذا المقياس ، ويمكننا أن نقول بأنّها تمثّل صفراً في مقابل اللانهاية .

إنّ العلوم والأسرار والأمور الواقعيّة هي من الشمول والسعة بحيث لو سعى الإنسان طوال عمره سعياً دائباً وتحمّل فيه المشاقّ ـ على فرض امتلاكه فكراً مقتدراً فيّاضاً ـ فإنّه لن يتمكّن من الاطّلاع على الحقائق والأسرار الكامنة في خليّة واحدة ، فضلاً عن أن تتعدّى علومه هذه الخليّة إلى جميع الموجودات وإلى عوالمها وبواطنها وبداياتها ونهاياتها .

فمن ذا الذي يمتلك علماً ، غير الذات القدسيّة للحقّ عالم السّر والخفيّات ، علّام الغيوب ؟ يُضاف إلى ذلك أنّ علم كلّ موجود محدود بدائرته الخاصّة ، فليس للإنسان علم بعالم الحيوان ، كما ليس للحيوان علم بالإنسان . وليس للإنسان علم بالنبات ولا للنبات علم بالإنسان . والأمر كذلك بين النباتات والجمادات ، وبين كلّ موجود مع الموجود الآخر . فكلّ

---

١ ـ «مثنوي» ص ١١٦ ، السطر ٢٣ .

يقول : «ما لَم يبكِ الطفل بائع الحلوى ، فأنّى لبحر العطاء والكرم أن يفور (بالعطاء) » .

موجود له علم بنفسه، على أنّ علمه هذا علم بسيط ومُجمل.

كان سماحة جمال الحقّ ومرآة العارفين المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ رضوان الله عليه يقول: «كان النبيّ موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام يحفر الأرض ذات يوم، فانهال بفأسه على صخرة في طبقات الأرض فانفلقت، فشاهد فيها دودة صغيرة. فسأل موسى ربّه: إلهي! أريد أن أعلم لأيّ حكمة خلقتَ هذه الدودة الصغيرة وسط هذه الصخرة في ظلمات أعماق الأرض؟

فجاءه الخطاب على الفور: يا موسى! إنّ هذه الدودة تسألني كلّ يوم سبعين مرّة: لأيّ مصلحةٍ خلقتَ موسى؟».

إنّ الإنسان أشرف المخلوقات لأنّه يمتلك مرونة تجعله يرتقي بالقوى والقابليّات التي أُعطيت له، فيتقدّم ويوسّع دائرة علومه. إلّا أنّه لا يتمكّن ـ استناداً إلى كونه أشرف المخلوقات ـ من إنكار شعور وإدراك باقي الموجودات.

وعلى هذا الأساس فإنّ جميع الموجودات التي تأتي فتشهد، هي موجودات ذات علم وشعور وإدراك، بَيدَ أنّنا لا ندرك ذلك.

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.[1]

يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ.[2]

نعم، إنّ الوجود والحياة والعلم أُمور سارية في جميع الموجودات، إلّا أنّ وجود النطق لا يُدعى تسبيحاً، كما لا يُدعى شهادةً. لذا فإنّ الله عزّ وجلّ يعيّر الأفراد الذين يعشقون الموجودات الفاقدة للحياة ويعبدونها:

١ـ الآية ٤٤، من السورة ١٧: الإسراء.

٢ـ الآية ١٣، من السورة ١٣: الرعد.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ.[1]

وعلى هذا الأساس فإنّ القرآن الكريم يخطّئ عبادة الموجودات التي لا شعور لها ولا روح، ويُنكر إظهار المحبّة لها: فيقول: إنّكم تخطئون إذ تعبدون هذه الأصنام، لأنّ الصنم لا شعور له ولا إدراك. ولو كنتم تعلمون حقيقةً بأنّ هذا الصنم له تسبيح في هذا العالم، وأنّ له شعور وإدراك وفهم، وأنّ هذا الشعور والفهم هما علم الله وفهمه اللذان تجلّيا فيه، فإنّ سجودكم آنذاك سيكون سجوداً للّه، لأنّكم تسجدون للصنم الذي ما هو إلّا ظلّاً وموجوداً فانياً لا استقلال له، أمّا فهمه وقدرته وعلمه فمن قدرة الله وعلمه، كما أنّه يُعتبر مخلوقاً من مخلوقات الله، وموجوداً مرتبطاً به عزّ وجلّ، ومركزاً لتجلّيات نور الحقّ وأسمائه وصفاته، عندها يكون سجودكم له غير منفصل عن سجودكم للّه عزّ وجلّ. لأنّ الصنم ظهورٌ للّه سبحانه، وقد كان سجودكم له بهذا العنوان أي معنى هذا الظهور فيه، وكان نظركم إلى الله سبحانه ومشاهدتكم له من خلال هذه الآية والمرآة. فهذا السجود ـ إذاً ـ هو سجود للّه تعالى.

ونظير ذلك فيما يتعلّق بالنبيّ والإمام، حيث إنّ التوجّه إليهما ـ بلحاظ عنوان المرآتيّة والآيتيّة ـ هو عين التوجّه إلى الحقّ سبحانه والالتفات إليه.

أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ.[2]

أينما ولّيت وجهك فاسجد! اسجد للأرض، واسجد للحجر، وللصنم،

١ـ الآيتان ٥ و ٦، من السورة ٤٦: الأحقاف.

٢ـ الآية ١١٥، من السورة ٢، البقرة.

فلا فرق في الأمر . على أنّ علّة عدم جواز السجود للصنم تكمن في ظنّنا بأنّ الصنم موجود بلا روح ولا إدراك . لذا فإنّ سجود الإنسان الحيّ المدرك ذي الروح لموجود يفتقد هذه المعاني يمثّل تعظيماً وتكريماً له ، وهو أمر خاطئ . ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم يؤاخذ على مثل هذا السجود فيقول (عن تلك الأصنام) : **أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**.[1]

إنّ هذه الأصنام التي تعبدونها وتسجدون أمامها مع ظنّكم أنّها عمياء صمّاء ، ستأتي يوم القيامة فتنطق وتكفر بعبادتكم لها ، لأنّها ذات حياة وإدراك ، ولأنّ سجودكم لها أمر خاطئ وغير صحيح .

إنّها الآن تقول لنا بلسانها : « لا تسجدوا ! تنحّوا عنّا ! لا تجعلونا أرباباً من دون الله ! » لكنّنا لا ندرك فنسجد لها . أمّا يوم القيامة فستُفتح أعيننا وآذاننا الملكوتيّة ، فنسمع صوتها وتحذيرها . **وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ**.

إنّها تقول : إلهنا ! إنّنا لم ندعهم إلى عبادتنا ، إنّنا كافرون بأعمالهم ، إذ نحن نُدين هذه العبادات في الدنيا ، بَيدَ أنّ هذا الإنسان البائس قد أخطأ إذ عبدنا ، تلك العبادة التي نكرهها ونعاني منها الأمرّين» . وستتكلّم الأصنام يوم القيامة وتشهد على بطلان عبادة الإنسان لها .

يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده المتّصل عن محمّد بن سالم ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام ، ضمن حديث مفصّل يقول فيه :

وَلَيْسَتْ تَشْهَدُ الجَوَارِحُ عَلَى مُؤْمِنٍ ، إنَّمَا تَشْهَدُ عَلَى مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.[2]

---

١ ـ الآية ٢١ ، من السورة ١٦ : النحل .

٢ ـ «المعاد» للعلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه ، نسخة خطّيّة ، ص ٤٥ ؛ و «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٣٢.

وكما مرّ في الآية الشريفة : **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ؛ فقد ورد أيضاً في الروايات أنّ شهادة أعضاء البدن أمرٌ يختصّ بأهل المعصية . أمّا المؤمنون فلا تشهد عليهم أعضاؤهم وجوارحهم . وباعتبار أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال في الحديث السابق بأن الجوارح تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب ، حيث استخدم جملة (حقّت عليه كلمة العذاب) فيحتمل أنّه استنبط ذلك من الآية الكريمة :

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ (من الشهوات والغفلة ونسيان الله عزّ وجلّ) **وَمَا خَلْفَهُمْ** (من الأمور الفانية الاعتباريّة ، من المقامات والرياسات التي يعتمدون عليها) **وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ** (حقّت عليهم كلمة العذاب من الله) **فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ**.[1]

وقد ورد في «تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ» وفي كتاب «من لا يحضره الفقيه» أنّ الإمام الصادق عليه السلام سُئل عن قوله تعالى :

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ... إلى آخر الآية ، فقال عليه السلام : **يَعْنِي بِالجُلُودِ الفُرُوجَ وَالأَفْخَاذَ**.[2]

كما ورد في «تفسير عليّ بن إبراهيم» .

قَالَ عَلَيهِ السَّلَامُ : إِذَا جَمَعَ اللهُ الخَلْقَ يَوْمَ القِيَامَةِ دَفَعَ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ كِتَابَهُ ، فَيَنْظُرُونَ فِيهِ فَيُنْكِرُونَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ مَلَائِكَتُكَ يَشْهَدُونَ لَكَ ، ثُمَّ يَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً وَهُوَ قَوْلُهُ : «ثُمَّ يَبْعَثُهُمُ اللهُ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا

١ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

٢ـ «المعاد» للعلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه ، نسخة خطّيّة ، ص ٤٥ .

يَحْلِفُونَ لَكُمْ» فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ خَتَمَ اللهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَيُنطِقُ جَوَارِحَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.[١]

اللهمّ نبّهنا على الدوام بحقّ محمّد وآله الطاهرين، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ص ٥٩١، باختلاف يسير في اللفظ.

المجلس الثامن والأربعون

شهادة الزمان والمكان يوم القيامة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ ٱلْكَافِرِينَ .[1]

يستفاد من هذه الآية الكريمة أنّ الأيّام تُعدّ من الشهود التي تشهد على أعمال الإنسان . فالأيام ، بما فيها من الدقائق و الساعات والأيام والليالي والشهور والسنين ، وبما تشتمل عليه من الأيّام والليالي الشريفة وأيّام الجمعة وأيّام الأعياد المباركة تشهد على أعمال الإنسان . وكذلك الأمر بالنسبة للأزمنة والأمكنة والجبال والبقاع والمساجد والأماكن المقدّسة والمشاهد الشريفة التي تعدّ من الشهود على الإنسان .

ولكي لا نبتعد كثيراً ، ولتقريب هذا المطلب إلى الأذهان ، نذكر مقدّمة مختصرة من الأدلّة العقليّة ، ثمّ نستشهد بالأدلّة النقليّة الواردة في المقام .

١ـ الآيتان ١٤٠ و ١٤١ ، من السورة ٣ : آل عمران .

ذُكر سابقاً أنّه قد جرت البرهنة في الحكمة المتعالية على أنّ كلّ موجود من الموجودات ـ ولو كان ذرّة غير مرئيّة ـ يمتلك حياة وقدرة وعلماً. فجميع ما في عالم الوجود يمتلك هذه الخواصّ الثلاث، ولا يمكننا أن نعثر على شيء يمكن إطلاق اسم الوجود والموجود عليه بحيث يكون عارياً من هذه المزايا.

فهذه الحركات الموجودة في بدن الإنسان، والفعل وردود الفعل في بدن الإنسان وفي أبدان الحيوانات وفي الأشجار والنباتات والجمادات وفي الكرات السماويّة، سواءً كانت حركة جوهريّة أم حركة ذرّيّة أم غير ذلك من الحركات، هي قائمة بأجمعها على أساس قدرة وحياة وإدراك تلك الموجودات بحسب سعة ماهيّتها. وعلى أساس هذه الفلسفة الكلّيّة لا يمكن العثور على مورد استثنائيّ واحد في عالم الوجود.

كما أنّنا نعلم ـ من جهة أُخرى ـ أنّ العدم لا يطرأ على الأشياء التي توجد في الخارج بعد تحقّق وجودها، إذ من المحال أن يكون الموجود معدوماً في عين وجوده، لأنّ الوجود والعدم متناقضان.

نعم، قد ترتدي المادّة الموجودة رداء العدم بخصوصيّة أُخرى؛ فهذه الشجرة موجودة الآن، ثمّ إنّها تُقطع بعد ساعة فتصبح خشباً، ثمّ تُحرق وتستحيل فحماً، ثمّ تصبح رماداً، بَيدَ أنّ هذه الحالات المختلفة لا تدلّ على العدم. فقد كانت الشجرة في الظرف الأوّل شجرة، وهي في ظرف الوجود والدهر شجرة إلى الأبد. أمّا في الظروف الأُخرى فإنّها ستصبح خشباً وفحماً ورماداً.

وبناءً على هذا فإنّ ما يقوم به الإنسان من أفعال، له ارتباط ونسبة مع الموجودات الخارجيّة، إذ إنّ تلك الأفعال لا تُعدم، لأنّ الموجودات الخارجيّة مرتبطة بتلك الأفعال ومطّلعة عليها وشاعرة بها.

إنّني أجلس الآن في هذا المكان وأتحدث، وكلامي هذا يمثل فعلاً له نسبة فهو ـ أوّلاً ـ قد وقع في هذا الزمان؛ وهو ثانياً قد وقع في هذا المكان، أمّا بلحاظ الوضع والمحاذاة فأنا في مواجهتكم أيّها السادة بينما تجلسون تجاه القبلة وقد أحاطت بكم وبنا الجدران والسقف والأرض من الأمام والخلف في إطار خاصّ ووضع معيّن. والخلاصة فإنّ جميع هذه الأمور تمثّل علائق تربط فيما بيننا وبين كلامنا من جهة وبين هذه الموجودات الخارجيّة من جهة أُخرى. ولأنّ فعلنا يصدر من ذاتنا، فإنّ النسبة التي يمتلكها فعلنا مع الموجودات الخارجيّة هي نفسها التي تمتلكها ذاتنا معها.

وحين وُجدت ذواتنا وصدرت عنها هذه الأفعال، فقد صار لها تلك النسبة مع الموجودات الخارجيّة. وتبعاً لذلك فإنّ الأفعال التي تصدر عن هذه الذوات سترتبط مع الموجودات الخارجيّة. ويلزم من هذا الارتباط مع تلك الموجودات، أن تتحقّق النسبة بين هذه الأفعال وبين تلك الموجودات الخارجيّة. والنسبة بين الطرفين تستلزم وجود هذا الطرف وذاك، وإلّا استحال تحقّق تلك النسبة. ومن ثمّ فإنّ النسبة وطرفيها تتحقّق بأجمعها بمجرّد تحقّق الذات.

وبعد أن أثبتنا أنّ ما تحقّق في عالم الوجود وارتدى رداء الوجود، باقٍ على الدوام وذو حياة وعلم وقدرة، فإنّنا نستنتج أنّ جميع الموجودات وأفعالنا باقية على الدوام مع جميع خصائصها، ومن ضمنها الشعور والإدراك.

والنتيجة هي أنّنا، نحن الجالسون هنا فعلاً، أناسٌ أحياء، وأنّ جميع النسب والارتباطات التي نمتلكها حيّة بدورها. الزمان الذي نعيش فيه حيّ ذو شعور، والمكان الذي نوجد فيه حيّ ذو شعور وإدراك. وجدران هذا المسجد وسقفه وسجاجيده وأعمدته ومنبره وأبوابه حيّة بأجمعها وذات

شعور وإدراك . ونحن إذ نراها ساكتة صامتة ، فلأنّ سبيل فهمنا وإدراكنا محدود لا يسمح لنا بالنفوذ إلى الموجودات الخارجيّة بما يفوق الحدود المعطاة والمسموحة . بَيدَ أنّ هناك غوغاءً في عالم الوجود من السمع والبصر والفهم والشعور التي تتحلّى بها هذه الموجودات . أمّا في الحشر ، فإنّ جميع هذه الأشياء ستتجلّى أمام الإنسان حيّة ، سميعة ، بصيرة .

عالم افسرده است و نام او جماد
جامد افسرده بود اى اوستاد

باش تا خورشيد حشر آيد عيان
تا ببينى جُنبش جسم جهان

چون عصاى موسى اينجا مار شد
عقل را از ساكنان إخبار شد

پارهٔ خاك تو را چون زنده ساخت
خاكها را جملگى بايد شناخت

مرده زين سويند وز آن سوزنده‌اند
خامُش اينجا و آن طرف گوينده‌اند[1]

١ـ «مثنوى ملّاى رومي» ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، طبعة ميرخاني .

يقول : «العالم كئيب خامل يُدعى جماداً ؛ والجماد يعني الخامل الذي لاحسّ له ولا شعور .

فاصبر حتّى تسطع شمس الحشر ، لترى حركة جسم العالَم عياناً .

وحين استحالت عصا موسى ثعباناً ، فقد صار للعقل علمٌ بأحوال الساكنات .

وإذ أحيا الله قبضة من التراب فسوّاك منها ، فينبغي أن يُقاس جميع التراب بهذا المقياس .

إنّ هذه الجمادات ميّتة من هذه الجهة (التي تقابلنا بها) وحيّة من تلك الجهة (التي تقابل بها الحقّ) ؛ وهي صامتة من هذه الجهة وناطقة من تلك» .

چون از آن سوشان فرستد سوی ما

آن عصا گردد سوی ما اژدها

کوه‌ها هم لحن داودی شود

جوهر آهن به کف مومی شود

بادْ حمّال سلیمان شود

بَحْر با موسی سخندانی شود

ماه با احمد اشارت بین شود

نار ابراهیم را نسرین شود

خاك قارون را چو ماری درکشد

أُسْتُنِ حَنّانه آید در رَشَد

سنگ أحمد را سلامی می‌کند

کوه یحیی را پیامی می‌کند

جملهٔ ذرّاتِ عالم در نهان

با تو می‌گویند روزان و شبان

ما سمیعیم و بصیریم و خوشیم

با شما نا محرمان ما خامُشیم[1]

١ـ يقول: «ولو أرسل (الله) الجمادات إلينا من جهتها تلك، لشاهدنا العصا ثعباناً.
لقد تناغمت الجبال مع داود، فاستحال الحديد في يده ليّناً كالشمع.
وصارت الريح حمّالاً لسليمان، وصار البحر يفهم كلام موسى.
وصار القمر يرى إشارة النبيّ (فينشقّ نصفين)، واستحالت نار إبراهيم روضةً.
وأشبعَ الترابُ الأفعى حين ابتلع قارون، وصارت الأُسطوانة الحنّانة مُدركة ذات شعور.
صار الحجر يسلّم على النبيّ، وغدا الجبل يبعث برسالة إلى يحيى.
إنّ الجمادات تتحدّث معك ليلاً نهاراً بلسان خفيّ.
(تقول): نحن في أحسن حال نسمع ونرى، لكنّنا في نظركم ـ أنتم الأجانب ـ صامتون».

چون شما سوى جمادى مى‌رويد
مَحرم جان جمادان كى شويد؟
از جمادى در جهانِ جان رويد
غُلغل أجزاى عالَم بشنويد
فاش تسبيح جمادات آيدت
وسوسهٔ تأويل‌ها بِرْ بايدت
چون ندارد جان تو قنديل ها
بهر بينش كرده اى تأويل ها[١]

هذا بلحاظ البرهان العلميّ الذي أُشير إليه فقط ، أمّا أساس هذا البرهان فقد جرى بيانه في الحكمة .

ومن هنا فنحن نتعامل في حقيقة الأمر مع عالم طافح بالحياة ، ومع عالم يفيض بالقدرة والعلم ؛ ونحن نواجه كلّ ساعة وكلّ لحظة أينما ذهبنا ومهما فعلنا عالماً من الحياة والعلم ، عاجزين عن أن نعثر على مكان واحد يفتقد الشعور والعلم ، أو أن نلغي أنفسنا في حدود معزولة عن العلم الإلهيّ في مظاهر ذلك التجلّي المطلق .

ونحن إذ نجد أنفسنا محبوسين في هذه الصقع وتلك الناحية ، غارقين في سجن الجهل ، فإنّ ذلك معلول لعدم إدراكنا لهذه الحقيقة . وإلّا فإنّ جميع ما يحيط بنا من الزمان والمكان وسائر الأعراض لا يخلو من

---

١ ـ يقول : «وما دُمتم تسيرون باتّجاه الجماد ، فأنّى سيمكنكم النظر إلى أسرار روح الجمادات ؟

فتحرّكوا من الجماد واذهبوا صوب عالم الروح لتسمعوا صخب أجزاء العالم !

ولينكشف لكم تسبيح الجمادات ، ولتزول عنكم وساوس التأويلات .

لقد افتقدت أرواحكم القناديل ، فأضحيتم لا تستفيدون من بصائركم إلّا التأويلات» .

الشعور والقدرة والحياة.

عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ * لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.[1]

ويتّضح ـ بالتأمّل في هاتين الآيتين ـ أنّ الله سبحانه يصف نفسه بعالم الغيب، ويقول بأن ليس هناك مِن ذرّة خافية عنه، كما يقول بأن جميع هذه الأشياء موجودة في الكتاب المبين. أي في كتاب التكوين وفي روح هذا العالم.

فعلم الله عزّ وجلّ ـ إذاً ـ هو كتاب التكوين؛ وكلّ موجود من الموجودات يمثّل علم الله الحضوريّ، ووجوده يمثّل علم الله سبحانه.

ومن هنا فإنّ أرجاء عالم الوجود والتحقّق في الخارج هو عين العلم الفعليّ لله تبارك وتعالى.

ثمّ إنّ جزاء المؤمنين عاملي الأعمال الصالحة يترتّب على هذا الأمر، أي باعتبار أنّ الله تعالى عالم، وأنّ علمه هو كتاب التكوين؛ فإنّه يجزي المؤمنين جزاءً حسناً وفقاً لهذا الكتاب المبين. ويُستنتج من ذلك بوضوح أنّ الموجودات الخارجيّة ذات علم وشعور، وأنّها تشهد، فيجزي الله عزّ وجلّ المؤمنين ـ تبعاً لذلك ـ أجراً جزيلاً ومغفرة ورزقاً كريماً، ومن بين هذه الموجودات الزمان والمكان.

الزمان والمكان يقظان منتبهان، فهما يقومان بتسجيل الأعمال، ويدوّنان حتّى اللحظات التي تمرّ على الإنسان، وحتى إطباقه عينه ورمشه بجفنيه؛ حتّى أنّها تنطوي على تفكير الإنسان وتعقّله، وتتحمّل الشهادة

١ ـ الآيتان ٣ و ٤، من السورة ٣٤: سبأ.

بشأنه ، ثمّ تؤدّي تلك الشهادة . فهي إنّما تكتسب اليوم لتؤدّي غداً . اليوم يوم الطيّ وغداً يوم النشر والعرض . وهكذا تنشأ الأعمال متعاقبةً في اتّصالها بالزمان ، ويسير الإنسان على هذا الخطّ المتدرّج المتّصل زمنيّاً ويتقدّم في مسيرته ويخلّف أعماله الواحد بعد الآخر ، ويُخيّل إليه أنّ تلك الأعمال قد زالت وفنيت . بَيدَ أنّ الأمر ليس كذلك ، إذ إنّ الشيء الذي وُجد سوف لن يُعدم . وتلك الأعمال موجودة في الحقيقة ومحفوظة في مواضعها ، وسيُفتح هذا الشريط المسجّل غداً فتقرأ عجلة الزمان الحقائق المدوّنة . وسيُظهر المكان تلك الحقائق ، فيشاهد الإنسان نفسه في مواجهة جميع أعماله بخصائصها وكيفيّاتها .

أي أنّنا سنشاهد غداً ساحة المسجد التي نجلس فيها الآن مع جميع هذه الخصوصيّات ، بينما نتصوّر ـ على ضوء معنى انقضاء الزمان ودورانه ـ أنّ هذه الساعة ستنقضي ، وأنّ وجودنا مرهون بهذه اللحظات التي نوجد فيها . ثم سنشاهد غداً هذا المجلس مسجّلاً بجميع جهاته الظاهريّة والباطنيّة ، ليس كمثل تسجيل مسجّلات الصوت المادّيّة فحسب ، بل إنّ جميع الموجودات التي يحتويها ظرف الزمان والمكان ، مضافاً إليها نفس الزمان والمكان ، ستنضمّ بما في داخلها إلى عالم التكوين بجميع خصوصيّاته ، من الأعمال الظاهريّة والخواطر الذهنيّة والنوايا القلبيّة ، ثمّ إنّها ستأتي بعد ذلك لتشهد . فهي الآن تكتسب تلك الأُمور بصورها المُلكيّة (المتعلّقة بعالم المُلك) ، ثمّ تعيدها في ذلك العالم في صورها الملكوتيّة .

على أنّ مشاهدة تلك الصور الملكوتيّة ، وذلك النحو من الشهادات المعنويّة ، أمر يستدعي العجب الكثير . ومشاهدة تلك الصور في هذا العالم أمرٌ لا يحتمله إلّا العباد المصطفَون لذات الحقّ تبارك وتعالى .

ينقل المرحوم عليّ بن طاووس رضوان الله عليه ، وهو من علماء

الإسلام الأعلام من ذوي التصنيفات والتأليفات الكثيرة ، ويعدّه الكثيرون في درجة تلي درجة الإمام المعصوم بلحاظ البصيرة ومقام اليقين والعلم والتقوى ، وقد وصفه العلّامة الحلّيّ رحمة الله عليه في كتاب «إجازات بني زهرة» بأنّه صاحب الكرامات الباهرة والمعجزات القاهرة . ينقل في كتابه «محاسبة النفس» روايتينِ ، إحداهما بإسناده إلى محمّد بن عليّ بن محبوب ، عن كتابه ، بسنده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام .

قَالَ : مَا مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ إلَّا قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَا بْنَ آدَمَ أَنَا يَوْمٌ جَدِيدٌ وَأَنَا عَلَيْكَ شَهِيدٌ فَافْعَلْ بِي خَيْراً ، وَاعْمَلْ فِيَّ خَيْراً أَشْهَدُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإنَّكَ لَنْ تَرَانِي بَعْدَهَا أَبَداً . (وفي نسخة أُخرى:) **فَقُلْ فِيَّ خَيْراً وَاعْمَلْ فِيَّ خَيْراً .**[1]

ويستفاد من هذه الرواية أنّ أيّام الإنسان ليست سواسية ، وأنّ كلّ يوم هو موجود مشخّص ، إن عمل الإنسان فيه خيراً فذاك ، وإلّا فإنّ ذلك اليوم سينقضي ويأتي يوم جديد آخر وشرائط جديدة وعمل جديد .

كما ينقل الرواية الثانية عن كتاب مسعدة بن زياد الربعيّ ، عمّا نقله عن الإمام الصادق ، عن أبيه الباقر عليهما السلام قال :

اللَّيْلُ إذَا أَقْبَلَ نَادَى مُنَادٍ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ الخَلَائِقُ إلَّا الثَّقَلَيْنِ : يَا بْنَ آدَمَ إنِّي عَلَى مَا فِيَّ شَهِيدٌ فَخُذْ مِنِّي ، فَإنِّي لَوْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ لَمْ تَزْدَدْ فِيَّ حَسَنَةً وَلَمْ تَسْتَعْتِبْ فِيَّ مِنْ سَيِّئَةٍ . وَكَذَلِكَ يَقُولُ النَّهَارُ إذَا أَدْبَرَ اللَّيْلُ .[2]

ويروي الصدوق في «علل الشرايع» بسنده عن عبد الله بن عليّ الزرّاد قال : **سَأَلَ أَبُو كَهْمَس أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يُصَلِّي الرَّجُلُ نَوَافِلَهُ فِي مَوْضِعٍ أَوْ يُفَرِّقُهَا ؟** قال : **لَا ، بَلْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فَإنَّهَا تَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ**

---

١ و ٢ـ «بحار الأنوار» ج ٧ ، ص ٣٢٥ ، الطبعة الحروفيّة .

القِيَامَةِ.[1]

كنتُ جالساً أحد الأيّام في الحرم المطهّر للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام خلف جهة الرأس الشريف بعد إتمامي الصلاة وأداء ركعتي صلاة الزيارة، حيث كان جالساً إلى جانبي سماحة حجّة الإسلام العلّامة اللاهيجانيّ الأنصاريّ دامت بركاته. فتطرّق الحديث في ذلك المكان المقدّس إلى ذكر الفقيه الإسلاميّ والعارف الجليل المرحوم الحاجّ الميرزا علي آقا القاضي، وباعتبار أنّ العلّامة اللاهيجانيّ كان يتردّد في النجف الأشرف على محضر سماحته، فقد نقل عنه عدّة أقوال تستحق العناية والتأمّل، من بينها أنّ ذلك المرحوم كان يقول: لا تصلِّ دائماً في مسجد واحد، واذهب إلى المساجد الأُخرى أيضاً. وحيثما وجدتَ فيضاً معنويّاً فصلِّ هناك. أمّا إذا لم يحصل لديك توجّه في مكانٍ ما، فغيّر ذلك المكان وانتقل إلى مسجد آخر. والخلاصة فإنّ التوقّف في مكان واحد أمرٌ لا داعي له. وينبغي على المرء أن يبحث باستمرار عن حالة معنويّة أفضل للتوجّه، وعليه الانتقال في طلبها من مكانٍ إلى آخر، وصولاً إلى اختيار الموضع الذي يحصل فيه على توجّه والتفات أفضل. (وكان يقول:) إن لم تحصل على مرادك في مسجد الكوفة فاذهب إلى مسجد السهلة، وإن لم تحصل على مرادك في مسجد السهلة فاذهب إلى مسجد الكوفة وهكذا.

وكان من ضمن أقواله إنّ على الإنسان أن لا ييأس أبداً، وأن لا يكفّ عن السير والسلوك إن تأخّر وصوله إلى النتيجة. فقد يحفر المرء الأرض بظفره، ثمّ ينبع تحت أصابعه فجأة ماء زلال فوّار كمثل عنق البعير.

١ـ «بحار الأنوار» ج ٧، ص ٢١٨.

ومن بينها قوله : **مَنْ كَانَ هَمُّهُ اللهُ كَفَاهُ اللهُ فِي جَمِيعِ هُمُومِهِ**.

ومن بينها أنّي سألته يوماً (والكلام للعلّامة اللاهيجانيّ) عن الذكر الذي أردّده في مواقع الاضطرار والابتلاء وعند تعسّر الأُمور، سواءً فيما يتعلّق بالأُمور الدنيويّة أو الأُمور الأُخرويّة، فأجاب: صلِّ على محمّد وآله خمس مرّات ثمّ اقرأ آية الكرسي مرّة، ثمّ أكثِر في قرارة نفسك من قول **اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي دِرْعِكَ الحَصِينَةِ الَّتِي تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ تَشَاءُ** حتّى يتيسّر الأمر.

إلّا أنّ هناك مسألة ستعترض هذا الحديث، وهي مسألة التوبة. فإن تقرّر أنّ الأرض والزمان يسجّلان كلّ عمل يفعله الإنسان بجميع خصائصه المعنويّة والروحيّة، وأنّ هذه التسجيلات ستنكشف يوم القيامة؛ فما هي ـ إذاً ـ فائدة التوبة ؟ وما هو أثرها بعد أن ثبت أنّ الشيء الذي وجد لن ينعدم، وأنّ العمل الصالح والطالح لن ينعدم بعد تحقّقه ؟

يروي محمّد بن يعقوب الكلينيّ في «الكافي» بسنده عن معاوية بن وهب، قال:

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِذَا تَابَ العَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحاً أَحَبَّهُ اللهُ فَسَتَرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فَقُلْتُ: كَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟

قَالَ: يُنْسِي مَلَكَيْهِ مَا كَتَبَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُوحِي إِلَى جَوَارِحِهِ اكْتُمِي عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ وَيُوحِي إِلَى بِقَاعِ الأَرْضِ اكْتُمِي عَلَيْهِ مَا كَانَ يَعْمَلُ عَلَيْكِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَيَلْقَى اللهَ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيءٍ مِنَ الذُّنُوبِ.[1]

وبناءً عليه، فإنّ مثل هذا المذنب التائب سيلاقي ربّه عزّ وجلّ في

---

١ ـ «بحار الأنوار» ج ٧، ص ٣١٧ و ٣١٨؛ الطبعة الحروفيّة.

مقام اللقاء في حالٍ لا يشهد فيها على ذنوبه شيء .

ويستفاد من كلام الإمام أنّ التوبة هي حجاب يغطّي العمل القـبيح . فكما يرتكب الإنسان عملاً قبيحاً فيتحقّق عمله في الخارج ، فالتوبة كذلك هي عمل يتحقّق في الخارج ويبقى ثابتاً في عالم التكوين ؛ وأثره الملكوتيّ أن يشكّل ساتراً وحجاباً يغطّي الذنوب فلا يطّلع عليها أحد .

كما روى الكلينيّ في «الكافي» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال :

ثَلاثَةٌ يَشْكُونَ إلَى اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ : مَسْجِدٌ خَرَابٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ ، وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ ، وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الغُبَارُ لَا يُقْرَأُ فِيهِ.[1]

وقد عُدّ المصحف والمسجد في هذه الرواية الشـريفة فـي مـصافّ العالِم الذي يشكي إلى ربّه . ومـن الجـليّ أنّ المـراد بـالمصحف هـو هـذا القرآن المكتوب على الورق والمحفوظ بين الدفّتين وليس حقيقة القرآن الموجودة في العوالم العلويّة . لأنّه عبّر عنه بالقرآن المعلّق الذي وقع عليه الغبار .

ولا ريب أنّ المصحف المعلّق هو موجود مادّيّ لا عقلانيّ ، إلّا أنّه ـ مع ذلك ـ يشكو إلى ربّه . كما أنّ المسجد ـ بدوره ـ مكان مـادّيّ ؛ لكـنّه يشكو إلى الله ، شأنه في ذلك شأن العالِم .

يروي المرحوم الشهيد محمّد بن مكّي ، وهو من فقهاء الطراز الأوّل في الإسلام وممّن يُركَن إلى كلامه بين العلماء بلحاظ إتقانه وإحكام مطالبه . يروي عن ميثم التمّار مرسلاً . كما يروي مؤلّف «المزار الكبير» وهو **السيّد فخّار بن معد الموسويّ** أو بعض أفاضل معاصريه : حدّثني الشريف أبـو

---

١ ـ «وسائل الشيعة» ج ١ ، ص ٣٠٤ ، طبعة بهادري .

المكارم الحمزة بن عليّ بن زهرة العلويّ أدام الله عزّه وأملى عَلَيَّ بلفظه في الكوفة سنة سبعمائة وأربع وسبعين، عن أبيه، عن جدّه، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ ابن بابويه رضي الله عنه، عن الحسن بن عليّ البيهقيّ، عن محمّد بن يحيى الصوليّ، عن عون بن محمّد الكنديّ، عن عليّ بن ميثم رضي الله عنه، عن ميثم التمّار، قال: أصحر بي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ليلة من الليالي قد خرج من الكوفة وانتهى إلى مسجد جعفي، توجّه إلى القبلة وصلّى أربع ركعات فلمّا سلّم وسبّح بسط كفّيه وقال:

إِلَهِي! كَيْفَ أَدْعُوكَ وَقَدْ عَصَيْتُكَ، وَكَيْفَ لَا أَدْعُوكَ وَقَدْ عَرَفْتُكَ، وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي مَكِينٌ، مَدَدْتُ إِلَيْكَ يَداً بِالذُّنُوبِ مَمْلُوَّةً، وَعَيْناً بِالرَّجَاءِ مَمْدُودَةً.

إِلَهِي! أَنْتَ مَالِكُ العَطَايَا وَأَنَا أَسِيرُ الخَطَايَا، وَمِنْ كَرَمِ العُظَمَاءِ الرِّفْقُ بِالأُسَرَاءِ. وَأَنَا أَسِيرٌ بِجُرْمِي مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِي.

إِلَهِي! مَا أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ وَأَوْحَشَ المَسْلَكَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ أَنِيسَهُ.[1] - إلى آخر دعائه.

وأخفتَ دعاءه وسجد وعفّر وقال: العَفْوَ العَفْوَ مائة مرّة، وقام وخرج فاتّبعته حتّى خرج إلى الصحراء، وخطّ لي خطّة وقال: إيّاك أن تجاوز هذه الخطّة، ومضى عنّي. وكانت ليلة مدلهمّة فقلت يا نفسي أسلمت مولاك وله أعداء كثيرة أيّ عذر يكون لك عند الله وعند رسوله، والله لأقفنّ أثره ولأعلمنّ خبره وإن كان قد خالفتُ أمره. وجعلت أتبع

١ـ وهو دعاء طويل يقرب من صفحة من صفحات كتاب «بحار الأنوار» طبعة الكمبانيّ.

أثره فوجدته عليه السلام مطلعاً في البئر إلى نصفه يُخاطب البئر والبئر تخاطبه ، فحسّ بي والتفت عليه السلام وقال : مَن ؟ قلتُ : ميثم . فقال : يا ميثم ! ألم آمرك أن لا تتجاوز الخطّة ؟ قلت : يا مولاي ! خشيتُ عليك من الأعداءِ فلم يصبر لذلك قلبي . فقال : أسمعتَ ممّا قلتُ شيئاً ؟ قلتُ : لا ، مولاي .

فقال : يا ميثم !

وَفِي الصَّدْرِ لُبَانَاتٌ إِذَا ضَاقَ لَهَا صَدْرِي
نَكَتُّ الأَرْضَ بِالكَفِّ وَأَبْدَيْتُ لَهَا سِرِّي
فَمَهْمَا تُنْبِتِ الأَرْضُ فَذَاكَ النَّبْتُ مِنْ بَذْرِي[١]

وينبغي العلم أنّ المراد بنكت الأرض بكفّ اليد وإخفاء السرّ فيها ، وإنبات الأرض من ذلك السرّ ينطوي على كناية واستعارة لما تدور عليه محاورات عامّة الناس من افتقاد مَن يصلح لأن يبوح له الإنسان بسرّه ويفضي له بمكنون صدره ، فيلجأ إلى دفن سرّه في التراب ؛ أو أنّ إرادة الإمام تعلّقت حقيقة بأن يقوم بنفسه القدسيّة بإيداع تلك الأسرار في باطن الأرض وروحها وملكوتها ، لينبت من تلك الأرض فيما بعد من أمثال أولياء الله فيكونون أصحاب سرّ الإمام .

وبطبيعة الحال فإنّ هذا الاحتمال الثاني أقرب إلى الحقيقة ، لأنّ خروج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصحراء في الليل البهيم ،

١ـ أورد المرحوم المجلسيّ هذه الرواية مع ذكر الدعاء المفصّل في «بحار الأنوار» ج ٢٢ ، ص ١٠٥ و ١٠٦ من طبعة الكمبانيّ ، كما أوردها في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام بدون ذكر الدعاء المفصّل ، في ج ٩ ، ص ٤٧٢ ؛ كما أوردها المحدّث القمّيّ في الجزء الأوّل من «منتهى الآمال» ص ٥٧ من طبعة المكتبة العلميّة الإسلاميّة بدون ذكر الدعاء ، وذلك نقلاً عن الشيخ الشهيد .

وتركه ميثم التمّار بعد صلاته ومناجاته الطويلة للّه تعالى وذهابه بمفرده، أمرٌ يُستبعد أن يكون كناية واستعارة أدبيّة ارتجلها متابعة لأُسلوب محاورات الناس.

ويستفاد من ذلك أنّ للأرض شعوراً وإدراكاً، وأنّها تسجّل سرّ الإمام وتحفظ أمانته ثمّ تخرجها مع النبات عند فصل إنبات الزرع.

يروي الشيخ الكشّيّ رواية شائقة عن جبرئيل بن أحمد، عن محمّد ابن عيسى، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي جميلة المفضّل بن صالح، عن جابر بن يزيد الجعفيّ، قال:

حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيهِ السَّلَامُ بِسَبْعِينَ أَلْفِ حَدِيثٍ لَمْ أُحَدِّثْ بِهَا أَحَدَاً قَطُّ وَلَا أُحَدِّثُ بِهَا أَحَدَاً أَبَدَاً.

قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيهِ السَّلَامُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ: إنَّكَ قَدْ حَمَّلْتَنِي وِقْرَاً عَظِيماً بِمَا حَدَّثْتَنِي بِهِ مِنْ سِرِّكُمُ الَّذِي لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدَاً، فَرُبَّمَا جَاشَ فِي صَدْرِي حَتَّى يَأْخُذُنِي مِنْهُ شِبْهُ الجُنُونِ!

قَالَ: يَا جَابِرُ! فَإذَا كَانَ ذَلِكَ فَاخْرُجْ إلَى الجَبَّانِ فَاحْفُرْ حَفِيرَةً وَدَلِّ رَأْسَكَ فِيهَا ثُمَّ قُلْ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِكَذَا وَكَذَا.[1]

وشأن هذه الرواية شأن سابقتها، فلا ينبغي التعجّب من بوح السرّ

١ـ نقل هذا الحديث في ص ١٩٤ من كتاب «اختيار معرفة الرجال» المعروف بـ«رجال الكشّيّ» الذي قامت كلّيّة الإلهيّات في مشهد بطبعه بمناسبة الذكرى الألفيّة لولادة الشيخ الطوسيّ، وفي ص ١٢٨ من كتاب «أخبار معرفة الرجال» (وهو نفس «رجال الكشّيّ») المطبوع في بمبي.

كما نقل في كتاب «معجم رجال الحديث» ج ٤، ص ٢٢، عن الشيخ الكشّيّ؛ وأورده المرحوم العلّامة بحر العلوم في ص ٩١ من مخطوطة «السير والسلوك» المنسوبة إليه باختلاف يسير في اللفظ.

للأرض ، ومن كتمان الأرض لسرّ الإنسان .

هذا وقد وردت روايات ذات مضامين مختلفة في شأن **الحجر الأسود** المنصوب في ركن الكعبة وأمر امتلاكه شعوراً وإدراكاً . ونورد بعض تلك الروايات كأمثلة :

١ ـ رواية في «علل الشرايع» و «عيون أخبار الرضا» رواها عن أبيه ، عن محمّد العطّار ، عن محمّد بن أحمد ، عن موسى بن عمر ، عن ابن سنان ، عن أبي سعيد القمّاط ، عن بكير بن أعين ، قال :

قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَهِ عَلَيهِ السَّلَامُ : هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ الحَجَرُ ؟

قَالَ ، قُلْتُ : لَا . قَالَ : كَانَ مَلَكاً عَظِيماً مِنْ عُظَمَاءِ المَلَائِكَةِ عِنْدَ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَمَّا أَخَذَ اللَهُ مِنَ المَلَائِكَةِ المِيثَاقَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَقَرَّ ذَلِكَ المَلَكُ ، فَاتَّخَذَهُ اللَهُ أَمِيناً عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ فَأَلْقَمَهُ المِيثَاقَ وَأَوْدَعَهُ عِنْدَهُ .

ثمّ ينقل الإمام قصّة مفصّلة يقول في آخرها :

وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَشَدُّ حُبّاً لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهُ ، فَلِذَلِكَ اخْتَارَهُ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَلْقَمَهُ المِيثَاقَ فَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ نَاطِقٌ وَعَيْنٌ نَاظِرَةٌ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ وَافَاهُ إلَى ذَلِكَ المَكَانِ وَحَفِظَ المِيثَاقَ.[1]

٢ ـ ويروي في «منتخب البصائر» بسنده المتّصل عن الإمام الباقر عليه السلام ، قال : لمّا قُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ، أرسل محمّد بن الحنفيّة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وخلا به ، ثمّ قال : يا بن أخي قد علمتَ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان جعل الوصيّة والإمامة

---

١ ـ «بحار الأنوار» ج ٧ ، ص ٣٣٩ ، طبعة الكمباني ، كما أورد المقطع الثاني في الكتاب المذكور ج ٦ ، ص ٥.

من بعده لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ إلى الحسن ، ثمّ إلى الحسين ، وقد قُتل أبوك رضي الله عنه وصلّى الله عليه ولم يوصِ ، وأنا عمّك وصنو أبيك ، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك ، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ولا تخالفني . فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : يا عمّ ! اتّقِ الله ولا تدّعِ ما ليس لك بحقّ ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين . يا عمّ ! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليّ في ذلك قبل أن يُستشهد بساعة ، وهذا سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله عندي ، فلا تعرَّض لهذا فإنّي أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال وإنّ الله تبارك وتعالى آلى أن لا يجعل الوصيّة والإمامة إلّا في عقب الحسين عليه السلام ، فإن أردتَ أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك .

قال الباقر عليه السلام : وكان الكلام بينهما ، وهما يومئذٍ بمكّة ، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود ، فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام لمحمّد : ابدأْ فابتهل إلى الله واسأله أن يُنطق لك الحجر ثمّ اسأله . فابتهل محمّد في الدعاء وسأل الله ، ثمّ دعا الحجر فلم يُجبه . فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : أما إنّك يا عمّ لو كنتَ وصيّاً وإماماً لأجابك .

فقال له محمّد : فادعُ أنت يا ابن أخي واسأله . فدعا الله عليٌّ بن الحسين عليهما السلام بما أراد ، ثمّ قال : أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسانٍ عربيّ مبين مَن الوصيّ والإمام بعد الحسين بن عليّ ؟ فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ، ثمّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين . فقال : اللهمّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فانصرف محمّد وهو

يتولّى عليّ بن الحسين عليه السلام.[1]

يروي ابن أبي الحديد عن أبي سعيد الخدريّ، قَالَ:

حَجَجْنَا مَعَ عُمَرَ أَوَّلَ حِجَّةٍ حَجَّهَا فِي خِلاَفَتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ المَسْجِدَ الحَرَامَ دَنَا مِنَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ وَاسْتَلَمَهُ فَقَالَ: إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَكَ وَاسْتَلَمَكَ لَمَا قَبَّلْتُكَ وَلاَ اسْتَلَمْتُكَ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيهِ السَّلاَمُ: بَلَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ لَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَلَوْ عَلِمْتَ تَأْوِيلَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَعَلِمْتَ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكَ كَمَا أَقُولُ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

«وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» فَلَمَّا أَشْهَدَهُمْ وَأَقَرُّوا لَهُ بِأَنَّهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُمُ العَبِيدُ، كَتَبَ مِيثَاقَهُمْ فِي رِقٍّ ثُمَّ أَلْقَمَهُ هَذَا الحَجَرَ وَإِنَّ لَهُ لَعَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وشَفَتَيْنِ يَشْهَدُ بِالمُوَافَاةِ فَهُوَ أَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا المَكَانِ.

فَقَالَ عُمَرُ: لاَ أَبْقَانِيَ اللهُ بِأَرْضٍ لَسْتَ بِهَا يَا أَبَا الحَسَنِ![2]

ثمّ قال المجلسيّ رضوان الله عليه بعد نقله هذه القصّة: وقد نقل هذه القصّة الغزّاليّ في كتاب «إحياء العلوم» والبخاريّ ومسلم في صحيحيهما إلّا أنّهم لم ينقلوا ردّ أمير المؤمنين على عُمر.

وقد اعتذر ابن تيميّة في «منهاج السنة» عن عمر بأنّ قوله للحجر الأسود «إنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع» لم يكن على سبيل الحقيقة، بل كان

١ـ «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٦١٧، طبعة الكمبانيّ.

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨، ص ٢٩٨، طبعة الكمبانيّ.

على أساس المصلحة والسياسة . فقد ألف الكفّار والمشركون حديثو العهد بالإسلام عبادة الأحجار وتكريمها على أمل نفعها وخوفاً من ضررها ، فقال عمر ما قال لئلّا يعتزّ المشركون بأنفسهم ويفخروا بعملهم . بَيدَ أنّ رواية ابن أبي الحديد تُبطل هذا الاعتذار ، لأنّ عمر لم يعتذر من فعله بشيء بعد أن بيّن له الإمام سرّ تقبيل الحجر الأسود واستلامه ، وبعد تأكيده بأنّ هذا الحجر ينفع ويضرّ . وكان ينبغي له ألّا يقول : لا أبقاني الله بأرضٍ لستَ فيها يا أبا الحسن ! لأنّ ظاهر هذا الكلام ، كلام من كان جاهلاً واعترف بخطأه .

وقد حذف ابن تيميّة تتمّة هذه الرواية ليتمكّن من تبرير ذلك .

٣ ـ يروي محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عُمير ؛ ومحمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، وصفوان عن معاوية بن عمّار ، عن الإمام أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال :

إذا دنوتَ من الحجر الأسود فارفع يديك واحمد الله وأثنِ عليه وصلّ على النبيّ صلّى الله عليه وآله واسأله أن يتقبّل منك ، ثمّ استلم الحجر وقبّله ، فإن لم تستطع أن تقبّله فاستلمه بيدك ، فإن لم تستطع أن تستلمه فأشرْ إليه وقل : **اللَهُمَّ أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لِي بِالمُوَافَاةِ . اللَهُمَّ تَصْدِيقاً بِكِتَابِكَ وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، آمَنْتُ بِاللهِ وَكَفَرْتُ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَبِاللَّاتِ وَالعُزَّى وَعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ وَعِبَادَةِ كُلِّ نِدٍّ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللهِ .**[1]

---

١ ـ «تهذيب الأحكام» ج ٥ ، ص ١٠٢ ، طبعة النجف ؛ وقد ذكر الصدوق أيضاً هذا ⇦

كما ورد عن الكلينيّ ، عن عدّة من الأصحاب ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أحمد بن موسى ، عن عليّ بن جعفر ، عن محمّد بن مسلم ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اسْتَلِمُوا الرُّكْنَ فَإنَّهُ يَمِينُ اللَهِ فِي خَلْقِهِ يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ مُصَافَحَةَ العَبْدِ أَوِ الدَّخِيلِ وَيَشْهَدُ لِمَن اسْتَلَمَهُ بِالمُوافَاةِ.[١]

وعليه ، فإنّ المساجد في حدّ ذاتها ومع اختلافها ، لها درجة واحدة من الأهمّيّة ، إذ إنّ الاختلاف بلحاظ المكانة والشرف أمر عارض مُنح لها . فشرف الكعبة والمسجد الحرام يعود إلى الأنوار المعنويّة التي كانت لمن بناهما أي لإبراهيم وإسماعيل اللذين منحا لهذه الأرض ولهذا البناء روحاً وفضلاً ، وشرف مسجد الخيف ومسجد النبيّ نابع من شرف العبّاد والنسّاك ، فقد تشرّفا ونالا الكرامة برسول الله وبإسماعيل وإسحاق وبسائر الأنبياء كما تشرّف قبر سيّد الشهداء وتربته وأرض كربلاء ونالت الفضيلة ببركة البدن الطاهر والعلقة المثاليّة لذلك الإمام بتلك البقاع ، وليس الأمر عائداً إلى شرف الأرض ذاتها ، أو أنّ الله تعالى شاء لذلك الإمام أن يُدفن في تلك الأرض الشريفة فينال فضلاً ببركتها ، فهذا خلاف الحقيقة والواقع .

باده در جوشش گداى جوش ماست

چرخ در گردش اسير هوش ماست[٢]

⇐ الدعاء في «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ، ص ٣١٦ ، طبعة النجف ؛ أيضاً في «المحجّة البيضاء» ج ٢ ، ص ١٦٩ و ١٧٠ .

١ـ «التهذيب» ج ٥ ، ص ١٠٢ .

٢ـ «مثنوي» ج ١ ، ص ١ ، طبعة ميرخاني .

يقول : «بنا سكرتْ الخمر ولم نسكر بها ؛ وبنا صار القالب والإطار ولم نكن به» .

بـاده از مـا مست شـد نـى ما ازو

قـالب از مـا هست شـد نـى ازو[1]

يروي الكلينيّ في «الكافي» عن ابن أبي عُمير، عن بعض أصحابه، **قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

إِنِّي لَأَكْرَهُ الصَّلَاةَ فِي مَسَاجِدِهِمْ.[2] فَقَالَ: لَا تَكْرَهْ، فَمَا مِنْ مَسْجِدٍ بُنِيَ إِلَّا عَلَى قَبْرِ نَبِيٍّ وَوَصِيِّ نَبِيٍّ قُتِلَ فَأَصَابَ تِلْكَ الْبُقْعَةَ رَشَّةٌ مِنْ دَمِهِ فَأَحَبَّ اللَهُ تَعَالَى أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا؛ فَأَدِّ فِيهَا الفَرِيضَةَ وَالنَّوَافِلَ وَاقْضِ فِيهَا مَا فَاتَكَ.[3]

قال المرحوم العلّامة السيّد مهدي بحرالعلوم في منظومته:

أَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ فِي المَشَاهِدِ　　خَيْرِ البِقَاعِ أَفْضَلِ المَعَابِدِ

لِفَضْلِهَا اخْتِيرَتْ لِمَنْ بِهِنَّ حَلَّ　　ثُمَّ قَدْ حَلَّهَا سَمَا المَحَلَّ

وَالسِّرُّ فِي فَضْلِ صَلَاةِ المَسْجِدِ　　قَبْرٌ لِمَعْصُومٍ بِهِ مُسْتَشْهَدِ

بِرَشَّةٍ مِنْ دَمِهِ مُطَهَّرَة　　طَهَّرَهُ اللَهُ لِعَبْدٍ ذَكَرَه[4]

والخلاصة، فإنّ شرف الأمكنة والأزمنة ـ عموماً ـ مرتبط بشرف الحالّ في تلك الأمكنة والأزمنة حيث قيل: **شَرَفُ المَكَانِ بِالمَكِينِ**. وأنّ

١ـ يقول: «الخمرة في فورانها تستجدي الفوران منّا، الفلك في دورانه أسير عقلنا وفطنتنا!».

٢ـ يقصد مساجد العامّة وأهل السنة.

٣ـ «تهذيب الأحكام» ج ٣، ص ٢٥٨؛ و«سفينة البحار» ج ١، ص ٦٠١.

ويقول في «مصباح الشريعة» الباب الثالث والأربعين في المشي:

فإنّه قد جاء في الخبر أنّ المواضع التي يذكر الله فيها وعليها تشهد بذلك عند الله يوم القيامة وتستغفر لهم إلى أن يدخلهم الله الجنّة.

٤ـ «الدّرة النجفيّة» ص ١٠٠، طبعة مطبعة النعمان في النجف.

تلك الأرواح الطيّبة لأولياء الله وأنبيائه وأوصيائهم هي التي تجعل تلك المواضع طاهرة منوّرة، وتمنحها جدارة تحمّل أعمال الناس العباديّة.

وهذه النورانيّة تحصل على إثر ذلك الإدراك والشعور، إذ إنّ العلم في عوالم المعنى نور، وكلّما قويت درجة إدراك المكان والزمان، زادت نورانيّتها، كما هي الحال في المسجد الحرام ومسجد النبيّ ومسجد قبا ومسجد الخيف والمساجد الواقعة في أطراف قبور المعصومين. كما أنّ شرف يوم الجمعة وليلتها، وأيّام شهر رمضان ولياليه، والأيّام المعدودات والأيّام المعلومات وعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الغدير والنصف من شعبان وأمثالها عائد إلى شرف الأفراد الذين تُنسب إليهم تلك الأيّام والليالي. فقد سرى شرف الحالّ إلى زمان الحلول ومكانه.

وهناك بعض المساجد ذات نورانيّة جليّة وواضحة، بحيث يحسّ الإنسان فيها بحالة من النشاط والتوجّه الروحيّ، وذلك منبعث عن خلوص نيّة باني المسجد ومعماره وعمّاله ومصلّيه، بحيث أدّى وجداناً إلى جعل فضاء المسجد المعنويّ روحانيّاً، وإلى جعل سقفه وجدرانه وأرضه حيّة ذات شعور، بالرغم من جهل عامّة الناس لهذا الأمر.

يقول المرحوم آية الله جمال العارفين الحاجّ الشيخ جواد الأنصاريّ الهمدانيّ أسكنه الله بحبوحة جنانه:

دخلتُ أحد المساجد يوماً فرأيتُ رجلاً عجوزاً من عامّة الناس منشغلاً بالصلاة وقد اصطفّ خلفه صفّان من الملائكة يقتدون به دون أن يكون له علم بالأمر. وكنت أعلم أنّ ذلك الرجل العجوز قد أذّن لصلاته وأقام. فقد جاء في الرواية أنّ من يؤدّي الأذان والإقامة في فرائضه اليوميّة فإنّ صفّين من الملائكة سيقتدون به، أمّا إذا أدّى أحدهما فإنّ صفّاً واحداً من الملائكة سيقتدي به بحيث يمتدّ طول ذلك الصفّ ما بين المشرق

والمغرب .

وهذه الآثار هي من الآثار الملكوتيّة القهريّة للأذان والإقامة ، ولو لم يكن المؤذّن والمقيم على اطّلاع بذلك . كما أنّ من الآثار القهريّة لخلوص نيّة المصلّين والمناجين ودرجات قربهم ، طهارة المحلّ ونورانيّة المكان والزمان . فجبل الطور قد تنوّر بسبب تجلّي نور الحقّ في موسى الكليم ؛ وجبل ساعير وجبل فاران وبيت إيل وبئر سبع وباقي الأمكنة النورانيّة ومعابد أولياء الله قد صارت منوّرة ومطهّرة من تجلّي نور الحقّ في الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وفي عيسى وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء الكرام .



المجلس التاسع والأربعون

شهادة القرآن والأعمال يوم القيامة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا.[1]

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ.[2]

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا.[3]

وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ؛ يتساءل الإنسان : لماذا أصبحت الأرض هكذا ؟ لماذا أضحت بهذه الصورة وهذه الكيفيّة ؟ وما هي قصّتها وما هو ماضيها ؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ؛ يومذاك تحدّث الأرض ما جرى عليها من وقائع الأنبياء والأئمّة ، ومن نزاعات الدول والجماعات والأحزاب ،

١ـ الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٩٩ : الزلزلة .

٢ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٣ـ الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

وتقصّ الحوادث العامّة والخاصّة للأفراد. وستحكي ما جرى لها من الحوادث منذ أن خُلقت إلى حين أخرجت أثقالها وأمتعتها، وتستحيل أرضاً أُخرى نورانيّة طاهرة. **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا.**

بأنّ الله أوحى لها وألهمها، وبثّ فيها من علمه. ذلك الوحي الذي أوحاه ربّك ـ أيّها النبيّ ـ للأرض فجعلها ذات علم يمكنها به أن تتحدّث عن الوقائع والحوادث الماضية، وأن تُظهر أسرارها وخفاياها الدفينة وتبديها للعيان.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ.

يوم يصدر الناس من الأرض، فتكون صادرات الأرض من الناس الذين رقدوا فيها منذ آلاف السنين وارتدوا رداء الموت والفناء.

مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ.[1]

إنّ جميع أفراد البشر الذين جاءوا إلى الأرض تدريجيّاً منذ عهد آدم إلى يوم القيامة فعُدّوا من واردات الأرض، قد حان الآن موعد صدورهم منها وخروجهم بعنوان صادرات. ولقد دخلوا في باطن الأرض وحلّوا فيها ونزلت فيها أجسادهم وأقامت فيها وعُدّت من أثقالها. أمّا الآن فقد آن الأوان لمناقشة تلك الملفّات وإخراجها من ديوان المحفوظات وتصديرها إلى عالم آخر، إلى عالم الحساب وموقف العرض والشهادة. لماذا؟ **لِيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ.**

وسيخرج الناس فرقاً، فرقاً **أَشْتَاتًا**؛ المؤمنون مع المؤمنين والكفّار مع الكفّار، وسيخرج من الأرض أصحاب الاتّجاهات والأحزاب والمنتمون إلى قبائل خاصّة، في صفوف ومجاميع مختلفة فينضمّون إلى

١ـ الآية ٥٥، من السورة ٢٠: طه.

بعضهم في تجمّعات وتشكيلات خاصّة من أجل إراءتهم أعمالهم وإطلاعهم على سيرتهم وسلوكهم.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.[1]

ويُستفاد من هذه الآيات الكريمة عدّة أُمور:

أحدها: أنّ الأرض ستتحدّث وتخبر بوقائعها: «**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**»، **حدّث يحدّث تحديثاً**، أخبر وبيّن وقصّ. ومن الجليّ أنّ الحديث الذي تحدّثه الأرض، لا تحدّثه باللسان المعهود الذي هو عبارة عن قطعة لحمية داخل الفم. كما أنّ الصوت الذي يخرج من الأرض لن يماثل الأصوات التي يحدثها أفراد البشر. إذ لو قلنا بأن الله عزّ وجلّ يُوجد صوتاً في الأرض، فإنّ ذلك الصوت لن يكون صوتها، ولما صحّ أن ننسبه إليها فنقول بأن الأرض تتحدّث وتحكي عن أخبارها وحوادثها.

ولو وُضع في فم إنسانٍ ما مسجّل صغير للصوت لا يُرى، فتحدّث ذلك المسجّل لما قيل بأنّ ذلك الشخص قد تحدّث. إذ إنّ نسبة الكلام إلى الإنسان تصحّ حين يصدر الكلام من نفس الإنسان وحين يكون بإنشائه وإرادته أمّا الصوت الذي ينبعث من جوار الإنسان فلا يصدق عليه عنوان صوت الإنسان وحديثه.

ولو تحدّثت الأرض بنفسها لما انحصر حديثها بهذه الأصوات المعهودة، لأنّ حديث كلّ شيء يتناسب مع ذلك الشيء. فالإنسان يتحدّث بكيفيّة معيّنة، وكلّ صنف من أصناف الحيوانات يتحدّث بكيفيّة معيّنة. وللشجرة حديث خاصّ، وللجمادات كذلك حديث خاصّ معيّن. خاصّة إذا رجعنا إلى المطالب التي نوقشت في المجلس السابق وذكرنا فيها أنّ

١ـ الآيتان ٧ و ٨، من السورة ٩٩: الزلزلة.

الموجودات ـ بما فيها الجمادات ـ تمتلك شعوراً وقدرة وحياة . لذا يتّضح أنّ الأرض كذلك ذات شعور وفهم . فيكون حديث الأرض هو إراءتها وعرضها للحوادث . تلك الحوادث التي حفظتها وصارت اليوم تعرضها بطريقة تتناسب مع وجودها .

قد تقولون : لقد جاءت القطّة إلى الغرفة فتحدّثت إليّ وطلبت طعاماً . وبطبيعة الحال فإنّ كلام القطّة وحديثها ليسا بأن تقول بلسانها وفقاً للألفاظ المتداولة «أيّها السيّد ! أنا جائعة وأريد طعاماً» فكلام القطّة هو مواؤها ، حيث تحدث أصواتاً مختلفة ، أحدها بكيفيّة معيّنة حين تطلب شيئاً ، والأخرى بكيفيّة أُخرى حين تشعر بالخوف فتنادي أطفالها إليها على نحوٍ خاصّ . كما أنّ لها صوتاً خاصّاً حين تطردهم وتبعدهم عنها ، وصوتاً حين تواجه عدوّاً ، وصوتاً حين تسترحم الإنسان وتطلب منه طعاماً ، فيفهم من لحن صوتها وكيفيّة نظراتها أنّها جائعة تطلب طعاماً .

وعلى أيّة حال فإنّ تكلّم الأرض وحديثها يتناسب معها ، وحديثها هو عرضها للحوادث ، مستخدمةً الشعور والإدراك اللذين تمتلكهما .

والأمر الآخر قوله : **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا**.

الوحي بمعنى إيصال بعض المعاني الملكوتيّة عن طريق الباطن إلى عالم المُلك والظاهر بما يتناسب مع كلّ موجود .

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا.[1]

ولا يعني الوحي الذي يوحيه الله إلى النحل ، أنّه سبحانه يرسل جبرائيل الأمين إلى كلّ نحلة ، فيُلْهِم قلبها . بل المراد بالوحي إلى النحل ،

---

١ ـ الآيتان ٦٨ و ٦٩ ، من السورة ١٦ : النحل .

الفطرة التي أودعها الباري المتعال في هذا الموجود والخاصّيّة التي جعلها فيها والقوى الفكريّة والخلقة والغرائز التي جهّزها بها بحيث صارت تبني لنفسها بيوتاً وخلايا بين ثغرات الجبال والأشجار وفي فتحات سقوف البيوت . تلك البيوت المجلّلة السداسيّة المشيّدة وفق قواعد هندسيّة بحيث تعدّ من أفضل البيوت ، دون أن يطرأ عليها خلل أو نقص . أي أنّه تعالى جعل نظام النحل وقوامها الوجوديّ وحدودها الماهويّة على هذا النحو لتكون على هذه الهيئة والكيفيّة . وهذا النظام قائم على أساس خلق الله تعالى حدوثاً وبقاءً .

أي أنّ هناك في كلّ لحظة وحياً من الذات القدسيّة للرحمن إلى هذا المخلوق المعصوم المنقاد في أساس خلقته ، وفي إفاضة الخلقة والشعور والإدراك ، وفي تسديده باستمرار بهذا الفهم والشعور وفي حدود قدرته ، وفي إرادته وهدفه ، في القيام بهذه الوظائف .

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا.

أي أنّ الله عزّ وجلّ يعطي الأرض قوّة يمكنها من خلالها إخراج تلك الوقائع التي قامت بتسجيلها وحفظها في الديوان بعنوان واردات دونما تغيير أو تبديل ، وعرض تلك الوقائع حين يحين موعد العرض والمناقشة في محكمة العدل الإلهيّ ، وإظهارها على مرأىً ومسمع من أصحابها وليراها غير أصحابها ممّن يشاء الله سبحانه .

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ.

يخرج الناس جماعات جماعات ليروا أعمالهم ويتّضح بأن حديث الأرض يتمثّل في عرضها وإراءتها . أي أنّ حكاية هذه الأرض ما أوحى لها الله تتمثّل في عرضها الأعمال أمام أنظار أصحابها . فحديثها وكلامها ـ إذاً ـ هو عرضها وإراءتها .

وسيُقال للإنسان : تعالَ وانظر أعمالك ! فمن عـمل صـالحاً ، شـاهد عمله الصالح ؛ ومن ارتكب عملاً طـالحاً شـاهده بـصفته ونـعته ، إذ إنّ مـا يصدر من الإنسان في عالم الوجود ثابت لا يزول ، ومن المحال أن يطرأ العدم على شيء تلبّس برداء الوجود . منتهى الأمر أنّ العمل يـختفي عـن ناظر الإنسان ، ثـمّ يُـفتح ديـوان الأرض فـتتبدّل الورادات إلى صـادرات ، ويُعطى كلّ امرئ سجلّه بيده ويقال له : تطلّع وانظر مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

ويستفاد من هذه الآيات القرآنيّة أن بقاع الأرض تشـهد عـلى كـلّ عمل يُرتكَب عليها ، وعلى كلّ حادثة تقع فوقها . فكلّ نقطة من الأرض لها مع الإنسان نسبة وعلاقة تجعلها تشهد على سلوكه وسيرته .

فجبال الهمالايا ـ مثلاً ـ لا تشهد على عملنا ، بل ستشهد عليه البقاع والأماكن التي لنا معها ارتباط ونسبة ، والتي وقعت ظرفاً لمكاننا بـعنوان «أين» . كما أنّ الأزمنة السالفة مثل أيّـام مـوسى وعـيسى عـليهما السـلام لا تشهد على أعمالنا ، بل الشاهد عليها هو الزمن الذي نعيش فيه ، والظرف الزمنيّ الذي يحتوي وجودنا .

لذا فإنّ كلّ أرض وزمان ستحكي عن تلك النسب والارتباطات التي أخذتها وتحمّلتها من جميع الأفراد الموزّعين على ظهرها . وقد ذُكرت هذه المطالب تحت عنوان الفـلسفة الكـلّيّة لشـهادة الأمكـنة والبـقاع والزمـان والأرض ، أمّا بالعنوان الفرعيّ ، فلدينا روايات في هذا المجال جاء فيها أنّ كلّ مكان تصلّي فيه يشهد على صلاتك ، وكلّ مكان تزوره يشهد لك ، وكلّ مكان تحجّه يشهد لك . فأرض عرفات والمشعر ومنى تشهد يوم القـيامة على وقوفك ومبيتك وتقديمك القربان ورمـيك ؛ وجـبلا الصـفا والمـروة يشهدان.كما أنّ السعي بين الصفا والمروة ، والطواف حول الكعبة لهما روح ونور وحياة وشعور ، وهما شاهدان سيشهدان .

وهذه الروايات من الكثرة بحيث تضيق على الحصر والإحصاء، بَيْدَ أنّها لم تُجمع في باب واحد بل وردت متفرّقة في أبواب الفقه والزيارات والأدعية والقرآن.

فلدينا في كتاب الصلاة ـ مثلاً ـ أخبار عن البقاع التي تشهد على الصلوات التي صلّاها المرء عليها، سواءً الصلوات المستحبّة كصلاة الغفيلة وصلاة ليلة الرغائب أم سائر الصلوات اليوميّة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحجّ والجهاد والمرابطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والروايات الواردة في هذا المجال جمّة لا مجال لإحصائها.

هذا في شأن شهادة الزمان والمكان، أمّا بالنسبة إلى شهادة الأعمال فهناك باب مفصّل أيضاً في أنّ الصلاة التي يصلّيها المرء، والصوم الذي يصومه، والحجّ الذي يحجّه، والجهاد الذي يقوم به في سبيل الله تعالى وكلّ عمل حسن أو سيّئ يفعله سيشهد يوم القيامة على الإنسان.

وتبعاً للمقدّمات التي مرّت في المجالس الأخيرة، فقد اتّضح معنى الشهادة وكيفيّتها،وأصل ثبوت الشهادة وضوحاً ينفي الحاجة للبحث في شأنها مجدّداً. إذ إنّ نفس العمل هو أحد معطيات عالم التكوين.

وتبعاً للقاعدة العامة: **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ**، فإنّ كلّ ما يمكن أن يدعوه المرء شيئاً سيكون محفوظاً في عالم التكوين وفي كتاب الله المبين وروحه: الإمام المبين، ومن جملة تلك الأشياء نفس عمل الإنسان. وكما أنّ وجود الإنسان محفوظ، فإنّ أعماله (التي هي من وقائعه ومُعطياته) محفوظة بدورها. وهذه الوقائع تزول تبعاً للصور المختلفة التي تتّخذها لنفسها مادّة الإنسان وبدنه، إلّا أنّها تزول إذ تزول حين تكون تلك الصورة قد تبدّلت. أمّا في الحال التي بدر فيها ذلك العمل من الإنسان، فإنّ ذلك العمل سيُعدّ من لوازم الصورة التي تلبّس بها الإنسان آنذاك، وهو

ـ بهذا اللحاظ ـ غير قابل للزوال والانعدام . أي أنّ الأعمال ملازمة للصورة الإنسانيّة للإنسان وغير قابلة للانعدام مع قيد أنّ تلك الصورة هي صورة الإنسان يوم أمس مثلاً . فتلك المادّة قد فقدت الصورة التي امتلكتها يوم أمس واتّخذت لنفسها صورة اليوم الحالي . وكما أنّ الصورة السابقة لم تنعدم ، فإنّ الأعمال الموجودة والملازمة لتلك الصورة لم تنعدم بدورها .

ولقد تقدّمت تلك الصورة إلى الأمام لكنها لم تنعدم بصورة مطلقة . ومع أنّها غير مشهودة في هذا الزمان ، إلّا أنّها باقية يوم أمس ـ مع قيد يوم أمس ـ وستبقى باقية فيه على الدوام . ولقد كانت تلك الأعمال صادرات نفس الإنسان ومن لوازمه التي لا تنفكّ عنه ، وهي محفوظة مع صورة الإنسان مهما شاء الإنسان أن يفعل .

يروي المجلسيّ رضوان الله عليه عن «معاني الأخبار» و «أمالي الصدوق» و «خصال الصدوق» بسند الصدوق المتّصل إلى سهل بن سعد ، قال :

جَاءَ جِبْرَئِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإنَّكَ مَيِّتٌ ! وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ . [1]

وعلى أيّة حال ، فإنّ جميع الأعمال ستوضع أمام الإنسان يوم القيامة من صلاة وصوم وزكاة وزنا وكذب ودغل وغشّ وسرقة وحيلة وأمثال ذلك ، ولو كانت بقدر ذرّة واحدة . فماذا تعادل الذرّة الواحدة يا ترى ؟

---

١ ـ «بحار الأنوار» ج ١٧ ، ص ٥ (الروضة) ، طبعة الكمبانيّ .

الذرّة عبارة عن واحدة من النقاط المادّيّة الصغيرة المجهريّة المنتشرة في الفضاء، والتي يتعذّر مشاهدتها إلّا حين يجلس المرء في الظلام ويفتح نافذة صغيرة لدخول النور. فحينذاك فقط ستُشاهد الذرّات السريعة متحرّكة في عمود الضياء، وهي من الصغر بحيث لو جمع منها الملايين لما عادلت غراماً واحداً.

فأيّ ميزان دقيق سيضعه الحقّ عزّ وجلّ هناك، بحيث يقدر على تشخيص الأعمال وإظهارها للإنسان ولو كانت بقدر مثقال ذرّة؟

إنّ بعض الموازين في هذا العالم تتجاوز نسبة الخطأ فيها عدّة كيلو غرامات، وبعضٌ آخر من أجهزة وزن السيّارات تصل نسبة الخطأ فيها إلى مائة كيلو غرام، نعوذ بالله من الميزان الإلهيّ الذي يعيّن الذرّة الواحدة من الخير، والذرّة الواحدة من الشرّ، فيظهرهما للإنسان.

وسنتحدّث إن شاء الله تعالى في بحث الميزان عن كيفيّة ووضع ميزان الأعمال الإلهيّ يوم القيامة.

هذا وقد وردت روايات حول تكلّم القرآن الكريم وشهادته يوم القيامة، إلّا أنّنا سنذكر رواية ذات مضمون رفيع وردت في كتاب «الكافي» الشريف. يروي **محمّد بن يعقوب الكلينيّ** عن عليّ بن محمّد، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسين بن عبد الرحمن، عن سفيان الجريريّ، عن أبيه، عن سعد الخفّاف، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال:

يَا سَعْدُ! تَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَإنَّ القُرْآنَ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ نَظَرَ إلَيْهَا الخَلْقُ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ عِشْرُونَ وَمِائَةُ أَلْفِ صَفٍّ: ثَمَانُونَ أَلْفِ صَفٍّ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ، وَأَرْبَعُونَ أَلْفِ صَفٍّ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ.

ثمّ قال الإمام: فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم

فينظرون إليه ثمّ يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، إنّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنّه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعْطَه، ثمّ يجاوز (يتجاوز ـ خ ل) حتّى يأتي على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّبُّ الرَّحِيمُ، إنّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنّه من شهداء البحر، فمِنْ هناك أُعطي من البهاء والفضل ما لم نُعطه.

قال: فيجاوز (فيتجاوز ـ خ ل) حتّى يأتي على صفّ شهداء البحر في صورة شهيد، فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم ويقولون:

إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته، غير أنّ الجزيرة التي أُصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها، فمِنْ هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعْطَه.

ثمّ يجاوز (يتجاوز ـ خ ل) حتّى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبيّ مُرسَل، فينظر النبيّون والمرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم ويقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ. إنّ هذا لنبيٌّ مرسلٌ نعرفه بصفته وسمته غير أنّه أُعطي فضلاً كثيراً.

قال: فيجتمعون فيأتون رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمّد! مَن هذا؟ فيقول: أوَ ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه، هذا ممّن لم يغضب الله عليه. فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: هذا حجّة الله على خلقه. فيسلّم ثمّ يجاوز حتّى يأتي صفّ الملائكة في صورة مَلَك مقرّب فينظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجّبهم ويكبر ذلك عليهم لِما رأوا من فضله ويقولون: تَعَالَى رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ. إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته، غير أنّه كان أقرب الملائكة من الله عزّ وجلّ مقاماً. من

هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نلبس . ثمّ يجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيخرّ تحت العرش ، فيناديه تبارك وتعالى : يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ! ارفعْ رأسك وسَلْ تُعْطَ واشفعْ تُشَفَّعْ . فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى :كيف رأيتَ عبادي ؟ فيقول : يا ربِّ منهم من صانني وحافظ عَلَيّ ولم يضيّع شيئاً ، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي وكذّب وأنا حجّتك على جميع خلقك . فيقول الله تبارك وتعالى : وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ولأُعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب .

قال : فيرفع القرآن رأسه في صورة أُخرى . قال : فقلتُ له : يا أبا جعفر ! في أيّ صورةٍ يرجع ؟

قال : في صورة رجلٍ شاحب متغيّر ينكره أهل الجمع . فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول : ما تعرفني ؟ فينظر إليه الرجل فيقول : ما أعرفك يا عبد الله .

قال : فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأوّل فيقول : ما تعرفني ؟

فيقول : نعم .

فيقول القرآن : أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت عيشك ، وسمعتَ الأذى ورُجِمْتَ بالقول فيّ ، ألا وإنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم .

قال : فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيقول : يا ربِّ ! عبدك وأنتَ أعلم به قد كان نَصِباً بي مواظباً عَلَيّ ، يُعادي بسببي ويحبّ فيَّ ويبغض فيَّ .

فيقول الله عزّ وجلّ : أَدْخِلوا عبدي جنّتي واكسوه حلّة من حلل الجنّة

وتوّجوه بتاج.

فإذا فُعل به ذلك عُرض على القرآن فيُقال له: هل رضيتَ بما صُنع بوليّك؟

فيقول: يا ربّ! إنّي أستقلّ هذا له، فزده مزيد الخير كلّه.

فيقول: وعزّتي وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته: ألا إنّهم شباب لا يهرمون وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون. ثمّ تلا هذه الآية: **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ**.[1]

قلتُ: جُعلتُ فداك يا أبا جعفر! وهل يتكلّم القرآن؟

فتبسّم ثمّ قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا، إنّهم أهل تسليم.

ثمّ قال: نعم يا سعد؛ والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى.

قال سعد: فتغيّر لذلك لوني وقلت: هذا شيءٌ لا أستطيع أن أتكلّم به في الناس.

فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلّا شيعتنا؟ فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا. ثمّ قال: يا سعد! أُسمعك كلام القرآن؟

قال سعد، فقلت: بلى صلّى الله عليك.

فقال: **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ**.[2] فالنهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله ونحن أكبر.[3]

١ـ الآية ٥٦، من السورة ٤٤: الدخان.

٢ـ الآية ٤٥، من السورة ٢٩: العنكبوت.

٣ـ «أُصول الكافي» كتاب فضل القرآن، ج ٢، ص ٥٩٦ إلى ٥٩٨؛ و«بحار الأنوار» ج ٧، ص ٣١٩ إلى ٣٢١، الطبعة الحروفيّة.

والخلاصة، فقد هجر كثيرٌ من الناس القرآن الكريم، وتخيّلته طائفة منهم كذباً واختلاقاً وقالوا بأنّ آية **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ** لا تنسجم مع هذا العصر، وبأنّ هذه الآية ينبغي ألّا تُقرأ أساساً، وأن لا تُذكر ولا تُفسَّر.

لقد شقي أكثر المسلمون. أتعلمون لماذا؟ لأنّهم تأثّروا بالحضارة الغربيّة إلى الحدّ الذي صار ينبغي فيه للقرآن أن يُفسَّر وفقاً لرغبات الأُمم الكافرة وشهواتها. حتّى صار بعض أصحاب الاختصاص يقولون بلا مواربة بأنّ الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق. أي أنّ الحضارة الغربيّة وثقافة الكفر ترعرعت في قلوبهم وأفكارهم وتجذّرت وامتدّت باسقة حتّى كأنّهم يخجلون أن يقولوا بأنّ ذلك الكلام كلامٌ خاطئ، وبأن الإسلام لم يساوِ بين المرأة والرجل، بل أعطى كلّاً منهما حقوقه وفقاً لمعايير الضرورات الفطريّة، وهو معنى يختلف عن التساوي في الحقوق.

إنّ المرأة والرجل يقفان في درجتين مختلفتين، وليسا متساويين في أيّ أمر من الأُمور. وقد جاء في القرآن الكريم:

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ.[1]

يقولون: إنّنا لا نفهم معنى هذه الآية.

سلب الله منكم الفهم والإدراك. إذ من الطبيعيّ أن لا تفهموها.

يقولون: لا تخوضوا في هذا الأمر الآن.

ولِمَ لا نبحث فيه! أوَ ليست هذه الآية آية قرآنيّة؟ على المسلمين أن يجولوا في أعماق القرآن بهمّة صادقة وبشجاعة لا يعتريها تردّد، فيقرأوا ويبحثوا ويناقشوا ويقدّموا القرآن للعالم، سواءً في الخطب

١ـ الآية ٢٢٨، من السورة ٢: البقرة.

والكلمات أم في المؤتمرات والمحافل الدوليّة ، ويثبتوا أنّ القرآن قد أعطى للمرأة حقوقها ؛ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**.

وهو أفضل وأرقى طراز لتقسيم الحقوق على أساس المواهب الإلهيّة الموهوبة ؛ والحقّ أنّه كذلك .

إنّ الشرق والغرب يطوفان يميناً وشمالاً بائسين خاليي الوفاض ، وعليهم في نهاية الأمر أن يأتوا فيركعوا أمام القرآن ، ويعتبروا تعاليمه المشعل الوهّاج الذي يضيء طريقهم وصولاً إلى نجاة عالم البشريّة .

لقد جاءت إلى منزلنا اليوم إحدى المخدَّرات وتحدّثت عن زوجها الذي حصلت على الطلاق منه في زمن الطاغوت من خلال التوسّل بالمحكمة الطاغوتيّة ، واعترفت بمدى الشقاء والتعاسة اللذين لحقاها في ذلك الوقت حين أصدرت المحكمة حكم الطلاق دون رضا الزوج ولا وكالة منه . وقالت : «لقد تجرّأتُ وحصلتُ على الطلاق ، وتخيّلت أنّني كنت حاذقة ، إلّا أنّني أوقعتُ نفسي في الشقاء » وكانت تتمنّى لو لم تكن فعلت ما فعلتْ ؛ ولو لم تفعل لعاشت مع زوجها في أتمّ الوئام والصفاء .

كانت تقول : «لقد ألقيتُ بنفسي في النار» .

إنّ طلاق المرأة بِيَدِ الرجل ، فهذا هو حكم القرآن ، إذ إنّ للنساء مواصفات خاصّة بهنّ ، فإن حُمِّلن فوق تلك الطاقات والمواصفات لابتعدن من جرّاء ثقلها ، ولتلاشى كيانهنّ وتبدّد .

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام في حاضرين وصيّة ذات مضمون عميق ورفيع لولده الإمام الحسن عليه السلام ، نُقلت في «نهج البلاغة» فاستوعبت ما يقرب من ستّ عشرة صفحة . وقد شاهدت أخيراً خلال الأيّام المعدودة الماضية مقالةً في جريدة «اطلاعات» تحت عنوان «وصايا أمير المؤمنين» ضمّت ترجمة لهذه الوصيّة ، وقد طبعت المقالة في

عدّة أعداد من الجريدة. ومع أنّ المترجم لم يصرّح باسمه، إلّا أنّه ـ أيّاً كان ـ قد قام بسرقة ماهرة عندما حرّف في الوصيّة وأسقط منها نكاتاً دقيقة. فقد ترجم جملة **وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّهَا رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ**. على نحوٍ آخر.

يقول الإمام في هذه الجملة: أي بُني حسن! لا تُحمّل المرأة فوق طاقتها، لأنّ كيان المرأة مقرون باللطافة. وكما أنّ بدنها ـ بالنسبة إلى بدن الرجل ـ ألطف، فإن غرائزها وأحاسيسها ذات لطافة ورقّة خاصّتين. فلا تحمّلها فوق هذا المقدار لأنّها ليست قهرمانة ولا محوراً للنزاع والخصام والمجادلات العنيفة.

إنّ الإنسان يمكنه أن يتعامل بيده مع الأشواك البرّيّة القاسية أو مع الأخشاب الصلبة، فيصنع منها أشياءً، لكنّه ما إن يقتطف الورد الجوريّ وورود الياس وورود مريم[1]، ويلمسها بيده حتّى تذبل وتفقد نضارتها.

وما ألطف تشبيه أمير المؤمنين عليه السلام للمرأة بالوردة والريحانة! وما أبلغ منطقه وأدقّه حين يقول بأنّ المرأة لو حُمّلت فوق طاقتها، أدّى ذلك إلى فسادها وضياعها.

فإن أنتَ أشركتَ المرأة في الأُمور الاجتماعيّة، ولو أقحمتَها في ميدان السياسة وشاورتها في الأُمور السياسيّة، و جعلتَها قاضيةً وحاكمة تتصدى للقضاء والحكومة، ولو أجبرتها على الجهاد، لأضعتَ بذلك وجودَها. فالمرأة لم تُخلق لمثل هذه الأعمال الشاقّة، وكيان المرأة قائم على نحوٍ متفاوت آخر.[2]

١ـ نوع من الورد الأبيض. (م)

٢ـ ألّفنا رسالة استدلاليّة بالعربيّة في حقوق المرأة وتفسير آية: «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ ⇐

وقد جاء في الرواية : **وَلَا أَنْ تُسْتَشَارَ** ؛ أي أنّ المرأة لا تستشار في الأُمور السياسيّة والاجتماعيّة .

إِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفَنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهَنٍ.

على الإنسان أن يكون مصارعاً حتّى يصارع بطلاً في ميدان المصارعة ، فإن كان غير رياضي لقُتِل وتحطّم . بَيدَ أنّ العالَم المعاصر لا يفهم ماذا يفعل ولا يدرك أيّ مصيبة يصبّها على رؤوس النساء وأيّ صواعق محرقة يمطرها عليهنّ فتهدّ بيوتهنّ تحت عناوين حقوق النساء البرّاقة المستلفتة للأنظار .

إنّ العالَم الحالي منغمر في الجهل وغارق في الجهل المركّب ، فهناك من ينهض باسم حقوق المرأة ، لكنّه لا يفعل شيئاً غير إهدار حقوقها البديهيّة،و جعل أزهار وجودهنّ تتناثر في الهواء،والسعي إلى تقليل أعمارهنّ من التسعين والثمانين والمائة سنة التي كنّ يقضينها في عزّة وسعادة إلى الثلاثين سنة والعشرين سنة ، فصرنا نرى كيف غدوا يلهون بالمرأة في عالمنا ، وكيف أضحت المرأة أُلعوبة في يد الرجال وآلةً مسخّرة لأهوائهم . أمّا الإسلام فيستنكر هذا ويقول بأنّ الناظر إلى المرأة نظرة خيانة يُعدّ مجرماً ، وبأنّ للمرأة حقّاً ضمن حدودها ، وللرجل حقّ ضمن حدوده .

ثمّ يأتي هذا السيّد فيترجم كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الجريدة حتّى يصل إلى قوله : **وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ**

⇐ عَلَى ٱلنِّسَآءِ» وفي عدم مشاركة المرأة في القضاء والحكومة والجهاد في الإسلام، وسمّيناها «رسالة بديعة» تُرجمت فيما بعد إلى الفارسيّة ، ووُضعت في متناول الإخوة الناطقين بالفارسيّة .

فَإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، فيُسقط هذه الفقرة من الترجمة. وليس ذلك إلّا سرقة.[1]

فيا أيّها السيّد! عليك أن تترجم النصّ ولن يؤاخذك أحد أو يعترض عليك في ترجمتك هذه العبارة التي لا تعتقد بها أنت المساير للعصر، صاحب ربطة العنق!

عليك أن تترجم النصّ وتنسب الكلام إلى المولى، فليس الكلام كلامك. نعم، فإنّ هؤلاء السادة مستعدّون للسرقة من الكلام، لكنّهم غير مستعدّين للقيام بالترجمة الصحيحة الدقيقة.

يقول القرآن: إنّ الحجاب واجب على المرأة، ويقول: **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ**، **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**.

فَلِمَ نحاول استباق القرآن؟ ولماذا نصبح أكثر حماساً ممّن هو أولى منّا بذلك؟ ولِمَ نخالف القرآن صراحة باسم الإسلام؟[2]

إنّ القرآن ـ على أيّة حال ـ مهجور ومظلوم، شأنه في ذلك شأن نبيّنا الذي عاش مظلوماً مهجوراً أُضيع حقّه.

وقد وردت في «وسائل الشيعة» رواية عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله:

قَالَ: يَجِيءُ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ: المُصْحَفُ وَالمَسْجِدُ وَالعِتْرَةُ؛ يَقُولُ المُصْحَفُ: يَا رَبِّ! حَرَّقُونِي وَمَزَّقُونِي؛ وَيَقُولُ المَسْجِدُ:

١ـ جريدة «اطلاعات» العدد ١٥٩٢٣، صحفة ٩، الثلاثاء ١٣ رمضان المبارك، لسنة ١٣٩٩ هـ. ق، تحت عنوان: وصيّة مولى المتّقين للإمام الحسن عليه السلام.

٢ـ كتبنا في سابق الأيّام رسالة في إحكام ومتانة مباني القرآن ومنطلقاته سمّيناها «رساله قرآن» (= رسالة القرآن)، جرى فيها بيان متانة قوانين القرآن، وقد طبعت هذه الرسالة حالياً في أربعة أجزاء باسم «نور ملكوت القرآن».

يَا رَبِّ! عطَّلُونِي وَضَيَّعُونِي؛ وَتَقُولُ العِتْرَةُ: يَا رَبِّ! قَتَلُونَا وَطَرَدُونَا وَشَرَّدُونَا؛ فَأَجْثُو لِلرُّكْبَتَيْنِ فِي الخُصُومَةِ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي: أَنَا أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ.[1]

وقد روى هذه الرواية الشيخ الحرّ العامليّ في «الوسائل» عن محمّد ابن عليّ بن بابويه القمّيّ (الشيخ الصدوق) الذي رواها بدوره في «الخصال» بسنده عن محمّد بن عمر الحافظ البغداديّ المعروف بالجعابيّ، عن عبد الله بن بشير، عن الحسن بن زبرقان المراديّ، عن أبي بكر بن عيّاش، عن الأجلح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله.

كما روى في «الوسائل» عن المرحوم الشيخ الطوسيّ في «المجالس» بسنده عن زريق:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَهِ عَلَيهِ السَّلَامُ: شَكَتِ المَسَاجِدُ إلَى اللَهِ تَعَالَى الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَهَا مِنْ جِيرَانِهَا، فَأَوْحَى اللَهُ إلَيْهَا: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا قَبِلْتُ لَهُمْ صَلَاةً وَلَا أَظْهَرُ لَهُمْ فِي النَّاسِ عَدَالَةً وَلَا نَالَتْهُمْ رَحْمَتِي وَلَا جَاوَرُونِي فِي جَنَّتِي.[2]

وسيأتي الكلام بالتفصيل في المجلس القادم إن شاء الله تعالى عن معنى مجيء القرآن في صورة رجل مؤمن، وسيره أمام شهداء البرّ والبحر والأنبياء والملائكة. كما سنشرح تلك الرواية الشريفة ونذكر تفسيرها.

إنّ القرآن هو كتاب الهداية الأوحد، وقد ورد في الرواية التهديد والوعيد لمن هجروا القرآن واتّجهوا صوب العلوم الأُخرى. إذ لو انطوى الإنسان على جميع علوم العالم، ومن ضمنها العلوم الإسلاميّة كالفقه

١ـ «الخصال للصدوق» ص ١٧٤ و ١٧٥، الطبعة الحروفيّة.

٢ـ «وسائل الشيعة» ج ١، ص ٣٠٣.

والأُصول والمنطق والفلسفة ، إلّا أنّه ترك القرآن ، فإنّه سيكون خالي الوفاض . أمّا لو أخذ القرآن فإنّه سيمتلك كلّ شيء ، إذ هو كلام الله ، ومن يتمسّك بالله يمتلك كلّ شيء ، أمّا من يُعرض عنه عزّ وجلّ فليس لديه من شيء .

مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً ، وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلاً .

كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وَأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ ؟ وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الامْتِنَانِ ؟ [1]

---

١ ـ من الفقرات الأخيرة لدعاء عرفة لسيّد الشهداء عليه السلام حسب رواية ابن طاووس في «الإقبال» .



المجلس الخمسون

معنى شهادة القرآن والأعمال يوم القيامة



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ.[1]

دار البحث مفصّلاً في المجالس السابقة في أنّ الإنسان سيجد جميع الأعمال التي قدّمها في الدنيا حاضرةً أمامه يوم القيامة ، وأنّ تلك الأعمال ستشهد عليه ،كما سيشهد عليه القرآن بدوره . وذكرنا رواية مفصّلة عن كتاب «الكافي» بسند الكلينيّ المتّصل عن سعد الخفّاف ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في شهادة القرآن وكلامه في المحشر وعبوره أمام صفوف المسلمين وشهداء البرّ والبحر والأنبياء والملائكة ، فتراه كلّ جماعة من هذه الجماعات بأجمل صورة وأبهاها ، فيقولون : إنّ هذا الرجل نعرفه بنعته وصفته غير أنّه كان أشدّ اجتهاداً منّا وأرفع منزلة ، فمن هناك

١ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعْطَ . ثمّ إنّه يخرّ تحت عرش الله عزّ وجلّ ، فيُنادى : سَلْ تُعطَ ، واشفعْ تُشَفَّعْ فيرفع القرآن رأسه في صورة رجل شاحب متغيّر اللون ويقف أمام الشيعة ، ثمّ إنّه ينطلق إلى الله عزّ وجلّ ويسأله أمُوراً كثيرة ، فيمنّ سبحانه على العاملين بالقرآن بخمس مواهب خاصّة .

ثمّ يتساءل سعد في آخر الرواية : وهل يتكلّم القرآن ؟ فيجيبه الإمام الباقر عليه السلام : نعم يا سعد ، والصلاة تتكلّم ... إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر . فالنهيُ كلام ، والفحشاء والمنكر رجال ، ونحن ذكر الله ونحن أكبر .[1]

ثمّ يقوم المرحوم المجلسيّ رضوان الله عليه بعد ذكر هذه الرواية ببيان بحث مفصّل في معنى هذا الحديث ويذكر كلاماً في تجسّد القرآن وكلامه ، وفي كيفيّة حضور القرآن وشهادته وكلامه يوم القيامة فيقول : هذا يحتمل وجوهاً .

الأوّل : أنّ القرآن يلقي معانيه وحقيقته إلى الإنسان على نحوٍ يفهم منه الإنسان تلك المعاني ، ولا يُشترط في الكلام أن يصدر من لسان لحميّ ، فأيّ موجود يمكنه أن يلقي إلى الإنسان ما يرمي إليه،سيُقال عنه إنّه تكلّم . والأمر على هذه الشاكلة بالنسبة إلى القرآن الكريم والصلاة والزكاة والصوم والحجّ وسائر الأعمال التي تتكلّم مع الإنسان ، حيث إنّها تقوم بإلقاء معانيها وحقائقها إلى الإنسان ، فيفهم الإنسان تلك الحقائق ، وهذا هو المقصود بتكلّم القرآن .

الثاني : أنّ القرآن يظهر يوم القيامة في صورته المثاليّة ، وتلك

١ ـ أوردنا ما جاء في الرواية مختصراً ، لذا اقتضى التنويه . (م)

الصورة هي مثال حقيقة القرآن. ثمّ إنّ تلك الصورة المثاليّة تتكلّم مع الإنسان. فالمتكلّم ـ إذاً ـ هو الصورة المثاليّة المتجسّدة للقرآن في ذلك العالم. كما أنّ الإنسان لو شاء في هذه الدنيا أن يستفيد من القرآن ويكتسب من معانيه وحقائقه، فإنّ الله عزّ وجلّ يمكن أن يخلق من الروحانيّين والملائكة من حملة القرآن مَن يقوم بتعليم القرآن لذلك الإنسان.

فتكلّم القرآن مع الإنسان في هذه الدنيا يحصل من خلال الملائكة أو الروحانيّين، أمّا يوم القيامة فإنّ تجسّد الصورة الواقعيّة للقرآن يتناسب مع ذلك العالم، كما أنّ تكلّمه ـ بدوره ـ يتناسب مع ذلك العالم.

الثالث: ما أُفيض عَلَيّ ببركة الأئمّة الطاهرين وبه ينحلّ كثير من غوامض أخبار المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ونذكر لتوضيح ذلك مقدّمتين نستنتج منهما كيفيّة تكلّم القرآن مع الإنسان.

المقدّمة الأُولى: إنّ الإنسان كما له بدن ماديّ وجسد يتحرّك بواسطته، وقلب يجري الدم بواسطته في جميع أعضاء الإنسان وشرايينه، فيرى بذلك البدن ويسمع ويحرّك يده، وتشتغل بواسطته أعضاء الإنسان وجوارحه وتقوم بوظائفها الطبيعيّة؛ فإنّ للإنسان ـ كذلك ـ معنى وخاصّيّة إن كانت حيّة جعلت إدراكه ومعارفه حيّة. أمّا لو لم تكن تلك الخاصّيّة حيّة، لصار الإنسان جماداً. وتلك الخاصّيّة هي روح الإنسان التي إن قُوِّيت بالأغذية المعنويّة من العلم والمعرفة والعبادة والتوجّه والتدبّر والتفكّر، حاز الإنسان درجة اليقين ومرتبة الإيمان وانكشفت له الحقائق، واطّلع على أسرار العالم، وصارت يده يد الله، وسمعه سمع الله، وعينه عين الله عزّ وجلّ.

وفي الرواية : **اتَّقُوا فَرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّ المُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ.**

إنّ المؤمن يرى بنور الله ، ويسمع بنور الله ، ويتاجر بيد الله ، لأنّه أعطى كلّ ما لديه في سبيل الله تعالى وخرج من حدود الجهات وتخطّى عالم الشهوة ، فصار يعلم ويرى بعلم الله سبحانه . وهذه الحال هي التجرّد الذي يحصل للإنسان بواسطة التأمّل والتفكّر والعبادة .

وإذاً ، فكما أنّ للإنسان بدناً مادّيّاً وقلباً صنوبريّاً مادّيّاً ، بحيث إذا توقف قلبه عن العمل ، مات بدنه وتعفّن ؛ فإنّ له ـ من الجهة الأُخرى ـ قلباً معنويّاً وعلماً مخزوناً إذا نوّره الله بنوره ، انبعثت الحياة في روحه ، وإن لم ينوّره ، صار ميّتاً مهما كان بدن الإنسان حيّاً يقوم بحركاته ونشاطاته الطبيعيّة .

لذا جاء في الآية القرآنيّة الكريمة : **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ بَل لَا يَشْعُرُونَ.**[١]

إنّ فاقدي الإيمان والذين لا يمتلكون معرفة بالإيمان والتوحيد هم أموات غير أحياء .

كما جاء : **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.**[٢]

أي أنّ النطفة الإنسانيّة والخلافة الإلهيّة التي هي مركز الإدراكات فيهم قد استترت لديهم أو ماتت تحت حجاب الرين ودنس الذنوب والشهوة والصفات البهيميّة والشيطانيّة ، فصاروا لا يسمعون الحقائق مع أنّ لهم آذاناً ، ولا يرون الحقائق مع أنّ لهم أعيناً ، ولا ينطقون بالحقائق مع امتلاكهم ألسنة .

١ـ الآية ٢١ ، من السورة ١٦ : النحل ، والآية على النحو التالي : «أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون أيّان يُبعثون» .

٢ـ الآية ١٧١ ، من السورة ٢ : البقرة .

المقدّمة الثانية : إنّ القرآن ليس تلك النقوش التي يدوّنها الإنسان على الصفحات ، ثمّ يحفظ تلك الصفحات بين الدفّتين ، فذلك هو القرآن المكتوب . إذ إنّ حقيقة القرآن هي معناه ؛ ومعنى القرآن أمر رفيع متعال ومن هنا فإنّ الذين يتعاملون مع القرآن باستمرار ، سيستفيدون من حقيقته ومعناه كما سيستفيدون من ظاهره .

وقد جاء في القرآن الكريم : **بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ** [1]

وبناءً على هاتين المقدّمتين ، فحين يحتلّ المؤمن مقام الإيمان فيُحيي الإيمانُ ؛ وحين تصبح حقيقة المؤمن متمثّلة في معنى القرآن وحقيقته ؛ وحين يصبح للمؤمن معرفة بالقرآن بحيث تترسّخ حقيقة القرآن وتتجلّى في روح المؤمن ونفسه ، فإنّ ذات المؤمن ستصبح قرآناً ، ووجوده سيصبح قرآناً . وقد جاء في الروايات :

المُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ القُرْآنِ وَالكَعْبَةِ.

لماذا ؟ لأنّ هذا القرآن هو ورق قد خُطّت عليه كلمات ، كما أنّ الكعبة هي عبارة عن لَبِنٌ قد بُنِيَ بالطين . فإن تجلّت حقيقة القرآن في روح المؤمن فإنّ وجوده سيحيى بحياة القرآن ويصبح قرآناً حقيقيّاً . ولو وصل المؤمن إلى درجة معرفة الله سبحانه ، لصار وجوده مطافاً ، أي صار كعبة . وبطبيعة الحال فإنّ حقيقة الكعبة أشرف من هذه الكعبة ؛ كما أنّ حقيقة القرآن أشرف من هذا القرآن .

فإن انطوى مؤمن على القرآن بحيث تجلّت جميع جوانب القرآن في ظاهر المؤمن وباطنه ومعانيه وأخلاقه وعقائده وملكاته ومعارفه

١ـ الآية ٤٩ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

وتوحيده صار وجوده حقيقة القرآن.

ولقد كان الوجود المقدّس لأمير المؤمنين عليه السلام هو القرآن. وهو القائل: **أَنَا كَلَامُ اللهِ النَّاطِق**.

أي ليس هناك للقرآن من مرتبة في أيّ عالم من العوالم إلّا وتجلّت تلك الحقيقة في هذا الوجود، فحاز الإمام على جميع مقامات القرآن ودرجاته وهذا هو القرآن الحقيقيّ وحقيقة القرآن.

ثمّ إنّ القرآن الذي سيتحرّك يوم القيامة هو أمير المؤمنين عليه السلام ذوالحياة القرآنيّة والوجود القرآنيّ، فيتخطّى يومذاك صفوف المسلمين والملائكة والشهداء والأنبياء فيقولون بأجمعهم: إنّ هذا الرجل نعرفه بنعته وصفته، إلّا أنّ له بهاءً ونوراً لا نمتلكهما. ومن المسلّم أنّه كان أكثر منّا اجتهاداً وسعياً في الدنيا من أجل إقرار حقيقة القرآن في وجوده.

والأمر كذلك بلا ريب. لأنّ كلّ امرئ من المؤمنين والشهداء كان يريد إيصال نفسه إلى حقيقة القرآن. فنحن المسلمون ـ مثلاً ـ نسعى بكلّ جهدنا في الاقتراب من حقيقة القرآن. وكلّما اقتربنا منه أكثر سعينا إلى زيادة اقترابنا منه والرغبة تعتمل في نفوسنا لإيصال أنفسنا إلى مقام القرآن الكامل. أمّا ونحن لم نبلغ بأنفسنا إلى ذلك المدى بعدُ، فإنّ حالة ترقّب وانتظار وضعف ستوجد فينا، حتّى إذا ما التقينا بذلك الوجود الحقيقيّ الذي بيّنه القرآن وأوجده بتمام معناه في كيانه ووجوده، فإننا سنقول من جهة: إنّنا نعرف هذا. كنا سنقول ـ من جهة أُخرى ـ إنّ هذا أفضل منّا حسناً وجمالاً، وأكثر منّا بهاءً ونوراً، لأنّ اجتهاده في سبيل الله كان أكثر من اجتهادنا. وهذا الكلام صحيح، وهذه المحاورات ستتحقّق، وهي بأجمعها ظهور وتجلٍّ للحقيقة التي يمتلكها القرآن.

وقد جاء في الرواية أنّ الصلاة تتحرّك. فما هي ـ يا ترى ـ الصلاة

التي يعرج فيها المصلّي، والتي لا يلتفت فيها البدنُ والروح والفكر إلى غير الله تعالى. وكما يقف البدن الطبيعيّ متّجهاً إلى الكعبة، فإنّ الروح تتّجه بدورها إلى كعبة الحبّ وتقيم صلاتها في الحرم الإلهيّ. ومثل هذه الصلاة لو تجسّدت في الخارج واتّخذت لنفسها هيئة وصورة ما، لتمثّلت في أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين، لأنّه هو الصلاة، ولأنّ صلاته قد اتّخذت هذه الكيفيّة، أي أنّ حقيقة الصلاة قد تجسّدت في وجوده.

لذا ورد في الروايات وفي كثير من التفاسير قولهم عليهم السلام: **نَحْنُ الصَّلَاةُ**، في إشارة إلى هذا المعنى، حيث إنّ لهذه الحقائق وجوداً في عوالم معيّنة. كما أنّ وجودها هو في الإنسان الكامل، لأنّ الإنسان الكامل أفضل من الملائكة، ولأنّه ليس هناك ـ غير ذات الخالق سبحانه ـ أشرف من روح الإنسان.

ومن هنا فإنّ الذين يبلغون بأنفسهم إلى الكمال سوف لن تبقى لديهم حالة انتظار وترقّب وضعف. أي أُولئك الذين يوصلون جميع قواهم وقابليّاتهم إلى مرحلة الفعليّة ويصبحون فعليّة محضة بحيث تختمر في وجودهم حقيقة الإيمان وحقيقة القرآن وحقيقة الزكاة وسائر الأعمال والصفات الحميدة، وبحيث ينصهرون معها في بوتقة واحدة.[1]

ويذكر المرحوم المجلسيّ رواية في هذا الشأن لسعد الخفّاف جاء فيها أنّ حقيقة أمير المؤمنين تتحرّك يوم القيامة فيرى المرء أنّ حقيقة الصلاة قد جاءت. ويرى أنّها هي ـ حقّاً ـ حقيقة الصلاة، وحقيقة الزكاة،

١ـ جرى نقل مطالب المجلسيّ بالمعنى، حيث قمنا ببيانها وإيضاحها. وأصل مطالب المجلسيّ موجودة في «بحار الأنوار» ج ٧، ص ٣٢١ إلى ٣٢٤ من الطبعة الحروفيّة.

وحقيقة الصوم، وحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد كان كلّ أمر بالمعروف في هذه الدنيا ينطوي على نوع من الشبهة ويتلوّن بلون معيّن. ومن بين ألف أمر بالمعروف، فإنّ درجة المعروف الذي يكون خالصاً للّه وفي الله ومن الله وإلى الله مائة في المائة بحيث لا تخالطه شائبة للنفس، وبحيث تكون في روح الإنسان مَلَكة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ستكون درجة تمثّل مقام الإمام، ذلك المقام الذي لا يمكن تصوّر مقام أعلى منه. وينكشف بهذا الطريق كثير من الغموض في بعض الأخبار. وحقّاً فإنّ بيان جدّنا المرحوم العلّامة المجلسيّ في هذا المجال بيانٌ مقبول وجدير بالتقدير.

وكما أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الزكاة، وهم الصلاة والحج والصوم والجهاد والقرآن، فإنّ معنى الروايات الدالّة على أنّ أعداءنا هم الفحشاء والمنكر والفساد والظلمات سيتّضح بهذا القياس والمقارنة التكوينيّة مع هذه الآيات القرآنيّة المباركة. لأنّ الفحشاء تمثّل ـ في نهاية الأمر ـ حقيقة قد انتشرت بين الناس بحيث صار بعض الأفراد مركزاً للفحشاء، قد سرت منهم الفحشاء إلى الخارج. لذا فإنّهم يُدعون بتعبير القرآن حطب جهنّم، فهي تستمدّ ظهورها من وجودهم، فهم مركز الفحشاء ومصدر المنكر والظّلمة والفناء وسيتّضح في المجالس القادمة التي سنبحث فيها بمشيئة الحقّ المتعال عن موضوع الصراط والميزان وعن درجات القيامة، وكيف أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الميزان والصراط.

السَّلَامُ عَلَى مِيزَانِ الأَعْمَالِ وَمُقَلِّبِ الأَحْوَالِ... السَّلَامُ عَلَى الصِّرَاطِ الوَاضِحِ وَالنَّجمْ اللاَئِحِ.[1]

---

١ ـ من فقرات السلام على أمير المؤمنين عليه السلام الذي يتلى في زيارته جهة ⇦

هو الإمام ونحن المأمومون . والإمام يعني الشخص الذي ينبغي أن يكون قدوةً ومثلاً وأُسوةً في جميع الجوانب ليمكن للإنسان الاقتداء بـه ، وإلّا لما كان إماماً مطلقاً ، إذ ليس الإمام إماماً من جهة دون أُخرى .

الإمام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الإمام هو التوحيد ، وهو القرآن أي أنّه هو الإمام في جميع هذه الجوانب . وتبعاً لهذا الأساس فقد صار أمير المؤمنين أميراً للمؤمنين ، فهو لقب منحه الله تعالى إيّاه .

أمير المؤمنين يعني قدوة المؤمنين وآمرهم وقائدهم ، وليس أميراً للكافرين ، ولا أميراً لعبيد الدنيا ، ولا أميراً للتجّار ، ولا للـزرّاع ؛ بـل هـو أمير المؤمنين . ويعني ذلك أنّ الإمام هو أمير كلّ مؤمن يوجد في كلّ زمان وفي أيّ نـقطة مـن نـقاط العـالم بـلحاظ الإيـمان والآثـار ولوازم الإيـمان وخصائصه . فهو الإمام والأمير مطلقاً ، وليس في وجوده ـ بأيّ وجـه مـن الوجوه ـ غير تلك الحقيقة الطاهرة ، كما ليس لديه أيّة شبـهة أو شكّ فـي جميع ملكاته وعقائده وأخلاقه وأعماله . وليس لديه أيّ نقص . ولم يتّخذ صبغة غير الصبغة الإلهيّة . **صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً .**[1]

وقد نزلت في حقّه آية التطهير ، لأنّه الموجود الطاهر المطهّر الذي يصحّ لمثله أن يكون إماماً وأميراً .

روى العامّة والخاصّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : **مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً فِيهَا «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا» إلَّا وَعَلِيٌّ رَأْسُهَا وَأَمِيرُهَا .**[2]

⇦ أقدامه الشريفة وأوّلها «السلام على أبي الأئمّة وخليل النبوّة» وهي أوّل زيارة من زياراته المطلقة .

١ ـ الآية ١٣٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ ـ «مطالب السئول» ص ٢١ ، الطبعة الحجريّة ، عن «حلية الأولياء» ؛ و«حلية الأولياء» ج ١ ، ص ٦٤ ؛ وقال في «ينابيع المودّة» ص ٢١٢ : وعن ابن عبّاس : ليس من آية ⇦

وعلى هذا الأساس يتّضح معنى كثير من الأخبار التي ورد فيها عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام بأنّهم قالوا عن كذا وكذا ، ونحن الشفعاء ، وباب النجاة ، وباب حطّة بني إسرائيل ، والحبل المتّصل بين الأرض والسماء وغير ذلك .

وبطبيعة الحال فإنّنا ندرك ـ على النحو الذي ذكرناه هنا ـ قدراً منها في هذا العالم ، أمّا في العالم الآخر فإنّ الإنسان سيشاهد هذه المعاني على نحوٍ كامل وسيلمسها على حقيقتها ، حيث ستكتسب وجوداً خارجيّاً . أي أنّ الإنسان سيرى أيّ عوالم للقرآن قد طبّقت شرق العالم وغربه ، وتلك هي حقيقة أمير المؤمنين التي لا تُحدّ بحدٍّ معيّن وبدن خاصّ .

وباعتبار أنّ القرآن كلام الله تعالى ، وكلام الله مجرّد لا حدّ له ؛ فإنّ الإنسان سيرى أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك العالم بلا حدّ ولا قياس .

ولقد أجاد المرحوم آية الله الحاجّ الميرزا حبيب الله الخراسانيّ في بيان هذا الأمر في عدّة أبيات له :

مرا پير طريقت جز عليّ نيست
كه هستى را حقيقت جز عليّ نيست
مبين غير از عليّ پيدا و پنهان
كه در غيب و شهادت جز عليّ نيست[1]

⇦ في القرآن «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا» إلّا عليّ رأسها وأميرها وشريفها ، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في القرآن ، وما ذكر عليّاً إلّا بخير .

١ ـ «ديوان حبيب» المدائح ، ص ٢٠٠ و ٢٠١ .

يقول : «ليس لي مرشد في الطريقة والنهج إلّا عليّ ، إذ ليس للوجود من حقيقة إلّا عليّ» فلا ترينّ ـ غير عليّ ـ في الخفاء والعلن ، إذ ليس في الشهادة والغيب إلّا عليّ» .

مجو غير از عليّ در كعبه و دير
كه هفتاد و دو ملّت جز عليّ نيست
جه باك از آتشِ دوزخ كه در حشر
قسيم نار و جنّت جز عليّ نيست
اگر كفر است اگر ايمان بگو فاش
كه در روز قيامت جز عليّ نيست
اساس هر دو عالم بر محبّت
بود قائم محبّت جز عليّ نيست
در آن حضرت كه دم از «لى مع الله»
زند احمد معيّت جز عليّ نيست
شنيدم عاشقى مستانه مى‌گفت
خدا را حول و قوّت جز عليّ نيست
وجود جملهٔ اشياء از مشيّت
پديد آمد مشيّت جز عليّ نيست[1]

١ـ يقول :

«ولا تطلبنّ ـ غير عليّ ـ في الكعبة والدير ، إذ ليست الأُمم الاثنتان والسبعون إلّا هو .

وما الخوف من نار جهنّم إذا لم يكن قسيم الجنّة والنار يوم الحشر إلّا هو ـ عليّ عليه السلام ـ .

فصرّحْ ـ إن كان كفراً أو إيماناً ـ بأن ليس ثمّة في القيامة إلّا هو .

أساس العالمين قائم على الحبّ ، لكنّ مؤسّس الحبّ ليس إلّا هو .

وحين تحدّث النبيّ أحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن «لي مع الله ...» ، فإنّ المعيّة لم تكن غير عليّ .

سمعتُ عاشقاً ثملاً يقول : ليس للّه ـ غير عليّ ـ من حول ولا قوّة .

إنّ وجود الأشياء قاطبة من المشيئة ؛ والمشيئة لم توجد إلّا بعليّ» .

شـــــهنشاهی کـه بـر درگـه مـلائك
زنـندش پـنج نـوبت جـز عـلیّ نـیست
عــلیّ آدم عــلیّ شـیث عــلیّ نـوح
کـه در دور نـبوّت جـز عـلیّ نـیست
تــرا پـیر طـریقت گـو عُـمَر بـاش
مـرا پـیر طـریقت جـز عـلیّ نـیست
اگـر گـوئی عـلیّ عـین خـدا نـیست
بگـو نـیز از خـدا هـرگز جـدا نـیست[١]

وما أروع بيانه في الأبيات التي سبقت هذه لحقيقة ظـهور العـوا وبطونها ولحقيقة الولاية التي تمثّل سرّ العالم :

ز جَم بـر جـامِ مِیْ خَـطّی عـیان است
جـهان مـردم بـود ، مـردم جـهان است
بـــجوی ایــن راز جـانی از دَســاتیر
که این قـول از حـدیث بـاستان است[٢]

١ـ يقول : «والمَلِك الذي تقرع الملائكة بابه خمس مرّات (في اليوم) ليس إلّا عليّاً
عليّ آدم ، وعليّ شيث ، وعليّ نوح ؛ إذ لم يكن ـ غير عليّ ـ أحد في أدوار النبوّة .
عليّ أحمد ، عليّ موسى وعيسى ، إذ لم يكن ـ إلّا هو ـ أحد في أطوار الخلقة .
فليكنْ عمر مرشدك في الطريقة والنهج ، أمّا أنا فمرشدي في الطريقة عليّ لا سواه .
فإن قلت إنّ عليّاً ليس عين الله ، فقلْ ـ كذلك ـ إنّه لم ينفصل عن الله قطّ ! » .

٢ـ «ديوان حبيب» المدائح ، ص ١٩٩ و ٢٠٠ .
يقول : «هنالك من جمشيد خطّ ظاهر على كأس الخمر ؛ العالَم هو الناس ، والناس العالَم .
فاطلب سرّ روحنا هذا من «الدساتير»* ، لأنّ هذا القول من أحاديث القدماء» .
* ـ «دساتير» كتاب ألّفه رجل يدعى «آذر كيوان» في القرن العاشر الهجريّ ونسبه

بگــیر از بــاستان ایــن راست گــفتار
کــه گــفت نــغز گــفت راســتان است
ســخن‌های بــزرگان از پــی و پــیش
چــو نـیکو بـنگری از یک زبـان است
در ایــن ره از روان‌هــا کـاروان‌هــاست
کــــه از دنــبال یکــدیگر روان است
ســخن‌ها نــیز کـز دل بـر زبـان‌هاست
بــه مــعنی چــون دَرای کـاروان است
دو گــیتی در تــن و جــان تـو مُـضْمَرْ
یکــی پــیدا و آن دیگــر نــهان است
اگــر پــای تــو در هــفتم زمـین است
ســرت بــیرون ز هــفتم آســمان است
تــنت را دیــبه‌ای از چــرخ اطــلس
که بر دوشش حمایل کـهکشان است[1]

⇐ إلى نبيّ مختلق يدعى «ساسان الخامس» في عصر كسرى أبرويز.

١ـ يقول: «وخذ من السلف هذه المقولة الصادقة، بأنّ الحديث الحسن هو الحديث الصادق.

وإن تأمّلت جيّداً كلام الأعلام السابقين واللاحقين، لوجدتَه قد نُطق بلسانٍ واحد.

فالأرواح كالقوافل السائرة على هذا الطريق تتبع إحداها الأُخرى وتقتفي أثرها.

والأقوال النابعة من القلب والجارية على اللسان هي ـ بلحاظٍ ما ـ كأجراس القافلة.

إنّ العالمينِ مُضمران في روحك وبدنك، أحدهما ظاهر جليّ والآخر مستور خفيّ.

وإذا كانت قدمك في الأرض السابعة، فإنّ رأسك يرتفع فوق السماوات السبع.

إنّ بدنك كقماش الديباج الأطلسيّ، والمجرّات على كتفيك كالحمائل والأوسمة».

فـــروزان ایـــن گـــهرها از بَـــرو دوش
ز ســـر تـــیپی و ســرهنگی نشـان است
نـــژادت از کـــیان آمـــد و لیکـــن
دلت را رُخ نـــدانـــم زی کـیان است
عیان گردد چـو در آب افـتد ایـن مرغ
کـه مـرغابی بـود یـا مـاکیان است
نـــهان از چشـــم نـــادان رازِ گـیتی
و لیکـــن بـــر دل دانـا عـیان است
جـــهان انســـانْ ، پـــیمبر عـینِ انســان
عـلیّ انسـانِ عـینِ ایـن جـهان است
پـــیمبر شـــهرِ عـلم است و عـلیّ دَر
خوش آن سر کو به دین در آستان است
دَری بگشـــوده بـــر دل‌هـــای روشـــن
ولی جـــبریل بـــر در پـاسبان است
پـــیمبر ســنگ حکـــمت را تـــرازوست
عـلیّ نـیز ایـن تـرازو را زبـان است[1]

١ـ يقول : «الجواهر تسطع لامعة فوق كتفيك ، كسطوع علامات النقيب والعقيد العسكريّ .
لقد انحدر أصلك من الطبيعة ، لكنّي لا أعلم من أيّ أصل هو وجه قلبك .
ولو سقط هذا الطائر في الماء ، لتجلّى عياناً أمِنَ البطّ هو أو من الدجاج .
إنّ سرّ الوجود مستور عن عين الجاهل ، لكنّه عيان ومشهود لقلبِ العالِم .
العالَم هو الإنسان ، والنبيّ عين الإنسان ، وعليٌّ إنسانُ عين هذا العالَم .
النبيّ مدينةُ العلم وعليٌّ بابها ، فطوبى لذلك الرأس الذي ظلّ على اعتاب هذا ⇦

عـــليّ دان آن لســـان اللـــه نـــاطق

كـزو شـد كشـف اسـرار و حـقايق[1]

كما أجاد مفخرة شعراء العرب في القرن السابق : الشيخ كاظم الأُزريّ حين أنشد :

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ يَدُ اللَهِ الَّتِي عَمَّ كُـلَّ شَـيءٍ نَـدَاهَـا

أَنْتَ قُـرْآنُهُ القَّـدِيمُ وَأَوْصَـا فُكَ آيَــاتُهُ الَّـتِي أَوْحَـاهَا

حَسْبُكَ اللّهُ فِي مآثِـرَ شَـتَّى هِيَ مِثْلُ الأَعْـدَادِ لَا تَـتَنَاهَى

حتّى يصل إلى قوله :

يَــا عَــلِيُّ المِــقْدَارُ حَسْــبُكَ لَا

هُــوِيَّةٌ لَا يُــحَاطُ فِــي عُــلْيَاهَا

أَيُّ قُــدْسٍ إِلَــيْهِ طَــبْعُكَ يَــنْمِي

وَالمَــرَاقِــي المُــقَدَّسَاتُ ارْتَــقَاهَا

لَكَ نَفْسٌ مِنْ جَوْهَرِ اللُّطْفِ صِيغَتْ

جَــعَلَ اللّــهُ كُــلَّ نَــفْسٍ فِـدَاهَـا

هِــيَ قُــطْبُ المُكَــوِّنَاتِ وَلَــوْلَا

هَــا لَــمَا دَارَتِ الرَّحَــى لَــوْلَاهَا

لَكَ كَــفٌّ مِـنْ أَبْـحُرِ اللّـهِ تَـجْرِي

أَنْــهُرُ الأَنْــبِيَاءِ مِــنْ جَــدْوَاهَـا

⇦ الباب .

هو بابٌ مُشرع على القلوب المُضاءة ، لكن جبرائيل يقف على الباب حارساً .

إنّ النبيّ هو الميزان لأحجار الحكمة ، أمّا عليّ فلسان ذلك الميزان» .

١ـ يقول : «فاعلمْ أنّ عليّاً لسان الله الناطق الذي صار منه كشف الأسرار والحقائق» .

حُزْتَ مُلْكاً مِنَ المَعَالِي مُحِيطاً
بِأَقَالِيمَ يَسْتَحِيلُ انْتِهَاهَا[١]

والنتيجة الحاصلة ، فإنّ القرآن سيترسّخ في أرواح المؤمنين والمسلمين بقدر عملهم به واقترابهم الحقيقيّ منه ، كما أنّ وجودهم سيستفيد من القرآن بنفس تلك الدرجة . ومن جهة أُخرى فإنّهم سيبتعدون عن حقيقة القرآن وسيصبحون موضع لعنه بقدر تعلّمهم له لنيل النوايا الدنيويّة وكسب الجاه والمقام والرياسة الباطلة والمراءاة والتقرّب إلى الناس . فليس الدين الإسلاميّ المقدّس دين السمعة والمراءاة وإصلاح الظواهر والخداع بالظواهر .

فإن شاء امرؤ ـ والحال هذه ـ أن يستغلّ القرآن ، المعجزة الوحيدة

١ـ «ديوان الأُزريّ» ص ١٥١ ، للشيخ كاظم الأُزريّ التميميّ البغداديّ المتوفّى في غرّة جمادى الأُولى لسنة ١٢١١ هجريّة ، من مادحي أهل البيت عليهم السلام ، ويكفي في جلالة شعره وبلاغته قصيدته الهائيّة «لمن الشمس في قباب قباها» التي وضعته في مصاف الشعراء من الطراز الأوّل .

يُحكى أنّ العلّامة بحر العلوم كان يجلّه ويعظّمه لأنّه كان يعقد مجالس مناظرة مع الخصوم .

ويُروى عن المرحوم آية الله السيّد حسن الصدر أنّه قال : إنّ القصيدة الهائيّة الأُزريّة كانت أكثر من ألف بيت ، وكانت مكتوبة في طومار ، فأكلت الأرضة بعضها ووصل باقي الطومار بيَدِ المرحوم آية الله السيّد صدر الدين العامليّ فاستخرج منها هذا القدر من الأبيات التي قام الشيخ جابر الكاظميّ بتخميسها فيما بعد .

وقال صاحب «المستدرك» في كتاب «شاخه طوبى» : كان العلّامة المحقّق الشيخ محمّد حسن صاحب «الجواهر» يتمنّى لو كانت القصيدة الهائيّة الأُزريّة مدوّنة في صحيفة أعماله ، وكان كتاب «الجواهر» ـ في المقابل ـ مدوّن في صحيفة أعمال الشيخ الأُزريّ . («الكنى والألقاب» ج ٢ ، ص ١٩ ، طبعة صيدا ـ ملخّصاً) .

الباقية لرسول الله ، وكتاب الهداية البشريّة ، وأن يجعله وسيلةً للوصول إلى الباطل ، فإن القرآن سيهجره وسيشهد عليه يوم القيامة .

يروي محمّد بن يعقوب الكلينيّ في «الكافي» بسنده المتّصل عن يعقوب الأحمر ، قال :

قُلْتُ لِأَبِي عبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ إنِّي كُنْتُ قَرَأْتُ القُرْآنَ فَفَلَتَ مِنِّي فَادْعُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَن يُعَلِّمْنِيهِ.

قَالَ : فَكَأَنَّهُ فَزِعَ لِذَلِكَ ؛ فَقَالَ : عَلَّمَكَ اللهُ هُوَ وَإيَّانَا جَمِيعاً .

قَالَ : وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ عَشْرَةٍ ـ ثُمَّ قَالَ : السُّورَةُ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ قَدْ قَرَأَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا ، فَتَأْتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا سُورَةُ كَذَا وَكَذَا فَلَوْ أَنَّكَ تَمَسَّكْتَ بِي وَأَخَذْتَ بِي لَأَنْزَلْتُكَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ. ثمّ أشار بيده وقال :

عَلَيْكُمْ بِالقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهُ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَلَّمُ القُرْآنَ لِيُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَلَّمُهُ فَيَطْلُبُ بِهِ الصَّوْتَ فَيُقَالُ : فُلَانٌ حَسَنُ الصَّوْتِ ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَلَّمُهُ فَيَقُومُ بِهِ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ لَا يُبَالِي مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْهُ.[1]

كما روى في «الكافي» بسنده عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال :

قُرَّاءُ القُرْآنِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ فَاتَّخَذَهُ بِضَاعَةً وَاسْتَدَرَّ بِهِ المُلُوكَ وَاسْتَطَالَ بِهِ عَلَى النَّاسِ . وَرَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ وَأَقَامَهُ إقَامَةَ القِدْحِ ، فَلَا كَثَّرَ اللهُ هَؤُلَاءِ مِنْ حَمَلَةِ القُرْآنِ.

---

١ ـ «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٦٠٨ و ٦٠٩ ؛ و «وسائل الشيعة» ج ١ ، ص ٣٦٩ ، طبعة أمير بهادر .

وَرَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ فَوَضَعَ دَوَاءَ القُرْآنِ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَأَسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ وَأَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ ، وَتَجَافَى بِهِ عَنْ فِرَاشِهِ ، فَبِأُولَئِكَ يَدْفَعُ اللَّهُ العَزِيزُ الجَبَّارُ البَلاَءَ ، وَبِأُولَئِكَ يُدِيلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَعْدَاءِ. وَبِأُولَئِكَ يُنَزِّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَهَؤُلَاءِ فِي قُرَّاءِ القُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ.[1]

وينبغي العلم أنّه ما دام سرّ الإنسان لم يتطهّر في مقابل القرآن ؛ أي ما دام الإنسان لا يتعلّم القرآن للعمل ، وما دام لا يتعامل معه لتحقيق معانيه في وجوده ، فإنّ الإنسان لن يستفيد من حقيقة القرآن شيئاً .

وما أكثر ما شوهد أفراد لهم اطّلاع على القرآن والعلوم القرآنيّة ، ولهم مطالعات ودراسات في التفسير والتفاسير ، لكنّ قلوبهم سوداء مظلمة . والعلّة في ذلك أنّهم جعلوا القرآن وسيلة للدنيا وللجاه والمقام والعزّة والمكاسب . وروح القرآن تتأذّى وتعاني من أمثال هؤلاء الأفراد . ويندر أن يوجد أمثال هذه النماذج من قرّاء القرآن في المنهج الشيعيّ ، لأنّ تعاليم الشيعة تربّي العلماء والقرّاء على أساس اتّباع الحقّ وعدم التردّد على أبواب الظّلَمة وحكّام الجور ، وعدم صرف العمر سعياً وراء الرياسات الباطلة .

وحصل في زمن سابق عندما كنت قد تشرّفت خلاله بالذهاب إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينيّة أن دار الحديث عن الشيعة ومنهجهم الفكريّ ، فقال أحد العلماء المراجع ، وكان حاضراً في المجلس :

عُقد قبل عدّة سنوات مؤتمر للمذاهب الإسلاميّة في «الجامع الأزهر» حضره علماء المذاهب الإسلاميّة من جميع الدول ، وقد شاركتُ في

١ـ «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٦٢٧ ؛ و «وسائل الشيعة» ج ١ ، ص ٣٦٩ .

المؤتمر كممثّل لعلماء النجف، فألقيتُ كلمةً تطرّقت فيها إلى تعريف مذهب الشيعة نقلتُ فيها الرواية التالية عن الإمام السجّاد عليه السلام وشرحتُها. فنالت الكلمة إعجاب الحاضرين وحظيت بثنائهم، للدقّة البالغة في مدرسة الشيعة التي تبذل كلّ هذه الجهود في تربية أتباعها، وللتحقيق والتمعّن العميق المبذول من قِبَل أئمّة الشيعة في تزكية هؤلاء الأتباع وتطهيرهم. الرواية كالتالي:

أورد الشيخ الطبرسيّ في «الاحتجاج» بسنده عن «التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام» عن الرضا عليه السلام، أنّه قال:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيهِ السَّلاَمُ: إذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ حَسُنَ سَمْتُهُ وَهَدْيُهُ وَتَمَاوَتَ فِي مَنْطِقِهِ وَتَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ فَرُوَيْدَاً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ.

فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُعْجِزُهُ تَنَاوُلُ الدُّنْيَا وَرُكُوبُ الحَرَامِ مِنْهَا لِضَعْفِ نِيَّتِهِ وَمَهَانَتِهِ وَجُبْنِ قَلْبِهِ، فَنَصَبَ الدِّينَ فَخّاً لَهَا فَهُوَ لاَ يَزَالُ يَخْتُلُ النَّاسَ بِظَاهِرِهِ، فَإنْ تَمَكَّنَ مِنْ حَرَامٍ اقْتَحَمَهُ.

وَإذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ عَنِ المَالِ الحَرَامِ فَرُوَيْدَاً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ، فَإنَّ شَهَوَاتِ الخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ. فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَنْبُو عَنِ المَالِ الحَرَامِ وَإنْ كَثُرَ، وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءَ قَبِيحَةٍ فَيَأْتِي مِنْهَا مُحَرَّماً.

فَإذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ عَنْ ذَلِكَ فَرُوَيْدَاً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا مَا عُقْدَةُ قَلْبِهِ. فَمَا أَكْثَرَ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ أَجْمَعَ، ثُمَّ لاَ يَرْجِعُ إلَى عَقْلٍ مَتِينٍ، فَيَكُونُ مَا يُفْسِدُهُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ بِعَقْلِهِ.

فَإذَا وَجَدْتُمْ عَقْلَهُ مَتِيناً فَرُوَيْدَاً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا أَمَعَ هَوَاهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ، أَمْ يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هَوَاهُ، وَكَيْفَ مَحَبَّتُهُ لِلرِّيَاسَاتِ البَاطِلَةِ وَزُهْدِهِ فِيهَا، فَإنَّ فِي النَّاسِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ يَتْرُكُ الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا وَيَرَى أَنَّ لَذَّةَ الرِّيَاسَةِ البَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ الأَمْوَالِ وَالنِّعَمِ المُبَاحَةِ

المُحَلَّلَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلَباً لِلرِّيَاسَةِ. حَتَّى إذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ المِهَادُ.

فَهُوَ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ يَقُودُهُ أَوَّلُ بَاطِلٍ إلَى أَبْعَدِ غَايَاتِ الخَسَارَةِ، وَيَمُدُّهُ رَبُّهُ بَعْدَ طَلَبِهِ لِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي طُغْيَانِهِ. فَهُوَ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَهُ وَيُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَهُ لَا يُبَالِي مَا فَاتَ مِنْ دِينِهِ إذَا سَلِمَتْ لَهُ رِيَاسَتُهُ الَّتِي قَدْ شَقِيَ مِنْ أَجْلِهَا.

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ نِعْمَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ هَوَاهُ تَبَعاً لِأَمْرِ اللَهِ وَقُوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَى اللَهِ يَرَى الذُّلَّ مَعَ الحَقِّ أَقْرَبَ إلَى عِزِّ الأَبَدِ مِنَ العِزِّ فِي البَاطِلِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَرَّائِهَا يُؤَدِّيهِ إلَى دَوَامِ النَّعِيمِ فِي دَارٍ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْفَدُ، وَأَنَّ كَثِيرَ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ سَرَّائِهَا إنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يُؤَدِّيهِ إلَى عَذَابٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا يَزُولُ.

فَذَلِكُمُ الرَّجُلُ نِعْمَ الرَّجُلُ، فَبِهِ فَتَمَسَّكُوا وَبِسُنَّتِهِ فَاقْتَدُوا، وَإلَى رَبِّكُمْ فَبِهِ فَتَوَسَّلُوا فَإنَّهُ لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ وَلَا يُخَيَّبُ لَهُ طَلِبَةٌ.[1]

١ـ «الاحتجاج» للطبرسيّ، ج ٢، ص ٥٢ و ٥٣، طبعة النجف، عن «التفسير المنسوب للإمام العسكريّ»؛ و«بحار الأنوار» ج ٢، ص ٨٤ و ٨٥، الطبعة الحروفيّة، عن «التفسير المنسوب للإمام العسكريّ»، رقم ١٠؛ وفي ص ٨٥ من «الاحتجاج» بالإسناد إلى الإمام أبي محمّد، رقم ١١.

فهرس التأليفات



بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقوم مؤسّسة ترجمة و نشر

(دورة العُلوم و المعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة المعارف :

معرفة الله (١) (الله شناسى)	ثلاثة أجزاء
معرفة الإمام (٢) (امام شناسى)	ثمانية عشر جزء
معرفة المعاد (٣) (معاد شناسى)	عشرة أجزاء

دورة العلوم :

الأخلاق و الحكمة و العرفان (٤)

١ ـ رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالة سير و سلوک منسوب به بحر العلوم)

٢ ـ رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب
(رسالهٔ لُبّ اللباب در سير و سلوك أُولى الألباب)
٣ ـ التوحيد العلميّ والعينيّ (توحيد علمى و عينى)
٤ ـ الشمس الساطعة (مهر تابان)
٥ ـ الروح المجرّد (روح مجرد)

الأبحاث التفسيريّة (٥)
١ ـ **رسالةٌ بَديعةٌ** في تفسير آية «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ»
٢ ـ **رسالة جديدة** في بناء الإسلام على الشهور القمريّة (رسالهٔ نوين)

الأبحاث العلميّة والفقهيّة (٦)
١ ـ رسالة حول مسألة رؤية الهلال
٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام
(وظيفهٔ فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام)
٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام أربعة أجزاء
(ولايت فقيه در حكومت اسلام)
٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن) أربعة أجزاء
٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش
(نگرشى بر مقالهٔ بسط و قبض تئوريک شريعت دكتر عبدالكريم سروش)
٦ ـ الرسالة النكاحيّة : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (وقد طبع الكتاب في طبعته الأُولى بهذا العنوان : «الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)
(رسالهٔ نكاحيّة : كاهش جمعيّت ، ضربه‌اى سهمگين بر پيكر مسلمين)
٧ ـ رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ (نامهٔ پيش نويس قانون أساسى)

الأبحاث التأريخيّة (٧)

١ ـ لَمَعات الحُسين عليه السلام

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة ومشرقة

(هديّهٔ غديريّه : دو نامهٔ سياه و سپيد)

هذه هي مجموعة من الكتب التي أُلّفت من قِبل المؤلّف قدّس سرّه ، والتي بادرت « مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة » إلى ترجمتها وتقديمها تدريجيّاً إلى القرّاء المحترمين ، وهناك مجموعة أُخرى للمؤلّف لم تنشر بعد .

وللحصول على نظرة إجماليّة لهذه المؤلّفات ، يمكنكم الرجوع إلى نهاية الجزء الأوّل من هذا الكتاب .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





